الساعات

مكتبة
t.me/soramnqraa

مايكل كننجهام

ترجمة

محمد عيد إبراهيم

دار الهلال

مايكل كننجهام

– ولد مايكل كننجهام فى مدينة أوهايو بلوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٥٢

– تخرج فى جامعة ستاتفورد وجامعة أيوا ويعيش حاليا فى مدينة نيويورك .

– نالت قصته القصيرة «ملاك أبيض» جائزة أفضل قصة أمريكية (١٩٨٩) .

– من أعماله الروائية : منزل على طرف العالم (١٩٩٠) و«دم ولحم»(١٩٩٥).

– فازت روايته «الساعات» بعدة جوائز أدبية منها جائزة بوليتزر وجائزة بن فوكنر (١٩٩٩) كما حازت على أعلى نسبة للمبيعات فى الولايات المتحدة الأمريكية لمدة عامين متواليين .

– انتجت رواية الساعات فى فيلم سينمائى بالعنوان نفسه بطولة نيكول كيدمان فى دور فرجينيا وولف ، وميريل ستريب بدور كلاريسا وجوليان مور فى دور لورا براون» .

هذه الرواية

تقدم رواية «الساعات» صورة مقربة لشخصية الروائية الإنجليزية فرجينيا وولف (١٨٨٢ – ١٩٤١)

وحين يستحضر المؤلف الأمريكى «مايكل كننجهام» نموذجها الأدبى إلى الحياة من جديد ، يسرد حكايتها مضفرة مع حكاية امرأتين معاصرتين .

ذات صباح جميل (سنة١٩٤١) تستيقظ وولف من حلمها الذى ظل يسوقها فترة طويلة بهاجس الانتحار ، وقت تأليفها رواية «مسز دلاواى» التى يعمد كننجهام إلى استلهامها طقسا وأسلوبا وحياة .

وتبذل امرأة أخرى لورا براون (١٩٤٩) فى مدينة لوس أنجلس ، ما بوسعها للاحتفال بعيد ميلاد زوجها .

ثم يعود المؤلف لزمن التسعينيات من القرن العشرين إلى شخصية «كلاريسا فوجان» (٥٢ سنة) لحفل تقيمه على شرف حبها القديم للشاعر الشاذ ريتشارد .

وترتبط هؤلاء النسوة بعالم وولف فى رواية «مسز دلاواى» باللحظات القليلة الثمينة التى تتشبث بها كل منهن .

تتميز رواية «الساعات» بأنها ترنيمة للوعى وجماليات وخسارات الحياة ، كما تكشف بصيرة كننجهام النافذة فى تسجيله لمشاهد من لحظات إنسانية مؤثرة .

هذه ترجمة كاملة لرواية

The Hours

By : Michael Cunningham

طبعة دار

Fourth State, London, 2000

الغلاف للفنان :

جمال قطب

«سنصيد نمراً ثالثاً هذه المرة ، لكنه كالآخرين شكلٌ لما أحلم به ، توليف كـــلام ، لا نمراً من لحم وعظم يخب فى الأرض وراء أساطير . أعرف هذه الأشياء عن حق ، رغم القوة التى تظل تسوقنى باستفهام مبهم غابر غفل ، بينما أواصل طيلة الساعات طراد نمر آخر ، حيوان لا يوجد فى النثر» .

خ . ل . بورخيس ، «النمر الآخر» ، ١٩٦٠

«ليس عندى وقت لتوصيف غاياتى ، على قول الكثير عن (الساعات) واكتشافى ، كيف أحفر كهوفاً بديعة خلف شخصياتى ، أظن هذا يمنحها ما أريد ، الإنسانية والضحك ، والعمق . فكرتى عن هذه الكهوف تتواصل ، ثم يهل كل منها إلى نور النهار باللحظة الحاضرة» .

فيرجينيا وولف ، اليوميات ، ٣٠ أغسطس ، ١٩٢٣

برولوج

تسرع من البيت ، ترتدى معطفاً ثقيلاً يحميها من الطقس . العام ١٩٤١ . بدأت حرب أخرى . تركت ورقة إلى ليونارد ، وأخرى إلى فينيسا . سارت تقصد ناحية النهر ، متأكدة مما ستفعله ، لكنها حتى الآن محيرة من منظر التلال ، الكنيسة ، شتات الغنم ، السطوع بلون خفيف مع لمحة شاحبة من الكبريت ، تسيم الماشية تحت سماء داكنة . تتوقف ، ترقب الغنم والسماء ثم تواصل المسير . تدمدم الأصوات من خلفها ، قاذفات القنابل تئز بالسماء ، رغم ذلك تبحث عن الطائرات ولا تراها . تمشى أمام أحد عمال المزارع (اسمه جون ؟) ، رجل نشيط برأس صغير ، يرتدى قميصاً لون البطاطس ، ينظف المصرف الجارى بحوض الصفصاف . رفع إليها بصره ، ثم خفضه ثانية إلى الماء البنى . وبينما تجاوزته بطريقها إلى النهر فكرت كم هو ناجح ، كم هو محظوظ ، أن ينظف مصرف الصفصاف . هى بنفسها فشلت . ليست كاتبة على الإطلاق ، حقاً ؛ بل مجرد غريبة الأطوار موهوبة . بقع من السماء تلمع فى برك صغيرة تخلفت عن مطر البارحة . يغطس حذاؤها خفيفاً بأرض لينة ، لقد فشلت ، والآن عادت الأصوات تغمغم مبهمة خلف مستوى رؤيتها ، خلفها ، هنا ، لا ، فتستدير وتذهب لمكان آخر . عادت الأصوات والصداع يقترب حثيثاً كالمطر ، صداع يطحنها فيستحل مكانها صداع يقترب (هل تستحضره بنفسها أم لا ؟) ويبدو أن قاذفات القنابل

تظهر ثانية بالسماء . تصل إلى الجسر ، تصعد ثم تنزل إلى النهر . هناك صياد بعيد أعلى النهر ، لا يلحظها ، أيلحظها ؟ تبدأ البحث عن حجر . تعمل بسرعة لكن بمنهجية ، كأنها تتبع وصفة طبية ينبغى أن تتبع لكن بشك حتى تنجح . تتخير حجراً خشناً بشكل وحجم جمجمة خنزير . حين رفعته وأقحمته داخل جيب معطفها (كانت ياقة الفراء تدغدغ رقبتها) ، لم تلحظ طباشيرية الحجر البارد ولونه ، كان بنياً لبنياً ببقع خضراء . تقف قرب حافة النهر التى ترتطم واهنة على الضفة ، تملأ شواظ الطمى الصغيرة بالماء الرائق الذى هو مادة مختلفة تماماً عن البنى المصفر ، هراء مرقط بمنظر صلب كطريق يمتد ثابتاً من الضفة إلى الضفة . تخطو للأمام . لا تخلع حذاءها . الماء بارد ،لكن ليس إلى درجة لا تحتمل . تتوقف ، تقف بماء بارد إلى ركبتيها . تفكر فى ليونارد . تفكر فى يديه ووجهه ، بخطوط عميقة حول فمه . تفكر فى فينيسا ، فى الأطفال ، فيتا وايثيل : كثيراً جداً . كلهم فشلوا ، أليس كذلك ؟ هى فجأة ، تأسف عليهم . تتخيل أنها تستدير فتخرج الحجر من جيبها وتعود للمنزل . قد تقوم يوماً بإتلاف رسائلها القصيرة . تواصل الحياة ؛ تنجز تلك الرقة النهائية . تقف ركبتاها عميقاً بالماء المتحرك ، تقرران مقاومته . الأصوات هنا ، الصداع قادم ، ولو استردت نفسها لتعتنى بكل من ليونارد وفينيسا فلن يسمحوا لها بالذهاب ثانية . هكذا ؟ تقرر أن تصر على أن يسمحوا لها بالذهاب . تخوض بحرج (القاع كالقذر) الخروج حتى تصعد إلى خصرها تحدق أعلى النهر إلى الصياد ، يرتدى جاكتا أحمر ولا يراها . سطح النهر أصفر (أصفر أكثر مما هو بنى لدى رؤيته عن قرب) يعكس السماء بضبابية . هنا ، لحظة أخيرة بإدراك حقيقى ، رجل يصيد بجاكت أحمر وسماء غائمة تنعكس على ماء لا يشف . تخطو تقريباً بشكل لا إرادى (يبدو لا إرادياً ، بالنسبة لها) أو تزل قدمها للأمام

فيجذبها الحجر للداخل . لحظة ، يبدو الأمر كأنه لا شئ ، يبدو كأنه فشل آخر ؛ فقط ماء بارد تعود بسهولة لتخرج منه ؛ لكن التيار يلف نفسه من حولها عندئذ ليأخذها حين غرة ، قوة عضلية كأن رجلاً قوياً نهض من القاع فقبض على ساقيها وحضنهما إلى صدره . يبدو الأمر شخصياً .

بعد أكثر من ساعة ، يعود زوجها من الحديقة . تقول الخادمة «المدام خرجت ، وهى تضرب الوسادة المهلهلة بقوة فتطلق عاصفة منمنمة من الوبر . «قالت ستعود حالا» .

صعد ليونارد إلى حجرة الجلوس بالدور العلوى ليسمع الأخبار . يجد ظروفاً أزرق معنوناً إليه ، على الطاولة . داخله رسالة:

عزيزى ،
أحس أنى
سأجن ثانية : أحس أننا لن نحتمل
مكابدة المزيد من هذه الأوقات العصيبة .
فلن أشفى هذه المرة . بدأت
أسمع أصواتاً ، ولا أستطيع التركيز .
لذلك سأفعل ما يبدو أنه أفضل ما أفعله . لقد
منحتنى
أكبر سعادة ممكنة . فعلت
بكل وسيلة ما يستطيع أى امرئ
أن يفعله . لا أظن اثنين
عاشا معاً أسعد منا حتى
هل هذا المرض اللعين . لم أعد أستطيع
محاربته ، أعرف أننى

أفسد حياتك ، حتى أنه من دونى
ستقدر على العمل أفضل . وأنت من أعرفه .
فترى أنى لا أكتب هذا بشكل صحيح .
لا استطيع القراءة . ما أريد قوله
إنى أدين بسعادة حياتى كلها إليك .
فقد كنت صبوراً معى و
طيباً بما لا يصدق . أريد قول ذلك –
كل امرئ يعلمه . لو استطاع أحد
أن ينقذنى فستكون أنت .
كل شئ راح منى عدا
توكيدى على طيبتك لا
أستطيع على الدوام أن أفسد حياتك . لا أظن اثنين
عاشا معا أسعد منا

ف .

يسرع ليونارد ليجرى من الحجرة إلى الدور السفلى . يقول للخادمة «أظن حدث شئ لمسز وولف . أظن حاولت قتل نفسها . إلى أى طريق ذهبت؟ أرأيتها وهى تغادر المنزل ؟» .

تبدأ الخادمة الصراخ ، مذعورة . يندفع ليونارد خارجاً للنهر ، أمام الكنيسة والغنم ، أمام حوض الصفصاف . لدى ضفة النهر لا يجد غير رجل بجاكت أحمر ، يصطاد .

جرفها التيار بسرعة . تبدو كمن يطير ، بجسم خيالى ، ذراعاها مفرودتان ، شعرها منساب ، ذيل معطف الفراء خلفها منتفخ . تطفو ثقيلة على بصيص ضوء بنى محبب . لم تكن تسرى بعيداً . قدماها (إذ راح

الحذاء) ترتطمان بالقاع أحياناً ، وهكذا تستجمعان سحابة بليدة من القذر ، تمتلئ بظلال سوداء من هياكل ورق الشجر ، فكانت تحملها كلها عدا الساكن بالماء بعد مرورها فى طريقها بعيداً عن المشهد . تمسك بشعرها وفراء معطفها شرائط من عشب أخضر مسود ، تعصب عينيها لوهلة عينة كثيفة من العشب ، تحرر نفسها فى النهاية وتطفو ، تتلوى فتنحل ثم تتلوى من جديد .

ترتاح مؤخراً على أحد دعائم الجسر عند سوئيس . يلح عليها التيار ، يهزهزها ، لكنها تتمركز بثبات عند قاعدة العمود المربع الجاثم ، بظهرها للنهر ووجهها على الحجر . تفتل هناك بذراع مطوية على صدرها والأخرى طافت أعلى مؤخرتها . السطح لامع مترقرق ، على بعد مسافة فوقها . تنعكس السماء بشكل غير ثابت هناك ، بيضاء ثقيلة بالسحب ، تتخللها أشكال غربان مقصوصة سوداء . تهدر العربات والشاحنات فوق الجسر . ولد صغير يعبر الجسر مع أمه ، لا يزيد عن الثالثة ، يقف على السكة الحديد ، ينحنى دافعاً العصا التى يحملها بين شرائح خشب السكة الحديد حتى تسقط بالنهر ، تحثه أمه على المضى قدماً لكنه يصر على البقاء يرقب العصا والتيار يجرفها .

كان هذا فى يوم مبكر من الحرب العالمية الثانية : ولد وأمه فوق الجسر ، عصا تطفو على سطح الماء ، وجثة فرجينيا بقاع النهر تحلم بالسطح ، العصا ، الولد وأمه ، السماء والغربان . تكر شاحنة سمراء زيتية عبر الجسر ، محملة بجنود فى بزاتهم ، يحيون الولد الذى كان ألقى العصا توا . يرد تحيتهم . يريد من أمه رفعه ليرى الجنود بصورة أفضل ؛ ويكون مرئياً لهم أكثر . كل هذا يدخل الجسر ، يرد صدى أخشابه وحجارته ، فيدخل جثة فرجينيا . جهها مضغوط من جانبه بالدعامة ، يمتص ذلك كله : الشاحنة والجنود ، الأم والطفل .

مسز دلاواى

عليها أن تبتاع الأزهار من هناك . تتظاهر كلاريسا بالسخط (رغم حبها لهام كهذه) ، تترك سالى تنظف الحمام وتسرع بالخروج ، تعد بالعودة خلال نصف ساعة .

مدينة نيويورك . نهاية القرن العشرين .

يفتح باب الدهليز على صباح رائع من يونيو وتقف كلاريسا ضئيلة الجسم كما تود عند العتبة بحافة حمام السباحة ، ترقب الماء الفيروزى وهو يرتطم بالقرميد ، السائل يصطاد الشمس حين تخفق بالأعماق الزرقاء . بينما تقف على حافة حمام السباحة تؤخر الغطس لحظة ، غشاء سريع من الرجفة ، صدمة صافية من الغمر. نيويورك فى لغطها وعجزها البنى الكالح، انحطاطها غير المحدود ، فتبرز دائماً صباحات صيفية قليلة كهذه ، صباحات تغزو كل مكان بتوكيد حياة جديدة تنتهى إلى كوميديا تقريباً ، كشخصية كاريكاتورية تتحمل عقوبات شائنة بلا نهاية ، وتنبعث دائماً غير محترقة ، غير مبعثرة ، جاهزة للمزيد . هنا يونيو من جديد ، بشجر على طول الشارع العاشر ينبت أوراقاً صغيرة كاملة بمربعات وسخ الكلاب والمغلفات المطروحة حيث تقف . هناك صندوق نافذة العجوز المجاورة ، ممتلئ كما هو دائماً بنباتات الجيرنيوم البلاستيكية الحمراء المقحمة على الوسخ ، تطلع هنديباء تالفة .

يالها من هزة ، يالها من صدمة ، أن تعيش صباحاً مزدهراً من يونيو ، كامتياز مخز تقريباً بمهمة بسيطة للركض . كلاريسا فوجان شخص عادى (فى هذا العمر ، لماذا نتبرم بمحاولة إنكاره ؟) ، عليها أن تبتاع الأزهار وتقيم حفلاً . بينما تخطو كلاريسا للنزول من الردهة يواصل حذاؤها حازماً على الحجارة البنية الحمراء شبيهة بزجاج درجات السلم الأولى . بالثانية والخمسين ، فقط الثانية والخمسين ، وفى صحة جيدة على غير العادة . تحس طيلة الوقت بصلاحيتها لفعل ما فعلته ذلك اليوم فى ويلفليت ، بعمر الثامنة عشرة ، تخطو خارجة من الأبواب الزجاجية إلى نهار شبيه بهذا جداً ، طازج وصاف بدرجة مؤلمة ، يشب نامياً . هناك يعاسيب بحركة لولبية وسط عشب البرك . هناك رائحة عشبية حادة بنسغ الصنوبر . خرج ريتشارد من خلفها ، وضع يداً فوق كتفها وقال «أهلاً ، مسز دلاواى» (١) . اسم مسز دلاواى ، فكرة ريتشارد - نزوة اقترحها ذات ليلة وهو هاجع سكران يؤكد أن فوجان ليس اسمها الصحيح . قال يجب عليها أن تتسمى باسم شخصية عظيمة من عالم الأدب ، وبينما تجادله على ايزابيل آرشر أو أنا كارنينا (٢) ، كان ريتشارد يصر على مسز دلاواى كاختيار مفرد أوضح. مسألة اسمها الأول . علامة واضحة لا لبس فيها وأكثر أهمية ، السؤال الأكبر عن المصير . أما كلاريسا فلم يقدر لها بوضوح أن تنجز زواجاً مشؤوما أو تسقط تحت عجلات قطار . قدر لها أن تفتن وتزدهر . هكذا كانت مسز دلاواى وهكذا ينبغى أن تكون . فى ذلك الصباح قالت

---

(١) مسز دلاواى: رواية فرجينيا وولف المشهورة، التى يعتمد عليها الراوى هنا بقدر من التناص. (م).
(٢) إيزابيل أرشر: بطلة رواية هنرى جيمس «بورتريه سيدة». أنا كارنينا: بطلة رواية تولستوى بالاسم نفسه وكانت نهاية إيزابيل زواج مشئوم، ونهاية كارنينا تحت عجلات قطار. (م).

مسز دلاواى إلى ريتشارد «أليس جميلاً ؟» ، رد «الجمال عاهرة ، أفضل عليه المال» ، وكان يفضل الذكاء . ولكون كلاريسا أصغر وامرأة وحيدة ، فتحس أنها محملة بعاطفية معينة ، ولو كان آخر يونيو لأصبحت وريتشارد عشيقين.

مر شهر كامل تقريباً منذ غادر ريتشارد فراش لويس (لويس خيال لولد فلاح ، تجسيد حى لشهوانية كسولة العينين) وجاء إليها.

قالت «من المفترض أنى أحب الجمال» ورفعت يده من على كتفها ، لأسفل قليلاً على طرف إصبعها السبابة ، بأقل خشونة عما قدرت . كانت فى الثامنة عشرة ، باسم جديد . تفعل ما تحب .

يصدر حذاء كلاريسا أصواتاً كورق السنفرة وهى تنزل السلالم بطريقها لتبتاع الأزهار . لماذا لا تحس أنها أكثر وقاراً مقابل حظ ريتشارد الموفق بتزامن خاطئ (صوت متنبئ مبرح ، برسائل أمريكية») وذبوله (ليس عندك هاتف متحرك، لا شئ نكشف عنه) ؟ ماذا من خطأ فيها ؟ تحب ريتشارد وتفكر فيه بانتظام ، ربما اليوم أكثر قليلاً . تحب الشارع العاشر بصباحه الصيفى المعتاد . تحس أنها أرملة فاسقة عولجت بالأكسجين حديثاً تحت خمارها الأسود ، وعينها على رجال مرغوب فيهم لدى صحوة زوجها . بين ثلاثتهم – لويس ، ريتشارد ، كلاريسا – كانت كلاريسا دائماً صاحبة أقسى القلوب وأكثرهم نزوعاً إلى الرومانسية . تحملت العذاب أكثر من ثلاثين عاماً ؛ قررت من وقت طويل أن تستسلم فتستمتع باستجاباتها الشهوانية الفوضوية ، يشجعها ريتشارد فتميل لأن تكون فظة هائمة كطفل متوتر مبكر النضج ، تعرف أن شاعراً مثل ريتشارد يتحرك عابساً بالصباح نفسه ، يحرره طارداً القبح الطارئ مع الجمال الطارئ ، ينشد الحقيقة اقتصادية وتاريخية خلف منازل البلدة القرميدية القديمة ، الكنيسة الأسقفية

بحجر كالح متراكب ورجل نحيل بمنتصف العمر ينزه كلب صيده الصغير جاك رسيل (كلاب صغيرة مقوسة الساقين ، بوجود كلى فجأة فى الجادة الخامسة) ، بينما تتسلى كلاريسا بهذه المنازل والكنيسة والرجل والكلب ، ببساطة ودون مبرر . تعرف أنه أمر طفولى . تنقصه الحدة . لو قدر لها التعبير عنه علانية (فى عمرها الآن) ، فقد يسلمها هذا الحب من جانبها لعالم السذج والبلهاء ، مسيحيين بقيثارات مسموعة أو زوجات وافقن أن يكن مسالمات مقابل صلاحهن . لا يزال هذا الحب المشوش يحس كلياً بجديتها ، حيث كل شئ بالعالم جزء من هدف مبهم شاسع وكل شئ بالعالم له اسم سرى ، اسم لا يبلغ بطريق اللغة لكنه بسيط بمنظر وملمس الشئ نفسه . تفكر بهذه الفتنة القدرية الباقية كأنها روحها (كلمة عاطفية مربكة ، فماذا نطلق عليها أيضاً ؟) ؛ الجزء الذى ينقذ موت الجسد فى الخيال . لا تكلم كلاريسا أحداً عن ذلك . لا تدقق أو تسقسق . تهتف فقط ببيانات الجمال الواضحة . وعندئذ تتوصل لمقولة عن كبت البالغين . تقول أحيانا ، الجمال عاهرة ، أفضل عليه المال .

ستقيم حفلها الليلة . تملأ حجرات شقتها بالطعام والأزهار ، بأصحاب الذكاء والتأثير . ترعى ريتشارد بذلك ، ترى أنه ليس مفرط التعب ، وترافقه بعدها لتسلم جائزته .

فردت كتفيها وهى تقف بركن الشارع الثامن والجادة الخامسة ، ترقب الضوء . هاك هى ، يفكر ويلى باس وهو يمر بها فى بعض الصباحات هنا . هيبية عجوز بجمال قديم ، شعر رمادى غير هياب لا يزال طويلاً ، تلبس بدوراتها الصباحية الجينز وقميصاً رجالياًقطنياً ، بخف يخص أعراقا أخرى (الهند ؟ أمريكا الوسطى؟) فى قدميها . لا تزال تهب جاذبية جنسية ؛ بوهمية معينة ، نوعا من فتنة السحر ؛ رغم ذلك تجيد هذا الصباح منظراً

تراجيدياً ، تقف مستقيمة بقميصها الكبير وجذائها الغريب ، تقاوم فلع الجاذبية ، فيل ماموث نسوى ينهض فعلياً على ركبتيه من القار ، ترتاح بين المتاعب وهى تتظاهر بتأمل الأعشاب الرقيقة فى الضفة البعيدة ، فتبدأ تعرف أنها ستظل هنا ، وحيدة فى شرك ، حين يخرج أبناء آوى بعد الظلام. ترقب الضوء بصبر . كانت مثيرة منذ خمسة وعشرين عاماً ، وكان الرجال يموتون سعداء بين ذراعيها . ويلى باس فخور بقدرته على تمييز تاريخ الوجوه ؛ يفهم أن الكبار حالياً كانوا ذات يوم شباباً . يتغير الضوء ، وهو يمضى إلى حال سبيله .

تعبر كلاريسا الشارع الثامن . تحب بيأس منظر التليفزيون التالف المهجور على الإفريز، فى صفه فردة خف جلدى أبيض مفتوح . تحب عربة البائع بأكوام القرنبيط والخوخ والمانجو ، كل منها مرقم ببطاقة عليها السعر بخط مزدحم : «١,٤٩ $!!» ، «٣ بدولار واحد !؟!» ، «٥٠ سنتاً للواحدة !!!!!» . أمامها تحت القوس عجوز برداء داكن مخيط بعناية ، تبدو كمن تغنى متركزة بدقة بين تمثالى جورج واشنطن التوأمين ، المحارب والسياسى، وقد دمر الطقس وجهيه . يدفعك إلى المدينة ولع وجيشان ؛ تعقيداتها وحياتها اللانهائية . تعرف حكاية مانهاتن ، برية مرفوعة بخيوط من خرز لكن يصعب عليك ألا تصدق أنها كانت مدينة ؛ لو حفرت تحتها فستجد حطام مدينة أخرى ، أقدم ، ثم أخرى وأخرى . تحت الإسمنت وعشب الحديقة (تعبر الحديقة الآن ، حيث تلقى العجوز برأسها للوراء وهى تغنى) تقع عظام المدفونين بحقل الخزاف الذى مهد ببساطة منذ مائة عام لإنشاء ميدان واشنطن . تمشى كلاريسا فوق أجسام الموتى بينما يهمس الرجال لبيع مخدرات (ليس لها) وثلاث فتيات سوداوات ينطلقن للأمام على زلاجات دوارة والعجوز تغنى !!!!!! ، دون أنغام ، كلاريسا متقلبة شديدة

التحمس على حظها ، حذاؤها جيد (بالمزاد من محل بارني لكن لا يزال جيداً) ؛ رغم كل شئ هنا قذارة ثابتة بالحديقة ، مرئية تحت معطف عشب وأزهار ؛ هنا تجار مخدرات (يقتلونك لو تفاقم الأمر ؟) ومجاذيب ، فاقدو الصواب وحائرون ، نفد حظهم حتي لو كان ما لديهم قليل منه . لا تزال تحب العالم لكونها طبيعية غير قابلة للتلف ، تعرف أن الآخرين يحبون ذلك أيضاً ، الفقراء كالأغنياء ، فلا أحد يتحدث وإن عرضاً عن العلل . لماذا نكافح إذن لمواصلة الحياة ، مهما كانت الفضيحة ، مها كانت الأذية ؟ حتى لو ذهبنا أبعد من ريتشارد ؛ لو كنا غير شهوانيين ، نتقد بالأذى ونخزى من الملاءات ؛ فسنرغب الحياة باستماتة . تفكر بالتكيف مع ذلك . تطن العجلات على الإسفلت ، قلق وصدمة ، تهب صفحة لامعة من رشاش نافورة بينما يقذف شبان عراة الصدور بقرص دوار ويطلق بائعون (من بيرو ، جواتيمالا) دخاناً حريفا قوياً لأعلى من عرباتهم الفضية المغطاة ؛ رجال ونساء عجائز يرشحون من الشمس على مقاعدهم ، يتحدثون بنعومة كل مع الآخر ، يهزون رؤوسهم ، نفير سيارة ومداعبة أوتار القيثارات (يلهب مجموعة هناك، ثلاثة أولاد وفتاة ، هل يعزفون «بارتفاع ثمانية أميال » ؟) ؛ يخلف ذلك ومضاً على الشجر ؛ كلب منقط يطارد الحمام وراديو عابر يعزف «أحبك دوما» بينما تقف ذات الرداء الداكن تحت القوس وهي تغني !!!!!!.

تعبر الساحة ، تتلقى رشاشاً سريعاً من النافورة ، يظهر هنا ولتر هاردى ، عضلياً في شورته وقميصه الأبيض المبتل ، ينجز رحلته ، وقفة رياضية بحديقة ميدان واشنطن ينادى ولتر مازحاً «أهلاً ، كلير» ، وتمضى لحظة حرج عن كيفية القبلة . يهدف ولتر بشفتيه إلى شفتى كلاريسا فتدير فمها بشكل غريزى بعيداً عنه ، تعرض خدها بدلاً منه . تلم نفسها ، تدور عائدة وقد تأخرت نصف ثانية ، فتلحق شفتا ولتر ركن فمها فتلمسه . تفكر

كلاريسا ، إننى متزمتة للغاية مثل جدة. أنتشى بجماليات العالم لكنى راغبة عنها ، كأن أقبل صديقاً على فمه ببساطة ضوء منعكس . أخبرها ريتشارد منذ ثلاثين عاماً ، كل إحداثيات زوجة طيبة من الضواحى تقع مباشرة تحت قشرة بنوتتها المنتحلة ، وهى الآن مكشوفة أمام نفسها مثل روح هزيلة تقليدية للغاية ، وهذا سبب لعذاب كبير . لا عجب أن تعاندها ابنتها .

يقول ولتر «لطيف أن أراك» . تعرف كلاريسا - ترى عملياً - أن ولتر يعمل بذهنه فى هذه اللحظة على سلسلة تقويمات معقدة تتعلق بتميزها الشخصى . نعم ، هى امرأة الكتاب ، موضوع الرواية المتوقعة لكاتب خرافى تقريبا ، لكن الكتاب فشل ، هل فشل ؟ يعاد فيه النظر بفظاظة ؛ فينساق صامتاً تحت الأمواج . يقرر ولتر إنها كأرستقراطية منعزلة ، مثيرة دون أهمية تذكر بشكل معين . تراه يتوصل لقراره . فتبتسم .

تسأله : «ماذا تفعل فى نيويورك يوم سبت ؟»

يقول «نقضى أنا وإيفان نهاية الأسبوع بالمدينة ، فهو يستحسن هذا المزيج الجديد» .

يقول إنه يريد الذهاب للرقص الليلة ».

«أليس هذا كثيراً ؟»

«أراعيه بعينى . لن أدعه ينهك نفسه . يريد فقط أن يكون فى العالم من جديد».

«تعتقد سيأتى إلينا هذا المساء ؟ فسنقيم حفلاً صغيراً لـ ريتشارد ، على شرف جائزة كاروترز» .

«أوه . عظيم».

«سمعت بها ؟» .

«طبعاً » .

«ليست سنوية . لا حصص مالية لديهم مثل نوبل وغيرها . يكافئون بها ببساطة حين يدركون أحقية غير منكرة لعمل مميز».

«عظيم».

تقول «نعم» ، وتضيف بعد لحظة «آخر متلقيها أشبرى قبله ميريل وريتش وميروين» مر ظل برئ على وجه ولتر العريض . تعجب كلاريسا : ألا تزال تحيره الأسماء ؟ أم ربما كان حاسداً ؟ هل يتخيل نفسه يجادل شرفاً كهذا ؟

تقول «اسفة لم أخبرك عن الحفل مبكراً . فلم يخطر ببالى أنك هنا .. لم تمضيا أنت وإيفان نهاية الأسبوع بالمدينة من قبل».

يقول ولتر إنه سيأتى طبعاً وسيحضر إيفان لو أحس بقابلية ، رغم أن ايفان سيختار قطعا ادخار جهوده للرقص . سيهيج ريتشارد لدى سماعه أن ولتر مدعو، وتسانده سالى بالتأكيد . تتفهم كلاريسا . هناك قلة بهذا العالم أقل غموضاً من أولئك المترفعين كما تحس لدى ولتر هاردى ، فقد أنتخب لتبديل ست وأربعين قبعة وقميصاً فى لعبة البيسبول ؛ وأثرى فاحشاً بكتابة روايات رومانسية عن الوله والفقد يتداولها شبان متعضلون ؛ وهو يظل طيلة الليل يرقص على موسيقى منزلية ، موهوباً صامداً لا يكل كراع ألمانى يسترد عصاه .. ترى رجالاً مثل ولتر فى كل من تشيلسا والقرية ، رجالاً بالثلاثين والأربعين أو أكبر يصرون دائماً على أنهم أقوياء بدنياً وأكثر مرحاً وثقة ، لم يكونوا أبداً أطفالاً غرباء ، لا مهانين ولا مستذلين . يجادل ريتشارد فى أن الشواذ الخالد شبابهم يؤذون القضية أكبر مما يفعل الغاوون بأولاد صغار ، وصحيح أن ولتر لا يحمل ظل سخرية بنزعة غلمانية أو كلبية ، لا شئ يتعلق فى أعماقه بالشهرة والموضة ، أو أحدث مطعم . رغم ذلك تقدر كلاريسا براءته الجشعة . ألا نحب الأطفال جزئياً ، لأنهم

يعيشون خارج عالم الكلبية والسخرية ؟ أليس مفزعاً للإنسان أن يريد شباباً أكثر ، متعة أكثر ؟ لكن ولتر مع ذلك ليس فاسداً ؛ ليس فاسداً بالضبط فهو يكتب أفضل ما يستطيع من كتب - كتب مليئة برومانسية وتضحية ، بشجاعة فى وجه البلاء - تقدم راحة حقيقية بالتأكيد لعدد من الناس ويظهر اسمه بانتظام فى دعوات أصحاب الأرصدة ورسائل الاحتجاج ؛ كما يكتب محرجا دعايات سخية للكتاب الشبان . ويراعى إيفان بإخلاص وطيبة . تعتقد كلاريسا إنك يمكن أن تقيس الناس بداية هذه الأيام بمنطق رقتهم وقدرتهم على الإخلاص . فقد تتعب أحياناً من الذكاء والعقل ؛ من الاستعراض المحدود لعبقرية الجميع . أما هى فترفض أن تكف عن الاستمتاع بضحالة ولتر هاردى المخزية ، حتى لو اندفعت سالى فى طريق الخبل فألهمت ريتشارد بالتساؤل عالياً أن كانت كلاريسا مجرد عابثة قليلاً وحمقاء تقول كلاريسا «حسن . تعرف أين نسكن ، هه ؟ الخامسة» .

«الخامسة».

«يتطلب الأمر مجيئك أبكر . فالمراسم بالثامنة ، وسنقيم الحفل قبلها بدلاً من بعدها . فلم يعد ريتشارد يتحمل سهر الليالى».

«حسن . الخامسة . أراك عندئذ» . يضغط ولتر يد كلاريسا وهو يمشى خطوتين متباهياً بحيوية جبارة . إنها مزحة عنيفة أن تستضيف ولتر على حفل ريتشارد ، لكن ولتر عاش صباح يونيو كهذا ، مثل كلاريسا ، وسيحس بازدراء فظيع لو اكتشف (ويبدو أنه يكتشف كل شىء) أن كلاريسا تحدثت معه فقط يوم الحفل ولم تذكر ذلك عمداً . ريح تهز أوراق الشجر فتظهر خضرة جانبها السفلى البراقة أكثر رمادية ، وتتمنى كلاريسا فجأة وبعجلة مدهشة ، لو كان ريتشارد بجانبها هنا ، والآن - لا ريتشارد الحالى بل ريتشارد عشرة أعوام مضت ؛ ريتشارد الجسور ، المتحدث بلا انقطاع ،

ريتشارد ذبابة الخيل . تريد أن تناقش ذلك الـ ريتشارد عن شأنه مع ولتر . قبل تدهور ريتشارد ، كانت كلاريسا تقاتله دائماً . كان ريتشارد يقلق فعلاً من أسئلتها عن الخير والشر ، ولم يكن من عشرين عاماً منعزلاً عن الفكرة التى تمثلت بقرار كلاريسا مخادنة سالى ، لو لم يظهر يومياً فساد عميق ، ضعف على الأقل من جانبها (لم يعترف به ريتشارد) يتهم النساء بشكل عام ، يبدو أنه قرر مبكراً أن كلاريسا لا تتحمل فقط نفسها بل هبات وزلات جنسها بكامله . كان ريتشارد دائما رفيق كلاريسا الصارم المغيظ وصديقها المفضل ، ولو ظل ريتشارد كما هو لم ينبذه المرض ، لظلا معا حتى الآن يتناقشان فى ولتر هاردى ومسألة الشباب الخالد ، فى ولع الشواذ بتقليد الأولاد الذين يعذبونهم بمدرسة ثانوية . ولكان ريتشارد العجوز قادراً على الكلام نصف ساعة أو يزيد عن عدد من التأويلات المحتملة لكتاب بوتشيلى السخيف «فينوس» التى رسمها شاب أسود بالطباشير على الإسفلت ، ولو لاحظ ريتشارد كيس البلاستيك تذروه الرياح حتى انتفخ على سماء بيضاء، مرقرقاً كقنديل بحر ، لواصل تدبر الكيماويات وأرباحه اللانهائية ، كيد تأخذ. كان يريد الكلام عن الكيس (فلنقل كان يحوى رقائق بطاطس وموزاً زائد النضج ؛ فلنقل إن أما منهكة معوزة ألقت به دون مبالاة قبل أن تترك محلاً وسط قطيعها من الأطفال المتشاجرين) منتفخاً بشارع الهدسون ثم طافياً على طول الطريق إلى المحيط ، حيث تخطئه سلحفاة بحرية أخيراً ، كمخلوق يستطيع العيش مائة عام ، لصالح قنديل بحر يلتهم الكيس ثم يموت ، لن يستحيل على ريتشارد التنقل من ذلك الموضوع مباشرة إلى سالى ؛ ليستفسر عن صحتها وسعادتها برسمية جادة . لديه عادة السؤال عن سالى بعد إحدى خطبها المطولة ، كأن سالى نوع من ملاذ آمن مبتذل ؛ كأن سالى نفسها (الرواقية المعذبة ، الحكيمة البارعة) غير مؤذية ولا مشوقة

كمنزل بشارع هادئ أو سيارة جيدة صلبة موثوق بها . لن يعترف بذلك ريتشارد ولن يشفى من بغضها أبداً ، لن يطرح قناعته بأن كلاريسا قد أصبحت زوجة اجتماعية من باطنها ، ولن تعنيه حقيقة أنها مع سالى لا تحاولان إخفاء حبهما أمام أحد ، أو أن سالى مخرجة التليفزيون العام امرأة ذكية مخلصة للسماء – كم هى مجدة كثيراً ومسئولة أجتماعياً ، لكن راتبها ضعيف بشكل درامى ، فهل تحتاج لكينونة ؟ دعك من الكتب الجيدة ، الكاسدة الفاضحة التى تصر كلاريسا على نشرها جنب موضوعات مثيرة تمهد طريقها . دعك من سياساتها وعملها كله مع إدارة الأشغال العامة .

تعبر كلاريسا شارع الهدسون وتفكر فى التقاط شئ بسيط لـ إيفان ، ليسلم بصحته المتقلبة المترددة . لا أزهار ؛ لو كانت الأزهار خطأ حاذقاً للمتوفين فهى كارثة على المرضى . لكن ماذا ؟ إن محلات سوهو مليئة بفساتين حفلات ومجوهرات وأشياء بورجوازية (٣) ؛ فلا يوجد ما تأخذه لشاب ماهر مهيب قد يعجبه أو لا ، ضرب من المخدرات قد يوسع مدى حياته العادية . ماذا يريد أى امرئ؟ تعبر كلاريسا محلاً وتفكر بشراء فستان لـ جوليا ، ستبدو فاتنة فى ذلك الأسود القصير مع شرائط آنا ماجنانى ، لكن جوليا لا ترتدى فساتين ، بل تصر على قضاء شبابها ، تلك الفترة القصيرة التى يرتدى فيها المرء أى شئ ، فى الرقص هنا وهناك بقمصان رجال وأحزمة جلدية عليها بكرات لون رماد الفرن . (لماذا تحكى لها ابنتها القليل ؟ ماذا حدث للخاتم الذى منحتها إياه كلاريسا فى عيد ميلادها الثامن عشر ؟) هاهنا مكتبة صغيرة رائعة بشارع سبرنج . قد يستهوى إيفان كتاب . معروض بالواجهة واحد (واحد فقط !) لـ كلاريسا،

---

(٣) بالنص كلمة بيدرمار: اسم ساخر لبورجوازية ألمانية سادت كنمط حياة للطبقة الوسطى أول القرن التاسع عشر. (م).

بالإنجليزية (جريمة ، لماذا يجب عليها أن تقاتل لطبع عشرة آلاف نسخة ، فسيسعدهم الحظ على أسوأ تقدير فى بيع خمسة) ، جنب ملحمة عائلة أمريكية جنوبية خسرت فى شراء منزل ضخم ، فشلت فى إحراز مكسب واضح لأسباب غامضة ، فهى محترمة لكن غير محبوبة . هناك سيرة جديدة لـ روبرت مابليثورب ، قصائد لويس جليك ، لكن لا شئ يبدو مناسباً . كلها عمومية جداً أو خصوصية جداً ، تريد أن تهبه كتاباً عن حياته هو ، كتاب يستقر به ، يوضح نسبه ، يسنده فى الملمات . لا يمكنك أن تستظهره بنميمة الاحتفالات ، أتستطيع ؟ لا يمكنك استحلاب حكاية روائى إنجليزى مغيظ أو مصائر سبع أخوات فى شيلى ، مهما كانت مكتوبة بشكل جميل ، فإن ايفان يحب تقريباً قراءة الشعر وهو يرسم على شرائحه الصينية .

يبدو أنه لا راحة هناك فى عالم المدركات ، وتخشى كلاريسا ذلك الفن فى أفضل تجلياته (بما فيه مجلدات شعر ريتشارد الثلاثة وروايته الوحيدة التى لا تقرأ) ، فهو عالم مدركات مزمن . تقف أمام واجهة المكتبة ، تزورها ذكرى قديمة ، فرع شـــجرة يدق على نافذة بينما تبدأ موسيقى خافتة من مكان آخر (دور سفلى ؟) ، أنين خفيض لفرقة جاز يرتفع من فونوغراف . ليست هذه ذكراها الأولى (يبدو أنها تتضمن حلزوناً زاحفاً على شفا حاجز حجرى) ولا حتى ثانيتها (صندل أمها القش ، وربما الاثنتان مختلطتان) ، لكنها تحس بهذه الذكرى أكثر من الأخريات متعجلة وعميقة ، مريحة تقريباً بشكل خارق للطبيعة ، ربما كانت كلاريسا بمنزل فى وسكنسن ؛ أستأجره أحد آبائها العديدين فترات الصيف (نادراً ما يأتى أحدهم مرتين – فكل منهم كان يهزم أمام أمها فتنخرط بحكاية متواصلة ، جولات الدمع لعائلة فوجان فى وسكنسن ديلز) . كانت كلاريسا حينذاك بالثالثة أو الرابعة ، فى منزل لن تعود إليه من بعد ، لا تحتفظ له بأى ذكرى عدا هذه لكنها مميزة

بوضوح أصفى من أشياء حدثت أمس : فرع شجرة يدق على نافذة بينما تبدأ موسيقى ؛ كأن الشجرة لكونها قلقة من الريح تحدث موسيقى . يبدو أنها بدأت تسكن العالم فى تلك اللحظة ؛ تتفهم وعوده ضمن نظام أوسع من سعادة الإنسان، رغم أن سعادة الإنسان مكفولة مع كل انفعال آخر. كان الفرع ومسألة الموسيقى أكثر أهمية عندها من كلّ الكتب بواجهة المكتبة. تريد لـ إيفان ولنفسها كتاباً يحمل ما تحمله تلك الذكرى الوحيدة. وقفت تنظر للكتب فبانت صورتها على الزجاج (لاتزال تنظر مباشرة هناك، وسيمة الآن بعد أن كانت جميلة – متى بدأ ينبعث النسيج المجعّد وهزال الشفتين الذاويتين بوجه المرأة العجوز؟)، عندئذ تواصل المسير، آسفة على الفستان الأسود القصير البديع لأنها لن تشتريه لابنتها، حيث يستعبد جوليا أحد المنظّرين المهووسين فتصرّ على تى شيرت وبوت مصارعة. تحترم مارى كرول فهى لا تمنحك أى خيار، تعيش كما تهوى على شفا الفقر، تذهب للسجن بأسباب منوّعة، تحاضر عاطفياً فى نيويورك عن التنكّر الحزين المعروف باسم الجنس. تودّ لو تحبها وتجهد فى ذلك، لكن تجدها فى النهاية استبدادية بحدّتها الأخلاقية والفكرية، ومظهرها اللانهائى مستقيمة بجاكتها الجلدى مقصوص الحافة. تعرف أنها تهزأ منك بشكل خاص، من مسراتك وأفكارك الطريفة (تعتبرها طريفة) عن هويّة السحاق. تتعب من تعاملها معك كعدو ببساطة لأنك لم تعد شاباً وتلبس بشكل غير منتقد. تريد الصراخ فى مارى كرول فلا يُبدى ذلك أىّ اختلاف، تودّ لو تدخل رأسك عدة أيام فتحسّ بالعذاب والمحن، بخوف غير محدّد. تعتقد – كما تعرف – أنك ومارى كرول تعانيان من مرض أخلاقى بعينه، وساوس روح واحدة، وبدورة اتصال بأصدقاء لكما معاً، لكن تدّعى أنها ابنتك فتجلس بشقّتك المريحة تبغضها كما ينبغى لأى أبّ جمهورى. والد كاريسا مهذّب بدرجة نصف شفاف فهو

يهوى رؤية النساء بفساتين سوداء قصيرة. وحين يتعب والدها يتخلى عن قوة منطقه بالطريقة التى يتخلى بها عادة عن النقاش، فذلك أسهل ببساطة من الموافقة. فى ماكدوجال، تُطلق شركة فيلماً وسط فوضى معتادة من شاحنة وعربات نقل معدات وضفاف أنوار بيضاء. ها هنا عالم فطرىّ، فيلم ينطلق، ولد بورتوريكى يستدير لفتح مظلة بقائمها الفضىّ. ها هنا العالم وأنت تعيش فيه، ممتناً. تحاول أن تكون ممتناً.

تدفع باب محل الأزهار لتفتحه، وكان يتلبّث دائماً قليلاً، ثم تدخل، امرأة طويلة بكتفين عريضين وسط باقات ورد وأزهار ياقوتية، مسطحات طحلبية من ورق أبيض، نباتات سحلبية ترتجف على سيقانها. تقول باربرة التى تعمل فى المحل منذ سنين، أهلاً. بعد سكتة، تعرض خدها لتلقّى قبلة.

تردّ كلاريسا «أهلاً». شفتاها تلمسان جلد باربرة فجأة، لحظة كاملة على غير توقع. تقف بالعتمة، معلّقة من السقف وحاجز مزين بأشرطة تتدلى على الحائط الخلفى. هناك فرع يدق على لوح نافذة وهناك آخر، رغم أنها كانت أكبر بخمس أو ست سنوات بحجرة نومها، كان الفرع مغطى بأوراق حمراء، تذكر أنها كانت تفكر بتوقير عندئذ فى ذلك الفرع الأقدم، يبدو أنه كان الذى يثير موسيقى بالدور السفلى، تذكر أنها أحبّت ذلك الفرع الخريفى لأنه يذكرها بالفرع الأقدم، ذلك الذى يدق على نافذة منزل لن تعود إليه من بعد، ولا تستطيع تذكر أى من خصائصه. هى الآن هنا بمحل أزهار، كومة خشخاش بيضاء ومشمش على سيقان مشعرة طويلة. تزم أمها شفتيها، وكانت تحتفظ بعلبة نعناع فرنسى ثلجى البياض فى كيسها، تقول عن كلاريسا إنها مجنونة بنت مجنونة، بنغمة إعجاب جذابة.

تسأل باربرة «كيف حالك»؟

تقول «خير، خير . سنقيم حفلاً صغيراً الليلة لصديق فاز بجائزة أدبية

رفيعة».

«البوليتزر»؟

«لا . جائزة تُدعى كاروترز».

تعرض باربرة تعبيراً فارغاً ففهمت كلاريسا ما تقصده بابتسامة. باربرة فى الأربعين أو نحوها، امرأة لحيمة شاحبة جاءت إلى نيويورك لتغنى أوبرا. يذكّرك وجهها بشىء - فك مربّع أو عينان عابستان من دون معنى - أن الناس كانت تبدو متشابهة منذ مائة عام.

تقول «إننا أقلّ تواضعاً الآن، فهناك خمسون حفل زفاف تقريباً هذا الأسبوع».

تردّ كلاريسا «لا أحتاج كثيراً. مجرد باقات صغيرة من شىء أو آخر». تحسّ كلاريسا أنها مذنبة بشكل غير مفهوم لأنها لم تصادق باربرة بشكل أفضل، رغم أنهما يعرفان بعضهما الآخر فقط كزبونة وبائعة. تشترى كلاريسا كلّ أزهارها من باربرة، وقد أرسلت لها بطاقة منذ عام حين سمعت عن فزعها من سرطان الثدى. عمل باربرة لا يسير كما تخطّط، وتعيش إلى حدّ على أجرها بالساعة (هناك شقة، وبانيو بالمطبخ) وقد نفدت من السرطان هذه المرة. للحظة تحوّم مارى كرول حول الزنابق والورد، استعداداً للفزع مما ستنفقه كلاريسا.

تقول باربرة «لدينا بعض أزهار الكوبية البديعة».

«خلّنى أرى». تذهب كلاريسا إلى الثلاجة لاختيار الأزهار، وكانت باربرة تجذبها من أوعيتها قابضة عليها، فتنقّط بين ذراعيها. ربما كانت زوجة ريفية بالقرن التاسع عشر، مهذبة عادية غير سعيدة، تقف فى حديقة. تختار كلاريسا أعواد الفونيا والزنابق رانية النجوم، ورداً لون الكريمة، لا تريد أزهار الكوبية (مذنبة، مذنبة، تبدو كأنها لن تكبر)، وتفكر فى السوسن (هل

السوسن إلى حد ما صغير.. عتيق؟) حينها هلّ صوت ضخم مشتّت من الشارع.

تقول باربرة «ما هذا؟». تذهب هى وكلاريسا إلى الواجهة.

«أعتقد، سينمائيون» .

« ربما، يصورون فيلماً هناك منذ الصباح».

«هل تعرفين عن ماذا؟»

تقول «لا» وتستدير بعيداً عن الواجهة باستقامة عجوز تمسك ملء ذراعها بالأزهار كشبح من ذاتها السالفة منذ مائة عام، تستدير عن قعقعة وصرير عربة عابرة مليئة بمتنزهين فى هيئة كاملة من مدينة بعيدة. تظل كلاريسا تتابع فوضى الشاحنة وعربات النقل. يُفتح فجأة باب الشاحنة ويطل منه رأس شهير. رأس سيدة تُرى من جانب من مسافة، كرأس مطبوع بقطعة عملة، فلم تستطع كلاريسا تحديدها فوراً (ميريل ستريب؟ فينيسا ريدجريف؟) لكن عرفت دون استفهام أنها نجمة سينما. عرفت من شذا توكيدها المهيب، وبالشغف الذى يوليه إياها بالحديث أحد المساعدين (صعُب على كلاريسا سماعة عن مصدر الضوضاء. فينسحب رأس المرأة بسرعة ويُغلق باب الشاحنة من جديد، لكن تُخلّف وراءها حسّاً لا تخطئه عين من اعتراض يقظ، كأن ملاكاً لمس رفيقاً سطح العالم بخُفّ قدمه، فسأل إن كانت هناك متاعب، وحين أخبروه أن كل شىء على ما يرام استعاد مكانه بالأثير مع جاذبية مرتابة، ذكّرت أطفال الأرض بالثقة المحدودة فى إنجاز أمالهم ، وأن ذلك الإهمال المتزايد لن يمرّ دون تمييز.

مسز وولف

قالت مسز دلاواى شيئاً (ماذا؟)، وتناولت الأزهار بنفسها.

بضاحية فى لندن – ١٩٢٣.

تستيقظ فرجينيا. طريقة أخرى للبداية بالتأكيد، مع كلاريسا الذاهبة لمهمة فى يوم من يونيو، بدلاً من الجند السائرين لوضع إكليل فى هوايتهول. لكن هل هذه بداية صحيحة؟ متواضعة قليلاً؟ ترقد فرجينيا هادئة بفراشها، يجرفها النوم من جديد بسرعة حتى لا تعى مطلقاً أنها راحت فى النوم. يبدو فجأة أنها لم تكن بفراشها بل فى حديقة، حديقة مخضوضرة، أخضر وراء أخضر – رؤية أفلاطونية لحديقة مألوفة فوراً بمقعد سرىّ، تقتضى بداهة ما تفعله الحدائق بينما يغلب النعاس المرأة العجوز بالشال على المقعد المضلّع كشىء حىّ عتيق، لا طيب أو غير طيب، متهلّل فى ديمومة ترتبط بالعالم الأخضر للمزارع والمروج والغابات والحدائق. تتحرك فرجينيا بالحديقة دون أن تسير تحديداً، تطفو كريشة إدراك غير مجسّدة. تُبين لها الحديقة عن ضفاف الزنبق والفونيا، بممرات مُحصبة يحدّها ورد لون الكريمة. تنتصب صخرة عذراء حتّ منها الطقس على حرف بركة صافية وعرائس ماء. تتحرك فرجينيا فى الحديقة كالمُكرهة بوسادة هواء، تفهم أن حديقة أخرى تقع ما وراء الحديقة، حديقة عالم سفلى أكثر منها روعاً وفزعاً، الجذر الذى تطلع منه المروج والأشجار. فكرة حقيقية لحديقة، لا شىء أبسط

كالجمال. استطاعت رؤية الناس الآن، صينىّ ينحنى ليلقط شيئاً من العشب، فتاة صغيرة ترتقب. أماماً هناك، بدائرة أرض محروثة حديثاً، تغنى امرأة.

تنتبّه فرجينيا ثانية. هنا بحجرة نومها فى منزل هوجارت. نور رمادىّ يملأ الحجرة، خفيف بدرجة معدنيّة، ترقد وحياة سائلة بيضاء رمادية فوق مفرش سريرها. فضّة بحوائط خضراء. تحلم بحديقة وهى تحلم بسطر فى كتابها الجديد - ماذا يعنى ذلك؟ أزهار، شىء تفعله بأزهار. أو شىء تفعله بحديقة؟ هل كان شىء يغنى؟ لا، السطر ضاع، ولا يهم ذلك حقاً فلا تزال تحسّ كمونه من خلفها. فتعرف أنها تستطيع النهوض والكتابة.

تنهض من فراشها وتذهب إلى الحمام. ليونارد مستيقظ فعلياً، ربما يعمل هناك. تغسل وجهها بالحمّام. لا تنظر مباشرة فى المرآة البيضاوية المعلقة فوق الحوض. تعى حركاتها المنعكسة بالزجاج لكن لا تسمح لنفسها بالنظر. المرآة خطيرة، فهى تُظهر أحياناً تجليات الهواء المعتمة التى تناسب جسمها، توائم هيئتها، بل تقف خلفها، تراقبها بعينين خنزيريتين مبللتين وتنفّس مقموع. تغسل وجهها ولا تنظر، لا هذا الصباح طبعاً، ولا حين ينتظرها العمل فتكون متوترة من انضمامها إليه بطريقة انضمامها لحفل بدأ فعلياً بالدور السفلى، حفل مفعم بالظُرف والجمال بل مفعم أيضا بما هو أكثر نعومة من الظُرف والجمال، شىء ملغز وذهبى، شرارة احتفال أصعب فى فهمه من الحياة نفسها، كحرائر تحف بأرضيات مُلمّعة وأسرار مهموسة تحت موسيقى. فرجينيا، فتاة بفستان جديد على وشك أن تهبط حفلاً، على وشك أن تظهر على السلالم طازجة كلها أمل. لا، لن تنظر فى المرآة. تنتهى من غسيل وجهها.

حين تُنهى حمامها تنزل فى صباح معتم إلى صالة هادئة. ترتدى معطفها المنزلى الأزرق الشاحب. الليل يسكن هنا. منزل هوجارت لايزال

ليلياً، حتى مع فوضاه بالأوراق والكتب، وسائده اللامعة وسجّاده الفارسيّ. ليس عتمة بحدّ ذاته بل يبدو مستنيراً مقابل الظلام كشمس مبكرة كامدة، تلمع بين الستائر والسيارات والعربات التى تدمدم فى طريق باراديس.

تصبّ فرجينيا لنفسها كوباً من القهوة فى حجرة المائدة، تسير هادئة إلى الدور السفلى، لكن لا تذهب إلى نيللى بالمطبخ. تريد هذا الصباح أن تذهب مباشرة للعمل دون أن تخاطر بكشف المقايضات والشكاوى مع نيللى. قد يكون يوماً بديعاً، يحتاج لمعالجة واعية. تضع الكوب متزناً على صحنه، وتدخل حجرة المطبعة. ليونارد جالس إلى مكتبه، يقرأ بروفات صفحة. الوقت مبكر جداً على رالف وميرجورى. يرفع ليونارد إليها بصره، يستمرّ عليه عبوس للحظة. من البروفات. تعبير تثق به وتخافه، عيناه براقتان ومعتمتان بشكل مستغرق تحت حاجبيه الثقيلين، ركنا فمه مقلوبان لأسفل بتعبير قدريّ قاس لكن ليس نكداً ولا مبتذلاً بأى طريقة - عبوس إلهيّ، مرئيّ كله ومرهق، يأمل أفضل ما فى البشرية، يعرف فقط كم يتوقع. تعبير من كل عمل مكتوب، وهى ضمنه بشكل خاص. رغم ذلك، حين ينظر إليها يبهت التعبير فوراً مستبدلاً بوجه أرقّ وأكثر اعتدالاً لزوج يعهدها برعايته خلال فتراتها الأسوأ، لا يحتاج ما لا تتوفرّ عليه بل يحفزها بنجاح أحياناً حين يعرض كوب حليب كل صباح عند الحادية عشرة.

تقول «صباح الخير».

«صباح النور. كيف نمت»؟

يسأل، كيف نمت. كأن النوم ليس حدثاً بل مخلوق طيّع أو ضارٍ. تقول فرجينيا «بهدوء. هذه بروفة نوم»؟

«نعم».

«كيف تبدو»؟

يعبس ثانية. «وجدت خطأ ولم أكد أتخطّى الصفحة الثانية».

«خطأ البداية محتمل. الوقت مبكر على ثورة غضبك، ألا تعتقد»؟

يسأل «تناولتِ إفطارك»؟

«نعم».

«كذابة».

«تناولت قهوة بالكريمة على الإنطار. كاف».

«الأمر أبعد من كاف. سأجعل نيللى تُحضر لك كعكة وبعضاً من الفاكهة».

«لو أرسلت نيللى تقاطعنى فلا تسألنى عن ردة أفعالى».

يقول «لابد أن تأكلى. ليس هذا بكثير».

«سآكل فيما بعد. ذاهبة للعمل الآن».

يتردد ثم يومىء متذمراً. لا، لن يتدخل بعملها. لكن رفض فرجينيا الطعام ليس علامة طيبة.

يقول «ستتناولين الغداء. غداء حقيقى، حساء وحلوى وكله. بالقوة، لو لزم الأمر».

تقول «سأتناول الغداء»، بنفاد صبر لكن دون غضب حقيقى. تقف طويلة منهكة رائعة بمعطفها المنزلى، القهوة تغلى فى يدها. لايزال أحياناً مشدوهاً بها. يعتقد أنها أكثر النساء ذكاء فى انجلترا. قد تُقرأ كتبها لعدة قرون. يؤمن بهذا متحمساً أكثر من الآخرين. كما أنها زوجته. فرجينيا ستيفن، الشاحبة الطويلة، مجفلة كأنها رمبرانت أو فيلاسكويز، هكذا منذ عشرين عاماً بشقة أخيها فى كيمبردج وكانت بفستان أبيض، وهى فرجينيا وولف التى تقف أمامه الآن. تتقدم فى العمر بصورة درامية، هذا العام فقط، كأن طبقة هواء تسربت تحت جلدها. تكبر منحدرة بالية. بدأت تبدو كمنحوتة من

مرمر رمادى مبيضّ، ينفذ إليها الماء. لاتزال مهيبة، بقوام فتّان، تحتفظ بإشعاعها القمرىّ الهائل، لكنها فجأة لم تعد جميلة.

يقول «حسناً، سأكون جندياً هنا».

ترجع للدور العلوى خلسة، كى لا تنتبه نيللى (لماذا تحسّ دائماً بالتكتم مع الخدم، كأنها مذنبة؟). تصل لحجرة مكتبها، تغلق الباب بهدوء. أمان. تفتح الستائر. وراء الزجاج، تواصل بلدة ريشمون حلمها الرقيق عن نفسها بسلام. أزهار وشجيرات مُعتنى بها، نوافذ أُعيد طلاؤها قبل الأوان. جيران لا تعرفهم، يفعلون ما يفعلون خلف ستائر ونوافذ فيلتهم القرميدية الحمراء. تفكر فى حجرات معتمة ورائحة غير مصنّفة بعد طبخ. تبتعد عن النافذة. لو ظلت قوية صافية، لو احتفظت بوزن لا يقل عن تسعة أحجار ونصف (١)، فسيقتنع ليونارد بالانتقال عائداً إلى لندن. العلاج الباقى، السنين هناك بين أحواض زهر الدلفى الزرقاء وفيلات الضواحى الحمراء، سينجح وستتوافق مع المدينة ثانية. غداء، نعم ستتناول الغداء. كان لابد أن تتناول الإفطار لكن لم تحتمل مقاطعة تستلزمه، التواصل مع مزاج نيللى. ستكتب ساعة أو يزيد ثم تأكل شيئاً. عدم الأكل رذيلة، دواء لأشياء - بمعدتها فارغة تحسّ أنها نظيفة وسريعة برأس صاف، مستعدة لمعركة. ترشف قهوتها، تضعها جانباً، تمدّد ذراعيها. هذه أكثر خبراتها الشخصية، تستيقظ على ما تحسّ أنه يوم بديع، تتجهّز للعمل لكن لم تباشره بعد. فى هذه اللحظة احتمالات لانهائية، أمامها ساعات بأكملها. عقلها يهمهم. ستخترق هذا الصباح حالة التشوش بأنابيبها العائقة، لتصل إلى الذهب. تحسّ به داخلها، كله فيما عدا ذاتها الثانية الرفيعة أو ربما ذاتها الأرفع الموازية. لو كانت متدينة لأطلقت عليها

---

(١) الحجر: وحدة وزن بريطانية تزن ١٤ باوند. (م).

الروح. فهى أكثر من مبلغ ذكائها ومشاعرها، أكثر من مبلغ خبراتها، رغم أنها تجرى كعروق معدنٍ براق فى ثلاثتهن جميعاً. مصنع داخلى يتعرف على ألغاز العالم الحيوية من المادة نفسها، وحين تكون محظوظة تمتاح الكتابة من هناك مباشرة. تعرف الرضى العميق بالكتابة فى هذه الحالة، لكن فورته تأتى وتذهب دون تنبيه. فتلقط قلمها لتتبعه بيدها وهو يتحرك على الورقة، تلقط قلمها فتجد أنها هى نفسها، امرأة بمعطف منزلى تمسك قلماً، خائفة متشككة، مؤهلة باعتدال، دون أية فكرة عن كيف تبدأ أو ماذا تكتب.

تلقط قلمها.

قالت مسز دلاواى إنها ستبتاع الأزهار بنفسها.

مسز براون

قالت مسز دلاواي إنها ستبتاع الأزهار بنفسها.

أما لوسى فهل كان عملها مقطوعاً لها. لابد من نزع الأبواب عن مفصلاتها، فرجال رامبلماير قادمون. فكّرت عندئذ كلاريسا دلاواى أن يا له من صباح - طازج كأنه مطبوع لأطفال على شاطىء.

لوس أنجلوس. فى ١٩٤٩.

تحاول لورا براون أن تخسر نفسها. لا، ليس بالضبط - فهى تحاول أن تحتفظ لنفسها بمدخل إلى عالم موازٍ. تضع الكتاب بوجهه مقلوباً على صدرها. فى حجرة نومها بالفعل (لا حجرة نومهما) تحسّ أنها مسكونة بكثافة أكثر، بفعالية أكبر، لأن شخصاً يُدعى مسز دلاواى فى طريقها لتبتاع أزهاراً. تُحدق لورا فى المنبه على الحامل الليلى. الوقت بعد السابعة. لماذا اشترت المنبه، هذا الشىء الشنيع بوجهه الأخضر المربّع فى ناووس أسود ماركة باكيليت - كيف ظنت أنه رقيق؟ لم يكن ضرورياً أن تسمح لنفسها بالقراءة، لا هذا الصباح من بين الصباحات كلها ولا فى عيد ميلاد دان كان ينبغى أن تبتعد عن فراشها، مستحمّة وبأفضل هيئة، تُفطر دان وريتشى. تسمعهما بالدور السفلى، زوجها يضع إفطارها ويمدّ يد العون إلى ريتشى. ينبغى أن تكون هناك، أليس كذلك؟ تقف أمام الفرن بروبها الجديد، مفعمة بكلام محفّز بسيط. حين فتحت عينيها منذ دقائق (بعد السابعة

بالفعل!) – كانت لاتزال مسكونة جزئياً بحملها، آلية نابضة من مسافة بعيدة، دقّ ثابت كقلب ميكانيكيّ مهول يبدو أشدّ اقتراباً – أحسّت بربطوبة شديدة حولها، إحساس غير محدد المصدر، وعرفت أنه سيكون يوماً عصيباً. عرفت أنها ستتعب من وثوقها بنفسها فى حجرات منزلها، وهى تحدّق بالكتاب الجديد على حامله الليليّ، وضعت علامة أعلى الصفحة التى انتهت منها الليلة السابقة، توصّلت إليها آلياً كأن القراءة مهمتها الأولى الواضحة والوحيدة بنهارها، طريقة وحيدة قابلة لتطبيق مقايضة للعبور من النوم إلى السلوان. فهى حامل، مسموح لها بهذه الزلات. مسموح لها حتى الآن أن تقرأ بإفراط، أن تتلبّث بالفراش، تصرخ أو تهتاج من لا شىء.

ستسوّى إفطاراً وتخبز كعكة كاملة لعيد ميلاد دان، تكوى أفضل ملابسها، ترتّب أكبر باقة أزهار (ورد؟) بمنتصف المائدة وتحيطها بالهدايا. قد يمنحها هذا تعويضاً، أليس كذلك؟

ستقرأ صفحة إضافية. صفحة إضافية، لتهدىء نفسها وتقرّ، تخرج بعدئذ من الفراش.

يا له من مرح! يا له من تهور! هكذا يبدو لها دائماً، بصرير المفصّلات الواهن تسمعه الآن، فتحت النوافذ الفرنسية بانفجار مندفعة إلى بورتون فى الهواء الطلق. كم هو منعش هواء الصباح الباكر، هادىء طبعاً بسكينة كبيرة، كضربة موجة، قُبلة موجة، بارد وقاطع (لفتاة بالثامنة عشرة كما كانت حينذاك) ومهيب من بعد، هكذا تحسّ وهى تقف هناك بالنافذة المفتوحة، شىء فظيع على وشك أن يحدث، تنظر إلى الأزهار، إلى الأشجار بالدخان يلويها عن الريح وغربان القيظ ترتفع، تسقط، تقف وتنظر حتى قال بيتر ولش «وحىّ بين خضراوات»؟ – هل كان هكذا؟ – «أفضل الرجال عن القرنبيط» – هل كان هكذا؟ لابد أنه صرّح هكذا على الإفطار ذات صباح

وهى تخرج إلى الشرفة – بيتر ولش. لابد أنه عاد من الهند فى يوم من يونيو أو يوليو، نسيت، فرسائله كانت مملة بشكل فظيع، مقولاته التى يتذكرها المرء، عيناه، مطواته، ابتسامته، نكده، تتلاشى ظاهرياً ملايين الأشياء – كم يبدو ذلك غريباً ! – بمقولات قليلة كهذه عن الكرنب.

تتنهد عميقاً. رائعة جداً، أكثر من ... بديعة، من أى شىء تقريباً. حقاً. فى عالم آخر تقضى عمرها كله وهى تقرأ. لكن فى هذا العالم الجديد، العالم المُستوردّ – ليس من فراغ كاف للكسل. كثيرون معرّضون للخطر يضائعون، كثيرون ماتوا. منذ أقل من خمسة أعوام ظنّ دان أنه مات فى انزيو، وحين اكتُشف بعد يومين حيّاً (مع ولد بائس من آركاديا بالاسم نفسه) بدا كأنه بُعث. بدا كأنه عاد، حلو السجايا كما كان، من عالم الموتى (سمعت عندئذ حكايات عن إيطاليا، عن سايبان وأوكيناوا، عن أمهات يابانيات قتلن أطفالهن وأنفسهن حتى لا يؤسرن سجينات)، وحين عاد إلى كاليفورنيا استُقبل بأكثر من كونه بطلاً عادياً. كان يمكن (بكلمات والدته المنزعجة) أن يكون أى امرىء، أى منتصر متبهرج، أى فتاة مرحة ليّنة العريكة، لكن بعبقرية غامضة ضالة تقريباً قبّل وتودّد وخطب أخت أفضل أصحابه الكبرى، دودة كتب، قوام أجنبى بعينين ضيقتين داكنتين وأنف رومانىّ، لم يفتش عنها أبداً ولم يدللها، وكانت تُترك دائماً وحدها لتقرأ. بماذا تقول غير نعم/ أنّى لها أن تُنكر ولداً طيب القلب وسيماً، فرداً من العائلة عاد عملياً من عداد الموتى؟

هى الآن لورا براون. أما لورا زيلسكى، الفتاة المنعزلة، القارئة النهمة، فقد راحت ، وهنا بدلاً منها لورا براون.

تقرّر، صفحة إضافية، مجرد صفحة إضافية. ليست مستعدة بعد للمهام التى تقع على عاتقها (ترتدى روبها، تمشّط شعرها، تذهب إلى المطبخ) لا

تزال بسيطة، مراوغة. تسمح لنفسها بدقيقة أخرى هنا بالفراش، قبل دخول النهار. تسمح لنفسها بقليل من الوقت الإضافى. فهى مأخوذة بموجة إحساس من بحرٍ يعلو، ناهضاً من تحت صدرها فيعوّمها، يجعلها تطفو بنعومة، كمخلوق بحرىّ أُعيد ثانية من الرمل بعد أن سحب نفسه للشطّ - كأنها عادت من عالم جاذبية طاحنة لوسيطها الحقّ، امتصاص وطرح ماء مالح، بريق عديم الوزن.

تصلّبت قليلاً على حاجز حجرىّ، تنتظر شاحنة ديرتنال لتعبر. امرأة ساحرة، ظنها سكروب بيرفى (يعرفها كواحدة تعرف من يعيشون قرب واحدة فى وستمنستر)، بلمسة طائر، بنور أزرق مخضرّ كالزرياب (١)، مرحة رغم أنها تعدّت الخمسين، وقد شحبت جداً منذ مرضها. هنالك جلست، لم تكن تنظر إليه، تنتظره ليعبر منتصباً.

كانت تعيش فى وستمنستر - كم مرّ من سنوات الآن؟ فوق العشرين - يحسّ المرء حتى وسط زحمة مرور أو بالاستيقاظ ليلاً، أن كلاريسا إيجابية، ساكنة بشكل خاص أو مهيبة، صمت لا يُفسّر، حدس (قد يكون قلبها مصاباً، كما قالوا، بالأنفلونزا) قبل أن تدق ساعة بج بن. هناك! انفجرت هناك. كإنذار موسيقىّ فى البداية ثم الساعة فى النهاية. تنحلّ دوائر نحاسية بالهواء. فكرت، كم نحن حمقى حين نعبر شارع فيكتوريا. فوجدها السماء تعلم لماذا يحبّ المرء ذلك، كيف يرى المرء ذلك، يتصوره، يحشده حول امرىء، يصادفه، يبدعه كل لحظة جديدة، لكن المحافظين فعلاً، البؤساء الأكثر غماً الجالسين على الدَرَج العام (يحتسون سقوطهم) يفعلون الشىء نفسه، لا تتعامل معهم فهى تحسّ بنفسها إيجابية، بمراسيم برلمان: لهذا

---

(١) الزرياب طائر كالغراب.

يعشقون الحياة. فى عيون الناس، بإيقاع مطّرد، تشرّد ومشى مُجهَد، بخوار وضجيج حافلات وسيارات وباصات وشاحنات، رجال إعلانات (١) يراوغون ملوحين، فرق نحاس، متسوّلون بأرغن، احتفال وأغان مصلصلة وصداح عال غريب من طائرة فوق الرؤوس هى ما تعشقه، الحياة، لندن، فى هذه اللحظة من يونيو.

تتعجب لورا، كيف قُدر لشخص كتب جملة كهذه - من يستطيع الإحساس بكل شىء مشمولاً فى جملة كهذه - أن يقتل نفسه؟ ما خطأ العالم مع الناس؟ تستدعى حلاً كمن على وشك أن تغطس بماء بارد، فتغلق لورا الكتاب وترقده على الحامل الليلى. إنها لا تكره طفلها، ولا تكره زوجها. لذلك ستنهض مرحة.

تعتقد على الأقل أنها لا تقرأ ألغازاً أو رومانتيكيات. تواصل تطوير عقلها. تقرأ الآن فرجينيا وولف، كلّه من فرجينيا وولف، كتاباً وراء كتاب - تفتنها فكرة أن امرأة مثلها، امرأة بهذا الذكاء هذه الغرابة، بهذا الأسى المفرط، أنّى لامرأة تملك هذه العبقرية أن تملأ جيبها بحجر وتخوّض فى نهر. تحبّ لورا أن تتصوّر (وهذا أدقّ أسرارها المحظوظة) نفسها بلمسة الذكاء نفسها، بلمحة منه، رغم أنها تعرف أن معظم الناس يسيرون هائمين بشكوك شبيهة مؤمّلة تلفّ كالقبضات الدقيقة داخلهم، لا تُفشى سراً. كانت وهى تدفع الكرّار بالسوبر ماركت أو تسوّى شعرها، تتساءل ألا تفكر النساء الأخريات بدرجة أو أخرى فى الشىء نفسه: ها هنا الروح الذكية، امرأة المآسى، امرأة المباهج السامية، قد تكون بمكان آخر، قد تقبل إنجاز أبسط وأحمق المهام أساساً، كأن تتفحص طماطم، تجلس تحت مجفّف شعر، فهذا

---

(١) رجل الإعلانات: رجل يحمل إعلانين، على صدره وعلى ظهره.

فنها وواجبها انتهت الحرب وأنقذ العالم، نحن هنا، كلّ منا يبنى بيوتاً، عنده أطفال يربيها، لا يبتدع كتباً أو لوحات فقط بل عالماً بأسره - عالم نظام وتناغم فيه الأطفال بأمان (إن لم يكونوا سعداء)، فيه من شهدوا فظائع ما وراء تخيّلهم، من تصرّفوا بشجاعة وعزم، ثم عادوا لبيوتهم بنوافذها المضاءة، لعطورهم، لصحون وفوط موائدهم.

يا له من مرح! يا له من تهور!

تخرج لورا من فراشها. صباحُ أبيض حارّ فى يونيو. تسمع زوجها يتحرك بالدور السفلى. غطاء معدنىّ يقبّل حافة وعائه. تناولت روبها الحرير الشانيل الكحولى من كرسيّها المُعاد تنجيده حديثاً، والكرسىّ قصير بدين بحواش، نسيجه الناتىء لون السلمون معقود لأسفل بخيوط وأزرار لون السلمون على شكل ماسة. بحرارة صباحات يونيو، بالروب الخافق من حولها يبدو الكرسىّ بنسيجه الجديد المنضّد مندهشاً لكونه كرسياً.

تنظّف أسنانها، تمشّط شعرها، ثم تبدأ النزول للدور السفلى، تتوقف قرب خطوات من أسفل لتتنصّت، ترقُب مأخوذة (يبدو الأمر أسوأ) بإحساس حُلم، كمن تقف بالكواليس على وشك أن تخطو لمقدمة مسرح فتمثل بمسرحية لم تلبس لها الملابس الملائمة ولم تتدرّب عليها كفاية. تتساءل، ماذا فيها من خطأ، هذا زوجها بالمطبخ، هذا ولدها الصغير. كل ما يطلبه الرجل والطفل حضورها، وحبّها طبعاً. تحدوها رغبة أن تعود بهدوء للدور العلوى، لفراشها وكتابها. يغزوها توترها لدى بروز صوت زوجها، ينصح ريتشى بوضع فوطة مائدة (لماذا يذكّرها صوته أحياناً بحبّة بطاطس لحظة بَشْرها؟). تنزل الدرجات الثلاث الأخيرة، تعبر البهو الضيق، تدخل المطبخ.

تفكر بالكعكة التى ستخبزها، الأزهار التى ستبتاعها. تفكر بورد محاط بالهدايا.

عمل زوجها القهوة، صبّ الحبوب لنفسه ولا بنهما. على رأس المائدة دستة ورد بيضاء تعرض جمالها الحميم المعقّد بخفّة. من زجاج المزهرية الصافى ترى لورا فقاعات ناعمة كحبوب رمل معلّقة بسيقان الورد. جنب الورد تقف علبة حبوب وكرتونة حليب، بالكلمات عليهما وصورهما.

يقول زوجها «صباح الخير»، رافعاً حاجبيه كالمندهش لكنه سعيد بمرآها.

تقول «عيد ميلاد سعيد».

«شكراً».

«أوه ، دان ورد. عيد ميلادك. هذا كثير حقاً». تراه يرى أنها غاضبة فتبتسم.

يقول «لا يبدو أىّ شىء كثيراً عليك».

«لكن كان يجب أن توقظنى. بجدّ».

يرقب ريتشى، يرفع حاجبيه سنتيمتراً آخر فتتغضن جبهته وينتفض طفيفاً شعره الأسود الصقيل. يقول «رأينا الأفضل أن تنامى قليلاً، أليس كذلك؟».

ريتشى، بأعوامه الثلاثة، يقول «نعم». ويومىء تائقاً.

يلبس بيجاما زرقاء. سعيد برؤيتها وأكثر من سعيد، لقد أُنقذ، بُعث من جديد بوسيلة الحبّ. تكاد لورا أن تصل إلى جيب روبها بحثاً عن سيجارة ثم تُبدل رأيها، ترفع يدها لشعرها بدلاً من ذلك. تبدو منضبطة تقريباً بشكل كاف، كأمّ شابة بمطبخ أصفر تلمس شعرها الأسود الكثيف وهى حامل بطفل آخر. على الستائر ظلال من أوراق شجر، وهناك قهوة طازجة.

تخاطب ريتشى بلكنته «صباح خير، حبيبى».

يقول «أنا آكل الحبوب» . يكشّر. يمكن القول إنه ينظر شزراً. فهو متيّم بها ظاهرياً، كوميدىّ وتراجيدى بحبه اليائس. يجعلها تفكر أحياناً فى فأر

يصوصو بأغنية مفطورة على الحبّ تحت نافذة كائنة جبارة.

تردّ «حسناً. جيد لك».

يومىء ثانية، كأنهما يتشاركان بسرّ.

تقول لزوجها «كن أمينا معى»،

يرد لماذا علىّ أن أوقظك؟ لماذا لاتنامين؟

تقول: «لأنه عيد ميلادك»؟

«تحتاجين للراحة».

يربت على بطنها بعناية لكن بقوة معينة، كأنها صدفة بيضة نصف مسلوقة، لا شىء يظهر بعد، التباشير الوحيدة غثيان محدد، ومخض داخلى حاد لكنه مميز، هى وزوجها وابنها بمنزل لايعيش فيه أحد غيرهم. خارج المنزل عالم بأرفف مصفوفة، حيث موجات الراديو مفعمة بموسيقى، حيث يخطر شباب بالشوارع من جديد، رجال معروفون بحرمان وخوف أسوأ من الموت، قد خلفوا وراءهم طوعيا أوائل عشرينياتهم ويفكرون حاليا بالثلاثينيات ومابعدها، لا وقت لديهم زائدا يدخرونه، تنفعهم خبرة زمن الحرب وقت الحاجة، هزيلون وأقوياء، ينهضون وقت الشروق، دون تذمر.

تقول لورا أحب أعمل لك افطارك بنفسى، فأشعر بتحسن.

يمكننى عمل الإفطار، فأنا استيقظ عند بزوغ الفجر ما لايعنى ضرورة عندك.

أود ذلك.

تصر الثلاجة، على لوح النافذة نحلة تئز ثقيلا بإصرار، تأخذ لورا علبة سجائرها المول بول من جيب روبها، هى أكبر منه بثلاث سنوات (فى هذا شىء وضيع غامض، شىء مربك غامض) امرأة بكتفين عريضين وقوام أجنبى ناحل مكفهر، فشلت عائلتها فى الإزدهار بهذا البلد منذ أكثر من

مائة عام، تسحب سيجارة من العلبة ثم تبدل رأيها، فتعيدها ثانية.

يقول: طيب. لو تريدين منى حقا، فسأوقظك غدا السادسة.

طيب.

تصب لنفسها فنجانا من القهوة التى عملها، تعود إليه بالفنجان الساخن فى يدها، تقبل خده، فيربت على مؤخرتها، بعاطفة وعقل غائب، لم يعد يفكر فيها. يفكر فيما أمامه من نهار ناهض، قيادة وسط المدينة، هدوء خدر ذهبى فى جادة ويلشاير حيث لا تزال المحلات مغلقة كلها عدا أشخاص مرحين مخلصين، شبان ناهضون مبكرا مثله يتحركون تحت نور الشمس الخلو من دخان النهار، مكتبه صامت، وكاتبات الآلة بمجموعة السكرتارية لاتزال محجوبة عن النظر، هو مع قلة آخرين ممن فى عمره يقضون ساعة كاملة أو يزيد فى تناول أعمالهم المكتبية قبل أن تبدأ التليفونات ترن. يبدو أحيانا كثيرة كأنه بديع أن يملك هذا كله: مكتب ومنزل جديد بحجرتى نوم، مسئوليات وقرارات، وجبات غذاء مازحة سريعة مع آخرين.

تخبره لورا «الورد جميل» كيف أحضرته مبكرا؟

تفتح مسز غار محلها السادسة، ظللت أدق على الزجاج حتى سمحت لى. ينظر إلى ساعته، رغم أنه يعرف الوقت. هاى. علىّ أن أذهب.

يوما سعيدا.

وأنت أيضا.

عيد ميلاد سعيد.

شكرا.

يقف، تستغرقهم جميعا لوهلة مراسم رحيله، أخذ الجاكت وحقيبة الأوراق، هوجة القبلات، تلويحات من فوق كتفه وهو يعبر الخضرة نحو ممر الخروج، لورا وريتشى وراء الباب الزجاج، ممر خروجهم بارع مسقى

بإفراط، خضرة مثالية تقريبا، يقفان، لورا وريتشى، كنظارة فى استعراض بينما يقود الرجل سيارته الشيفروليه بلونها الأزرق الثلجى على الممر القصير حتى الشارع، يلوح مرة أخيرة مستمتعا من وراء عجلة القيادة.

تقول «حسنا» بعد أن تختفى السيارة، يرقبها ابنها متيما، بشكل متوقع. هى العنصر الحركى، حياة المنزل، حجراته أوسع أحيانا مما يجب أن تكون عليه، فهى تضم فجأة أشياء لم يرها من قبل، ينظر إليها، ويرتقب.

تقول حسنا الآن.

ها هى إذن، النقلة اليومية، مع زوجها حاضرة، أكثر عصبية لكن أقل خوفا. تعرف كيف تتصرف، لوحدها مع ريتشى، تحس أحيانا بالتحرر من مراسيها - فهو نفسه مقنع كليا. يريد ما يريده تائقا، يصرخ دون سبب واضح. يطرح طلبات غير مفهومة، يحاكمها، يترافع عنها، يتجاهلها يبدو أنه يرقب دائما رؤية ما ستفعله لاحقا، تعرف، أو تتوقع على الأقل، كيف تحافظ أمهات الأطفال الآخرين على مجموعة قواعد، وفيما يتعلق بهذه النقطة ترشدها المرأة المتطورة دائما للتغلب على أيام تقضيها وحدها مع طفل، حين يكون زوجها هنا، تستطيع التصرف، تراه وهو يراها، وتعرف تقريبا كيف تعامل الولد بحزم وعاطفية، بارتجال أمومة حنون تبدو عفوية، رغم ذلك تفقد البوصلة، حين تكون وحدها مع الطفل. لاتتذكر كيف ينبغى على أم أن تتصرف.

تخاطبه ألا تنتهى من افطارك؟

يقول طيب.

يعودان للمطبخ. قد غسل زوجها فنجان قهوته، جففه ووضعه بعيدا. يتجهز الولد للطعام بثبات إقلاع أكيد حتى ليفعل المزيد مذعنا أكثر منه بشهية. تصب لورا لنفسها فنجانا جديدا من القهوة، تجلس إلى المائدة.

تشعل سيجارة.

احتفال وأغان مصلصلة وصداح عال غريب من طائرة فوق الرؤوس هى ما تعشقه الحياة، لندن، فى هذه اللحظة من يونيو.

تزفر الدخان بريشة رمادية ثرية، متعبة للغاية، فقد سهرت بعد الثانية، تقرأ، تلمس بطنها - سيىء لطفلها الجديد، أن تنال قسطا ضئيلا من النوم؟ لم تسأل عن ذلك طبيبها، تخشى أن يقوّل لها كفى عن القراءة كليا. تعد بالقراءة قليلا الليلة. ستذهب للنوم فى منتصف الليل، كحد أقصى.

تخاطب ريتشى خمن ماسنفعله اليوم؟ سنخبز كعكة لعيد ميلاد أبيك، أوه، أمامنا عمل ضخم.

يومىء بوقار متسم بحسن تمييز، يبدو غير مقتنع بشىء.

تقول: سنخبز له كعكة فى حياته، أحسن شىء، ألا تظنها فكرة جيدة؟

يومىء ريتشى من جديد، ينتظر رؤية مايتم لاحقا، ترقبه لورا خلال كرمة تتلوى من دخان السيجارة. لن تصعد الدور العلوى، لن تعود لكتابها. ستلبث هنا. تفعل كل ما هو مطلوب. والمزيد.

مسز دولاي

تنقل كلاريسا حمل ذراعها من الأزهار للخارج بشارع سبرنج، تتخيل باربرة فى عتمة باردة بطرف الباب البعيد، تواصل حياة ما لم تستطع كلاريسا أن تفكر فيه الآن كماض (عليها أن تفعل شيئا مع أسى باربرة، وسحابات الأشرطة على الجدار الخلفى) وهى تسير بنفسها إلى الحاضر، ولد صينى يميل على دراجة، رقم ٢٨١ مكتوب بالذهبى على زجاج داكن، شتات حمام بأرجل لون محايات أقلام الرصاص (طائر طار فى نافذة مفتوحة بفصلها الصف الرابع، كان عنيفا للغاية)، هى هنا فى شارع سبرنج مع باقة أزهار ضخمة، تتوقف جنب شقة ريتشارد لترى مايفعل (لا فائدة من النداء، فهو لايرد)، لكن تذهب أولا فتقف بخجل متوقع، لكن ليس قريبا جدا من الشاحنة التى يطل منها الرأس الشهير. زحمة صغيرة هناك، سياح غالبا، فتركز كلاريسا نفسها جنب فتاتين صغيرتين، واحدة بشعر مصبوغ لون كنارى أصفر وأخرى بشعر مصبوغ لون البلاتين، تفكر كلاريسا إن كانتا تقصدان باقتراح فعال أنهما شمس وقمر.

تقول الشمس للقمر «ميريل ستريب، أكيد ميريل ستريب».

كلاريسا منفعلة رغما عنها، كانت على حق، تعرف باكتفاء قوى مدهش انها تتشارك برؤيتها مع أخرى.

تقول القمر «لا.. سوزان سارندون».

لا تظن كلاريسا أنها سوزان سارندون، ربما فانيسا ريدجريف لكن ليست بالتأكيد سوزان سارندون.

تقول الشمس «لا. ستريب. صدقيني».

«ليست ميريل ستريب».

«هي. بشحمها ولحمها».

تقف كلاريسا شاعرة بالذنب، تحضن أزهارها، تأمل أن تظهر النجمة نفسها ثانية، مرتبكة باهتمامها، فهي ليست ممن يبصبص للنجوم، ليس أكثر من معظم الناس، لكني لاتقاوم انجذابها لنطاق الشهرة - وأكثر من الشهرة، الخلود الفعلي - متضمنا وجود نجمة سينما بشاحنة على زاوية الماكدوجال وشارع سبرنج، جنب كلاريسا، تقف الفتاتان، بالعشرين إن لم تكونا أصغر، ضخمتان جريئتان تميلان نحو بعضهما بعضا، تحملان حقيبتين بألوان فاقعة من محلات تخفيض، ستكبر الفتاتان إلى منتصف العمر ثم تطعنان سنا، تصبحان ذابلتين أو منتفختين، وستدفنان بقياسات تهبط بهما أخيرا إلى الدمار، سيكبر العشب وحشيا وترعاهما الكلاب ليلا، كل ما يتبقى منهما مجرد حشوتين فضيتين صغيرتين تختلفان تحت الأرض على مشهد امرأة بشاحنة، هل كانت ميريل ستريب أم فانيسا ريدجريف أم حتى سوزان سارندون، وستعرفان الجواب حينئذ. سيكون صوتها المسجل بأرشيف أو في كتب مخزونا بين أشياء أخرى ثمينة مبجلة، تواصل كلاريسا الوقوف حمقاء كأي معجبة، دقائق أخرى قليلة، على أمل أن ترى النجمة حين تطل. نعم، دقائق أخرى قليلة، قبل أن يصعب عليها احتمال الخزي ببساطة، تلبث أمام الشاحنة بأزهارها. ترقب الباب، بعد مرور دقائق (عشر تقريبا، رغم كرهها الاعتراف بذلك) تمضي فجأة ناقمة كأنها استوقفت، ثم سارت للبنايات القليلة أعلى المدينة نحو شقة ريتشارد.

كان الحى مركزا لشىء جديد وحشى، شىء زرى، جزء من مدينة بصوت قيثارات منجرف طوال طيلة الليل من بارات ومقاه، محلات تبيع كتبا وملابس تبدو كما تصورتها برائحة أسواق عربية، مغبرة بالروث، بخور وثراء، خشب (أرز؟ كافور؟) شىء مثمر، عفن مثمر، ويبدو محتملا، محتملا جدا، أن تلقى مصيرك لو مررت بباب خطأ أو زقاق خطأ: ليس فقط بتهديد النهب الشائع والأذى الجسدى بل بشىء أشد ضلالا وتحولا، أكثر ديمومة، هنا فى هذه الزاوية، كانت تقف مع ريتشارد حين كان بالتاسعة عشرة - فتى بمظهر حازم، عينين قاسيتين بشعر أسود ليس غريا مع رقبة طويلة بغرابة ومجد، كان شاحبا للغاية - وقفا وتجادلا.. عن ماذا؟ أكانت قبلة؟ هل قبلها ريتشارد أم اعتقدت كلاريسا أن ريتشارد كان على وشك أن يقبلها، ثم راغ؟ هنا فى هذه الزاوية (أمام ماكان دكان مدمنين(١) والآن دكان معلبات) قبلا أم لم يقبلها، تجادلا بالتأكيد، وهنا أو بمكان آخر فيما بعد قاما بشطب تجربتهما الصغيرة، فقد كانت كلاريسا تريد حريتها وريتشارد يريدها، ألم يكن يريدها دائما؟ كان يريدها كثيرا، أخبرته أن ما حدث بعد الصيف مجرد شىء حدث بعد صيف. لماذا كان يريدها، فتاة ساخرة عصية، دون ثديين تفاخر بهما (أنى لمثلها الوثوق برغبته؟)، حين عرفها كانت منزع أشواقه العميقة وكذلك كان لويس، لويس المعبود بأعضائه الثقيلة، البعيد عن الغباء، فتى يسر مايكل أنجلو أن يرسمه؟ ألم تكن حقا فكرة ريتشارد عنها مجرد تصور شعرى آخر؟ لم يدخلا فى عراك كبير أو منظور، مجرد شجار بزاوية - لم يستفهما حتى عندئذ عن تلف عميق بصداقتهما - وحين تكر ببصرها يبدو الأمر محددا، كلحظة انتهى فيها

---

(١) دكان المدمنين: دكان متخصص فى بيع الحشيش وأدوات استخدامه. (م).

مستقبل واعد ليبدأ آخر جديد. فى ذلك الوقت بعد الجدال (أو ربما قبله) ابتاعت كلاريسا علبة بخور وجاكتا رماديا مستعملا من فراء الألبكا(١) أزراره عظمية محفورة بهيئة ورد. أسرع ريتشارد بالرحيل إلى أوربا مع لويس.. تسأل كلاريسا الآن نفسها، أين جاكت الألبكا؟ يبدو أنها حافظت عليه سنوات وسنوات، بعدها اختفى فجأة.

تدور نحو بليكر، صاعدة إلى ثمبسون، الحى الحالى تقليد لذاته، كرنفال ممطر للسياح، وتعرف كلاريسا فى الثانية والخمسين أنه لايحدث شىء أكثر أو أقل من مجرد ناس يعيشون حياتهم وراء هذه الأبواب وتلك الحوارى، هناك بارات ومقاه شبيهة وإن بشكل مغاير، تعمل حتى الآن لتشبه نفسها لصالح ألمان أو يابانيين، وتبيع المحلات أساسا الأشياء نفسها: هدايا التى شيرت، مجوهرات فضية رخيصة، جاكتات جلدية رخيصة.

تدخل بناية ريتشارد من باب الردهة وهى تفكر كما تفعل دائما، بكلمة «وضيع» كلمة. مرحة تقريبا. ويوضح مدخل بناية ريتشارد تماما مفهوم الوضيع، واضح جدا، وضيع بشكل مميت حتى ليدهشها طفيفا، بعد هذه السنين، يدهشها تقريبا كشىء نادر ملحوظ، كعمل فنى، تواصل الدهشة ببساطة من بقائه عبر الزمن، نقيا من تلقاء نفسه، من جديد هنا وبدرجة الدهشة، الحوائط الصفراء شاحبة بلون صوف، أكثر أو أقل من لون النشا، هنا حامل فلورسنت على السقف مشع بوهجه المائى، المذبذب والأسوأ - أسوأ كثيرا - تجديد الردهة الصغيرة الضيقة بشكل مبتذل تعوزه الحماسة منذ عقد مضى. الردهة معوقة بمشمع أرضية على شكل قرميد أبيض متسخ وشجرة فيكس بلاستيكية أكثر ماتكون فى تداعيها، فقط جص مرمرى عتيق

---

(١) الألبكا حيوان أمريكى بصوف طويل، شبيه بالخروف. (م).

- مرمرى لون فرس البلمين(١)، معرق بأزرق ورمادى مع صفرة عميقة، طلاء مدخن كقطعة جبن قديم ناعمة، تعطى صدى غامضا لحوائط مصفرة - تدل أنه كان ذات يوم بناءً بآمال معززة هنا، ويتوقع ممن يدخل الردهة أن يحس بحركة منتظمة إلى مستقبل يحتضن شيئا يستحق ملكيته.

تدخل المصعد، غرفة صغيرة ببريق مكثف مبيض، قوائمه معدنية بخشب محبب، وتدفع الزر للدور الخامس، يتأوه باب المصعد بخشخشة عند الغلق، لا شيء يحدث. طبعا. فهو يعمل فى الواقع متقطعا، والراحة بالتخلى عنه وصعود السلالم بدلا منه، تضغط كلاريسا زر O المميز بأبيض مقشور، وبعد تردد عصبى يفتح الباب بخشخشة من جديد، تخاف دائما الاحتجاز بين الأدوار بهذا المصعد - يمكنها بسهولة أيضا تصور الانتظار الطويل الطويل، صرخات النجدة لسكان قد يتحدثون الانجليزية وقد لا وقد يعنيهم التدخل وقد لا، خوف أبكم مميت غريب بالوقوف هناك وحدها، لوقت معقول بالفراغ البراق، المشبع برائحة إسطبل، تنظر أو لا تنظر لانعكاسها المحرف بالمرآة الدائرية المعتمة فى الركن الأعلى على اليمين، الأفضل حقا أن تجد المصعد عصيا بصراحة، فتسير صاعدة خمسة أدوار، الأفضل أن تكون حرة.

تستقل السلالم، تحس أنها واهنة وعروس - بكر - مع حمل ذراعها من الأزهار، تدوس السلالم المقشرة البالية بمنتصفها، المصنوعة من مادة مطاطية غريبة حليبية السواد، عند كل منبسط بدرجاته الأربع توجد نافذة بمنظر مختلف لغسيل معلق بالحبال: ملاءات مزهرة، ملابس مواليد، سراويل متعرقة ممتقعة بجدتها الرخيصة، ليست مطلقا من نوع غسيل قديم -

---

(١) فرس البلمين : فرس عربى. (م).

جوارب داكنة وملابس نساء تحتية مجهدة، ملابس منزلية باهتة، قمصان بيضاء نيرة - تجعل الهواء يرمح كشيء عادى بل عجيب، محفوظ من زمن آخر، تفكر ثانية إنه وضيع. وضيع. ببساطة.

مدخل ريتشارد مطلى لون النشا، لايزال قرميده كما كان منذ مطلع القرن (ينتشر مشمع الأرضية بشكل غامض فى الدور الثانى) أرضيته محاطة بفسيفساء أزهار صفراء شاحبة مهندسة، بأثر من عقب سيجارة مبقع بأحمر شفاه، تطرق كلاريسا على باب ريتشارد لحظة ثم تدق ثانية.

«من الطارق»؟

«أنا».

«من؟»

«كلاريسا».

«أوه، مسز دى(١) ادخلى».

تفكر، ألم يحن الوقت ليعفيها من ذلك اللقب القديم؟ لو كان يقضى يوما طيبا فستقترح عليه: ريتشارد، ألا تعتقد أنه آن الأوان لتنادينى فقط كلاريسا؟

تفتح الباب بمفتاحها، تسمع ريتشارد يتكلم بصوت خفيض مسرور بالحجرة الأخرى، كمن يفصح عن أسرار فاضحة، لايبلغها ما يقول - تستوضح كلمة «قذف» متبوعة بضحكة ريتشارد خافتة بجرس لامع، صوت ملون بشكل طفيف، كأن الضحك شيء حاد يقف بحلقه.

تفكر كلاريسا، إنه يوم آخر إذن - لايصلح بالتأكيد للفصل فى الأسماء.

كيف يمكنها أن تغيظ إيفان والآخرين الذين يتناولون أدوية جديدة

---

(١) مسز دى: مسز دالاواى.. (م).

بوقتها، كل الرجال والنساء المحظوظين (كونك «محظوظا» بالطبع مصطلح نسبى) لم تتآكل عقولهم مثقبة بالفيروس. أنى لها أن تحس بالغضب بدلا من ريتشارد الذى انتعشت عضلاته وأعضاؤه بالاكتشافات الجديدة لكن يبدو أن عقله مر بمرحلة مابعد الاصلاح عدا فرز الأيام السعيدة من السيئة.

شقته دائما معتمة مغلقة، شديدة الحرارة، وريتشارد فاغم ببخور المريمية والعرعر ليغطى روائح المرض. ركام يعوزه النظام بدرجة تعز عن الوصف، هنا وهناك دائرة شاحبة مسحوقة غير مظلمة من لمبات بظلال رمادية حيث لايتحمل ريتشارد مصابيح أقوى من خمسة عشر وات. تبدو الشقة أكثر من أى شىء كمشهد تحت الماء. تسير فيها كلاريسا كمن يفاوض على حمولة سفينة غارقة، لن تندهش لو رأت عددا من السمك الفضى يرمح قرب نصف النور، لاتبدو هذه الحجرات - فى أى منزع جاد - جزءا من بناية كما يتصادف، لكن حين تدخل كلاريسا وتغلق خلفها الباب الكبير بصرير أقفاله الأربعة (منها أثنان مكسوران) تحس دائما كمن يخوض براسب ذى أبعاد - خلال زجاج مطل كما يبدو، كأن الردهة وبئر السلم والمدخل من عالم آخر وزمن آخر.

تصيح «صباح الخير».

«ألا يزال الجو صبحا؟»

«نعم.. هكذا».

ريتشارد بالحجرة الثانية. تحتوى الشقة على حجرتين فقط: مطبخ (يدخل منه المرء) وحجرة واسعة أخرى، حيث تتواصل حياة ريتشارد (ماتبقى منها) تمر كلاريسا من المطبخ، موقد قديم وبانيو أبيض واسع (معتم النور كمرمر فى غسق الحجرة الخالد)، عبق شاحب من غاز وطبيخ قديم، كراتين مكومة مليئة بـ.. من يدرى ماذا؟ مرآة بيضاوية مذهبة الإطار

تعكس (بقليل من الصدمة، مهما كان متوقعا) صورتها الشاحبة، وقد اعتادت عبر السنين تجاهل هذه المرآة.

هنا جهاز قهوة إيطالى ابتاعته من أجله، كله من الكروم والصلب الأسود، لكن بدأ ينضم للشكل العام من الاهمال المغبر، كما هنا الأوانى النحاسية التى اشترتها.

ريتشارد بالحجرة الأخرى، يجلس فى كرسيه، ظلال منزاحة وست لمبات أو سبع مضاءة، ضوء واهن مع قوة نور لمبة المكتب العادية، ريتشارد فى ركن بعيد بروبه الصوفى الناعم المضحك (نسخة بالغ من روب طفل، بلون أزرق حبرى، مزين بصواريخ ورواد فضاء عليهم خوذ) هزيل مهيب، كأنه أحمق، كأنه ملكة مغمورة لا تزال تتقلد عرشها.

سكت الهمس، يجلس برأسه ملقى للوراء طفيفا، وعيناه مغلقتان، كمن يتنصت إلى موسيقى.

تقول كلاريسا ثانية «صباح الخير، عزيزى».

يفتح عينيه «يالهذه الأزهار».

«من أجلك»

«وهل مت؟»

«للحفل. كيف حال صداعك هذا الصباح؟»

«أحسن.. شكرا»

«هل نمت؟»

«لا أذكر. نعم. أعتقد نمت. شكرا».

«ريتشارد، هذا يوم صيفى بديع، ماذا لو سمحنا لقليل من النور؟»

«كما تحبين»

تذهب إلى أقرب النوافذ الثلاث، وترفع الستار زيتى النسيج بصعوبة،

ضوء نهار سوى – زوايا تهبط بين بناية ريتشارد وأختها التى تبعد خمسة عشر قدما بقرميدها لون الشكولاتة – ينزل للحجرة، عبر الحارة نافذة أرملة عجوز مشاكسة، بأشكال زجاجية وفسيفسائية، على حز النافذة (حمار يجر عربة، مهرج، سنجاب، مبتسم) وستائر مضلعة، تدور كلاريسا، يبدو وجه ريتشارد بفجواته وأعماقه، طياته الحديثة، جبهته العالية اللامعة وأنف ملاكم مكسور، كأنه ناهض من عتمه، مثل منحوتة غارقة تنتشل إلى السطح.

يقول «نور فظيع»

«النور أحسن لك».

تذهب إليه، تقبل حنية جبهته، هناك عاليا، تشم أخلاط روائحه، لاتتضح مسامه بعرقه المألوف (كانت تعجبها رائحته، كالنشا والخميرة، حريفة كالنبيذ) بل برائحة أدويته، رائحة لذيذة كالبوردة، أيضا هنا رائحة كرسيه الذى يقضى فيه أيامه مثل صوف ناعم مخزون (رغم أن الغسيل مرة كل أسبوع وأكثر غالبا) كانت كريهة بشكل طفيف (رائحته الوحيدة المنفرة).

كرسى ريتشارد بدرجة مجنون، أو بالأحرى كرسى شخص إن لم يكن مجنونا بالفعل فهو يدع الأشياء تنشل منه، حيث يمضى الآن على طريق طويل نحو التخلى المجهد عن الرعاية العادية – صحة بسيطة، تغذية منتظمة – وهكذا يصعب تحديد الفارق بين اليأس والجنون. كرسى – مربع عتيق، كرسى فوتيه منجد منتفخ متوازن بأرجل خشبية نحيلة شقراء – مكسور بأبهة ولايساوى. منجد بصوف عديم اللون بنتوءات يتخلله، (وهذا نوعا موضوعه المشؤوم) خيط فضى. ذراعاه المربعان وظهره باليان كليا، داكنان بالاستعمال المستمر من الاحتكاك والزيوت البشرية، حتى ليشبه الأجزاء الأرق من جلد الفيل، لفاته مرئية – صفوف متكاملة من حلقات صدئة شاحبة – لا فى وسادة المقعد فقط بل المنشفة الصفراء الرقيقة التى كسى

بها ريتشارد بالوسادة أيضا، رائحة الكرسى نتنتة شديدة الرطوبة، متسخة، رائحة عفن ملازم، لو سيق للشارع (حين يساق للشارع) فلن يلقطه أحد. لن يسمع ريتشارد عن أحد يعيده.

تقول كلاريسا «هل حضرت هنا اليوم»؟

يرد ريتشارد «لا» بصراحة طفل كاره. راحت. أشباح بديعة لكن مفزعة».

تقول: «نعم.. أعرف».

«أفكر فيها كالتئام نيران سوداء، أقصد انها كئيبة ومبهرة فى آن واحد، يبدو أحدها أكثر شبها بقنديل بحر مكهرب داكن. تغنى الآن بلغة أجنبية فقط، أعتقد يونانية يونانية ميتة».

«هل تخاف منها؟».

«لا.. أحيانا».

«اعتقد سأذهب للكلام مع بينج لزيادة علاجك، سيكون أفضل؟»

يتنهد متعبا، يقول «الحقيقة أنى لاأسمعها أحيانا ولا أراها، ولايعنينى إن راحت».

تقول كلاريسا «لكن إن لم تسمعها أو ترها فلن ترتاح، قل بأمانة، أنت لم تنم على الإطلاق الليلة الماضية».

«أوه.. قليلا.. لايقلقنى النوم. أنا قلق أكثر عليك. تبدين نحيلة كثيرا اليوم، كيف حالك؟»

«بخير. استطيع البقاء دقيقة فقط، فيجب علىّ وضع الأزهار بالماء».

«صحيح. صحيح. الأزهار، الحفل، أوه، حفلى أنا».

تقول كلاريسا «رأيت نجمة سينما وأنا قادمة إلى هنا. تظن أنه فأل طيب؟»

يبتسم ريتشارد بكآبة، يقول «أوه، بشائر، هل تؤمنين بالبشائر؟ هل

تظنين أننا قلقون على هذا النحو؟ عزيزتى، ألن يكون الأمر رائعا؟ آه، قد يكون صحيحا».

لن يسأل عن اسم نجمة السينما، لايهتم فعليا، ريتشارد وحده بين معارف كلاريسا، لايهتم بالمشهورين، لايعترف ريتشارد أصلا بمثل هذه الترهات، تظن كلاريسا إنه تجميع لذات ضخمة بقدر من النزعة العلمية. لايتصور ريتشارد حياة أكثر إثارة أو ذات شأن عن تلك التى تعاش جنب معارفه ونفسه، لهذا يحس المرء غالبا بالرفعة والتفاؤل فى حضرته، فهو ليس ممن يصغرون الآخرين، إنه نوع نقيض للأنانيين، مساق بالفخامة أكثر منه بالطمع، ولو أصر على نسخة منك أكثر مرحا، أشد غرابة، أكثر شذوذا وعمقا عما تتوقع أنت من نفسك - إنه قادر على أداء المزيد من الخير والمزيد من الضر بالعالم أكثر مما تتصور - فلا يستحيل ألا تصدق ذلك كله، على الأقل بحضرته وبعد أن ترحل عنه فترة، حتى ليجتاز جوهرك، يزن سماتك الحقة (ليست كلها مشبعة للغرور - كجزء من أسلوبه بوقاحة طفولية، أكثر خرقا) كما يقدرك بشكل كامل أكثر مما يفعل الآخرون، بعد أن تعرفه بعض الوقت تبدأ تدرك أنك مجرد شخصية روائية بالنسبة إليه، امرؤ يستثمر قدراته اللامحدودة تقريبا لصالح تراجيديا وكوميديا معينة ليس لأنها طبيعتك الحقيقية بل لأن ريتشارد يحتاج إلى العيش وسط عالم مسكون بأشخاص متطرفة أمرة. وقد أنهى بعضهم علاقاتهم معه بعد أن ظلوا أشخاصا بقصيدة ملحمية يقوم بتأليفها داخل رأسه، حكاية عن حياته وعواطفه، لكن الآخرين (وكلاريسا من بينهم) يستمتعون بحس من غلو يجلبه على حياتهم، حتى يتوصلون للاعتماد عليه بطريقة اعتمادهم على قهوة تنبههم فى الصباح وعلى شراب أو اثنين يبعث بهم للنوم ليلا.

تقول كلاريسا «الخرافات مريحة أحيانا، لاأعرف لم ترفض جامدا مثل هذه الراحة»؟

«أنا هكذا؟ أوه، لا أتعمد ذلك، أحب الراحة، بعضا منها، أحب بعضها كثيرا».

«كيف تحس؟»

«آه، كأنى زائل سريعا، فأظل أحلم أننى أجلس بحجرة».

«الحفل بالخامسة، تذكر؟ الحفل بالخامسة وبعده المراسم بالثامنة، أعلى المدينة، تذكر ذلك كله؟»

يقول «نعم».

ثم يقول «لا».

تسأل «أيها».

«آسف. يبدو أننى أظل أفكر بأشياء تحدث للتو، حين سألت إن كنت أتذكر الحفل والمراسم، فكرت أنك تعنين: هل تذكرت الذهاب إليها، وتذكرت. يبدو أنى سقطت من الزمن».

«الحفل والمراسم الليلة. فى المستقبل».

«أفهم. أفهم. لكن يبدو كما ترين أننى ذهبت للمستقبل أيضا. فلدى ذكريات محددة عن الحفل لم تحدث بعد. فأتذكر مراسم الجائزة تماما».

تسأل «هل احضروا إفطارك هذا الصباح؟».

«يا له من سؤال، حدث».

«وهل تناولته؟»

«أتذكر أنى تناولته، لكن يحتمل أنى قصدت ذلك، فهل يوجد إفطار حولى هنا؟»

«لا، بقدر ما استطيع أن أرى».

«إذن يفترض أنى تناولته،. الطعام لايهم كثيرا، أليس كذلك؟».

«الطعام يهم كثيرا، ياريتشارد».

يقول: «لا أعرف إن كنت سأتحمل، ياكلاريسا».

«تتحمل ماذا؟»

«أن أكون فخورا ومقداما أمام الجميع. فأنا أتذكر ذلك بحيوية، إننى مريض مجنون، محطم يتوصل بيدين مرتجفتين لتلقى تذكاره الصغير.»

«حبيبى، لا تحتاج أن تكون فخورا، لاتحتاج أن تكون مقداما، فهذا ليس إنجازا».

هو هكذا، يجب أن تعرفى أننى نلت جائزة على انجازى. نلت جائزة على اصابتى بالإيدز وأننى مخبول ومقدام، ولا شىء أفعله بعملى».

«كف عن هذا، أرجوك، فلديك كل ماتفعله بعملك»

يسحب ريتشارد نفسا ثم يزفره قويا رطبا. تفكر كلاريسا فى رئتيه، وسادتان حمراوان تبرقان بصور معقدة مطرزة داخل أوردة، الرئتان بشكل خاطىء من بين أعضائه أقل عرضة للخطر - لسبب غير معروف ظلا بمنجاة من الفيروس، بدت عيناه تركزان بذلك النفس القوى، تكتسبان عمقا أشد خضرة.

يقول «تعتقدين أنهم كانوا سيهبوننى الجائزة لو كنت عفيا؟»

«لماذا، نعم، كأمر واقع».

«من فضلك».

«هل سترفضها، إذن؟».

يقول ريتشارد «شيء فظيع . أريد الجائزة . سأقبلها . ذلك أيسر مع امرىء يهتم بدرجة أكثر أو أقل بجوائز الفوز . أهى هنا؟» .

«ماذا؟»

«الجائزة . أود رؤيتها» .

«لم تحصل عليها بعد . ستنالها الليلة» .

«نعم . صحيح . الليلة» .

«ريتشارد ، عزيزى ، اسمعنى . الأمر بسيط . فيه لذة واضحة بسيطة . سأكون معك ، هناك كل لحظة» .

«أود ذلك» .

«حفل . مجرد حفل . سيكون مزدحماً بمعجبين يوقرونك» .

«حقاً ؟ من؟»

«تعرف من . هوارد . إليزا . مارتن كامبو» .

«مارتن كامبو ؟ أوه ، يا إلهى» .

«تحبه ، أعتقد . كنت تصرح بذلك دائماً» .

«أوه ، نعم ، من المفترض أن يحب الأسد حارس حديقة الحيوانات» .

«مارتن كامبو ناشرك المخلص لأكثر من ثلاثين عاماً .

«من سيأتى أيضا؟» .

«كثيرون مثله . تعرف من سيأتى» .

«أخبرينى باسم آخر ، اسم نبيل» .

«ألا تظن أن مارتن كامبو نبيل ؟ لقد أغرق ثروة عائلته كلها على نشر كتب صعبة مهمة يعرف أنها لن تبيع» .

يغلق ريتشارد عينيه يحنى رأسه المضنى للوراء ناحية النتوء الزيتى البالى من الكرسى يقول «طيب» .

«لا تحتاج لفتنة أو تسلية . لا تحتاج مسرحية . فهؤلاء آمنوا بك منذ زمان طويل ، طويل . كل ما عليك هو أن تظهر ، تجلس على كنبة مع أو بدون شراب فى يدك ، تنصت أو لا تنصت ، تبتسم أو لا تبتسم . هكذا سأراقب الجميع لأجلك» .

تود لو تأخذه من كتفيه العظميتين وتهزه بشدة . ريتشارد (رغم تردد المرء فى التفكير بمثل هذه المصطلحات) يدخل المحك ؛ يتلقى فى اللحظات الأخيرة بمهنته الأرضية لمحات الاعتراف الأولى بأنه ماض إلى مستقبل بعيد (بافتراض أن هناك طبعا أى مستقبل) . جائزة كهذه تعنى أكثر من تنويه مجموعة من الشعراء والأكاديميين ؛ يبدو أن الأدب نفسه (بمستقبل يتشكل الآن) فى حاجة لمساهمة ريتشارد : لإلماعاته المسهبة الجريئة عبر عوالم تتلاشى أو تضيع كلياً . بينما لا ضمانة هناك ، كما يبدو محتملاً أو أكثر احتمالاً ، أن تتفق كلاريسا مع جمع الآخرين الصغير . ريتشارد كثيف حزين منتقد ، ريتشارد المراقب بدقة واستنفاد ، حاول أن يشطر الذرة بالكلمات ، سيبقى بعد آخرين ، وقد تشحب أسماء أكثر حداثة منه .

كلاريسا رفيقة ريتشارد الأقدم ، أول قرائه – كلاريسا التى تراه يومياً ، بينما يتصور بعض أصحابه الحاليين أنه مات فعليا – تقيم لأجله حفلاً . تملأ كلاريسا بيتها بأزهار وشموع . أفلا تريد منه أن يأتى ؟

يقول ريتشارد «لست مطلوباً هناك حقاً ، يمكن للحفل أن يمضى بمجرد فكرة عنى . كما سيحدث الحفل فعلياً ، بى أو بدونى» .

«الآن تبدو مستحيلاً . سأفقد صبرى حالا» .

«لا ، رجاء ، لا تغضبى . أو مسز دى ، الحقيقة أننى محرج من الذهاب للحفل . فأنا فاشل بصورة مزرية» .

«لا تتكلم هكذا» .

«لا ، لا . فأنت حنونة ، حنونة جداً ، لكنى أخشى من فشلى ، وتلك هى المسألة . هذا كثير علىّ . كنت أظن دائماً أننى أكبر مما أنا عليه . هل لى أن أخبرك بسر محرج ؟ لم أخبره لأحد من قبل» .

«طبعاً» .

«كنت أظن نفسى عبقرياً . واستخدمت هذه الكلمة بالفعل مع نفسى» .

«هيه» .

«أوه ، كبرياء كبرياء . كنت مخطئاً تماماً . لكن هزمنى هذا ، وبرهن ببساطة أننى مقهور . هذا كثير ، آه كثير علىّ . أعنى ، هناك طقس ، هناك ماء وأرض ، هناك حيوانات وبنايات ، وماض ومستقبل ، هناك فضاء ، هناك تاريخ . هناك خيط أو شىء أقبض عليه بين أسنانى ، هناك امرأة عجوز عبر الطريق ، هل لاحظت كيف تسوط الحمار والسنجاب على حرف نافذتها ؟ وطبعاً هناك زمان . ومكان ، هناك أنت ، مسز دى . كنت أريد حكاية جزء من رواية عن جزء منك . آه، أحب لو أفعل ذلك» .

«ريتشارد . لقد كتبت كتاباً كاملاً» .

«لكن كل شىء بقى بعده ، كلّ شىء تقريباً . أنا الآن ملتصق بصدمة النهاية . أوه ، لا أفتش عن عاطفة حقا . فنحن نرغب بعضنا بعضاً كثيراً، أليس كذلك ؟» .

«نعم . يفترض أننا هكذا» .

«أنت قبلتنى جنب بركة» .

«منذ عشرة آلاف سنة» .

«كأنه لا يزال يحدث» .

«بحس ما ، نعم» .

«فى الواقع . حدث ذلك فى الحاضر . يحدث فى هذا الحاضر» .

مكتبة
t.me/soramnqraa

«أنت متعب يا عزيزى . عليك بالراحة . سأستدعى بينج يعطيك دواءك» .

«أوه ، لا ، لا أستطيع الراحة . تعالى هنا ، تعالى أقرب ، أرجوك؟»

«أنا هنا» .

«أقرب . خذى بيدى» .

تأخذ كلاريسا يد ريتشارد بين يديها . مندهشة حتى الآن ، كم هى هشة – محسوسة كحزمة أغصان صغيرة .

يقول «هانحن هنا . ألا تفكرين هكذا ؟»

«كيف؟»

«إننا عشاق شباب بمنتصف العمر ، نقف جنب بركة . إننا كل شىء، كله دفعة واحدة ، أليس ملحوظاً؟»

«نعم» .

«ليس عندى أسى حقا ، عدا ذلك . كنت أريد الكتابة عنك ، عنا . هل تعرفين ما أعنى ؟ أريد كتابة كل شىء ، الحياة التى نعيشها والحياة التى عشناها . أريد الكتابة عن الطرق التى قد نموت بها» .

تقول كلاريسا «لا تبتئس على شىء ، يا ريتشارد . لا حاجة لذلك ، فقد فعلت الكثير» .

«لطيف منك قولك هذا» .

«ما تحتاجه الآن سنة من النوم» .

«تعتقدين ذلك ؟»

«أعتقد» .

«طيب» .

تقول «سآتى لمعاونتك فى ارتداء الملابس . ماذا عن الثالثة والنصف؟»

«يسعدنى دائماً أن أراك ، مسز دلاواى» .

«سأذهب الآن علىّ وضع الأزهار بالماء» .

«نعم . عزيزتى ، نعم» .

تلمس كتفه النحيل بأطراف أصابعها . أنى لها أن تحس بالأسى ؟ كيف تتصور الآن قضاء حياتهما معاً ؟ قد يكونان زوجاً وزوجة ، توأماً روحياً ، وعشاقاً على جانب . هناك وسائل لإنجاح ذلك .

كان ريتشارد شرهاً طويلاً ، عصبياً لامعاً شاحباً كحليب . كان يمشى مسرعاً فى نيويورك بمعطف عسكرى عتيق ، يتكلم منفعلاً ، بعقدة دكناء من شعره مربوطة بنفاد صبر بعيداً عن وجهه بشريطة زرقاء طويلة عثر عليها يوماً

تقول كلاريسا «فعلت شيئاً معيباً . لم أتصوره نوعاً من إغراء خطير» .

«أوه ، تعرفين كم أحب الأشياء المعيبة . لا فرق ، بالطبع . صحيح ، كلاريسا؟» .

«نعم ؟»

يرفع رأسه الضخم ، التالف . تدير كلاريسا وجهها جانباً ، تتلقى قبلة ريتشارد على خدها . لم تكن فكرة جيدة أن تقبله على الشفتين – البرد العادى كارثة عليه . تتلقى كلاريسا القبلة على خدها ، تضغط كتف ريتشارد النحيل بأطراف أصابعها

تقول «أراك فى الثالثة والنصف »

يقول ريتشارد «رائع . رائع» .

مسز وولف

تتطلع للساعةفوق المائدة . مرت ساعتان تقريباً . لاتزال تحس بقوة ، رغم معرفتها أنها قد تعيد النظر فيما كتبته غداً فتجده متصنعاً ، بلا طعم . فالمرء يحتفظ فى خياله دائاً بكتاب أفضل مما يستطيع تحقيقه على الورق . تأخذ رشفة من قهوة باردة ، وتقرأ ما كتبته حتى الآن .

يبدو جيداً كفاية ؛ تبدو أجزاء جيدة جداً . لديها طبعاً آمال مفرطة – فهى تريده أفضل كتبها ، كتاب يتواءم بالنهاية مع توقعاتها . لكن هل يصلح يوم واحد بحياة امرأة عادية مادة كافية لرواية ؟ تطرق فرجينيا على شفتيها بإبهامها . ستموت كلاريسا دلاواى مما تحس به ، رغم أنه مبكر أو مستحيل القول كيف أو حتى بالضبط لماذا . تظن فرجينيا إنها تتحمل حياتها . نعم ، ستفعل .

تضع فرجينيا القلم جانبا . عليها أن تكتب طول اليوم ، لملء ثلاثين صفحة بدلاً من ثلاثة ، لكن بعد الساعات الأولى يتعلثم شىء بداخلها ، وتقلق من أنها لو اندفعت وراء حدودها فستفسد مشروعا . ستدعه يهيم بعالم مشوش قد لا تعود منه . فى الوقت نفسه ، تكره قضاء أى من ساعاتها المقحمة فى فعل شىء عدا الكتابة . تعمل دائماً بخوف الانتكاس . تهل بداية نوبات الصداع ، لا تعتبر ألما عادياً (لا يبدو «الصداع» مصطلحاً ملائماً لهذه النوبات ، ولو دعوناها باسم آخر فسيكون ميلودرامياً) . فهى

تجعلها ترشح . تستوطن أكثر من مجرد توجعها ، بالطريقة التى تستوطن بها الفيروسات مضيفيها . أسلاك ألم تعلن عن نفسها ، تلقى برعشات لمع إلى عينيها بإلحاح حتى تذكر نفسها بأن الآخرين لا يستطيعون رؤيتها . ألم يستعمرها ، يستحل بسرعة المزيد والمزيد مما كان فرجينيا ، بتقدمه الفعال، بمحيطه الخشن مميزاً ، لكن لا تتصوره كينونة بحياة من تلقاء نفسها . ترى ذاك وهى تسير مع ليونارد بالميدان ،تطفو كتلة بيضاء فضية وامضة على حصى الطريق ، محببة كيفما اتفق ، سائلة لكن كلية كقنديل بحر . يسأل ليونارد «ماذا ؟» . تجيب «صداعى . فتجاهل الأمر» .

الصداع هناك يرقبها ، وفترات حريتها مهما طالت تحس دائماً أنها مؤقتة ، أحياناً يستحوذ عليها الصداع جزئياً طيلة أمسية أو يوم أو اثنين ببساطة ، ثم ينسحب . يظل هناك أحياناً ويزداد حتى تسوخ منه . فى تلك الأوقات يتحرك الصداع خارجاً من جمجمتها إلى العالم . كل شىء يلمع نابضا . كل شىء مصاب بلمعان ينقط منه ، وهى تضرع للظلام كجوال ضاع بالصحراء يضرع للماء . العالم ، كل جزء منه كحد الظلام كصحراء بماء . لا ظلام هناك بالحجرة المغلقة نوافذها ، لا ظلام وراء جفنى عينيها . هناك درجات أكبر أو أقل من الإشعاع . حين تعبر إلى عالم من بريق قاس ، تبدأ الأصوات . منخفضة أحياناً ، دمدمات غير مجسدة تلتئم من الهواء نفسه ؛ وتنطلق أحياناً أخرى وراء الأثاث أو داخل الجدران . غير مميزة لكن مليئة بالمعانى ، ذكورة غير منكرة ، قديمة فاحشة ، غاضبة اتهامية ، محررة من الوهم تبدو أحيانا متقلبة بهمسات بين أنفسها ، تبدو أحيانا وهى تتلو نصوصاً . تستطيع أحيانا بشحوب أن تميز كلمة . «خلع» و«تحت» بمناسبتين . سرب عصافير خارج نافذتها غرد مرة واضحاً ، باليونانية . تجعلها هذه الحالة بائسة بشكل جحيم ؛ تقدر على الصراخ بهذه الحالة فى

ليونارد أو أى امرىء آخر يقترب (تخفق مع النور كالشياطين) ؛ وحين تطول هذه الحالة مع ذلك تبدأ أيضا بتكفينها ساعة بساعة ، مثل خادرة بعد يرقة. وحين تنقضى ساعات كافية بالنهاية ، تنبعث ملطخة بالدماء ، ترتجف، لكن ممتلئة بالرؤية ومستعدة للعمل ثانية ، مجرد أن ترتاح . ترهبها زلاتها بالألم والنور وتشك بضرورتها . فقد تتحرر بعض الوقت منذ الآن ولعدة سنوات . تعرف كيف يعود الصداع فجأة لكنها تهمله بحضرة ليونارد ، تتصرف بعافية حازمة أكثر مما تحس أحياناً . ستعود إلى لندن . تفضل أن تموت وهى تهذى من الخبل فى لندن عن أن تتبخر هنا فى ريشمون .

تقرر متشككة أنها انتهت اليوم . هذه الشكوك هناك ، دائماً . هل تحاول ساعة أخرى ؟ ستكون حكيمة أم كسلانة ؟ تقول لنفسها ، حكيمة ، وتظن ذلك تقريباً . لديها مائتان وخمسون كلمة ، أكثر أو أقل كافياً . فلتثق أنك هنا ، على علم بنفسك ثانية ، غداً

تأخذ كوبها بثقله البارد ، وتخرج من الحجرة لأسفل على السلالم إلى حجرة الطباعة ، حيث يقرأ رالف بروفات صفحة ريثما ينتهى ليونارد منها .

يقول رالف «صباح الخير» بانشراح وعصبية إلى فرجينيا . وجهه الوسيم الهادىء العريض أحمر ، جبهته متوهجة عملياً ، وترى منه فوراً أنه ليس صباحاً جيداً على الإطلاق . يتذمر ليونارد من عدم الكفاءة بالحصيلة الأخيرة أو المتبقية من الأمس ، ويجلس رالف الآن يقرأ بالبروفات ويقول «صباح الخير» بحماسة مجفلة كطفل سليط . ترد «صباح الخير» ، بصوت منعش لكنه حذر غير عاطفى . هؤلاء الشبان رجالا ونساء ، هؤلاء المساعدون ، يأتون ويروحون ؛ بعد استئجار ميرجورى (بتشدقها المفزع ، وأين هى الآن بالضبط ؟) لأداء مهام يخلفها رالف وراءه . لن يدوم الأمر طويلاً بالتأكيد ، من قبل رالف ثم ميرجورى ، وتخرج فرجينيا من حجرة

مكتبها لتجد شخصاً جديداً يتمنى لها «صباح خير» مهذبة ، بوجه أحمر . تعرف أن ليونارد فظ لاذع وكله ، كما أن مطالبه كثيرة بشكل مستحيل . تعرف أن هؤلاء الشبان منتقدون غالباً بدون تعقل لكنها لن تصف ضده. لن تكون الأم التى تعترض كثيراً كلما ترجوها بابتساماتها الشغوفة وعيونهم الجريحة . رالف عموماً مصدر قلق ليتون ، وليتون ترحب به . مثل أخوة وأخوات يأتون ، يواصلون فعل ما يفعلون بالعالم الأكبر - لا يتوقع لهم أحد امتهان شيء أبعد من مساعدة بمطبعة . ليونارد مستبد وظالم لكنه رفيقها وراعيها وهى لن تخونه بالتأكيد ، لا من أجل رالف الغر الوسيم أو ميرجورى بصوتها الببغائى .

يقول ليونارد «عشرة أخطاء بثمانى صفحات» . يتعمق القوسان حول فمه حتى لتستطيع أن تسقط فيهما بنساً .

تقول فرجينيا «من حسن الحظ أن وجدتها» .

«يبدو أنها تجمعت بالقسم الأوسط . تعتقدين أن الكتابة الرديئة تستجلب فعلاً تكراراً أعلى من سوء الحظ ؟»

«كم أحب العيش بعالم يكون حقيقياً . سأذهب للسير لتصفو دماغى ، ثم آتى لمباشرة العمل» .

يقول رالف «إننا نحرز تقدماً كبيراً . ولابد أن ننتهى بآخر النهار» .

يقول ليونارد «سيسعدنا الحظ لو انتهينا بمثل هذا الوقت من الأسبوع المقبل»

[illegible] رالف [illegible] . يدير ظلا أحمر دقيقاً وأشد نعومة . تفكر ، بالطبع [illegible] رالف يرص الحروف المطبوعة ، بإهمال . الحقيقة أنها تفكر ، تجلس بهدوء ودون تردد . ترتدى زياً رمادياً وقوراً ، بين هذين الرجلين . لا تأبه لـ رالف ، جندى المشاة الشاب الذى يقدر الأدب لكنه يقدر بدرجة مساوية أو

حماسة أكبر ، البراندى والبسكوت المنتظر بعد نهاية عمل اليوم ؛ شاب طيب القلب وغير استثنائى ويعتمد عليه ، بقياس محدد ، فى تخليد الشغل العادى لعالم عادى . الحقيقة بطريقة مماثلة أنها (حسرتاه) لا تأبه لـ ليونارد ، ليونارد الذكى من لا يعرف الكلل ، من يأبى التمييز بين الهزائم والفواجع ؛ من يعبد الإنجازات أكثر من أى شىء آخر بينما لا يحتمله الآخرون فهو يظن أنه قادر حقا على استئصال وإصلاح كل عجز بشرى وبراعة متواضعة تقول «فيما بيننا ينتهى الكتاب إلى شكل مقبول ، ولا يزال عندنا الكريسماس» .

يبتسم إليها رالف بارتياح منظور حتى تحفزت لصفعه . يقدر عاطفتها – فهى لم تتكلم نيابة عنه بل عن ليونارد ، كوالدتها حين كانت تفسح مجالاً لخطأ خادمة على العشاء ، فتعلن لزوجها والآخرين الحاضرين أن الوعاء المحطم لا ينذر بشىء؛ لأن دائرة الحب والتحمل لا يمكن كسرها ؛ فالكل آمن .

مسز براون

الحياة ، لندن ، هذه اللحظة من يونيو .

تبدأ نخل الدقيق بوعاء أزرق ، خارج النافذة فصل موجز من العشب يفصل المنزل عن الجيران ؛ ظل طائر يخطط جص جراج الجيران الأبيض المصمت . تسر لورا قليلا من أعماقها بظل الطائر ، بشرائط بيضاء وخضراء لامعة . على النضد أمامها وعاء طباشيرى شاحب ، أزرق باهت قليلاً بحز رفيع من أوراق بيضاء عند الحافة . أوراق متماثلة منمقة برسوم طفيفة ، مشطوفة بزوايا غير مقيدة ، تبدو كاملة رغم أن إحداها تعانى من موضع مكسور صغير مستطيل بدقة من جانبه . مطر أبيض ناعم من الدقيق يسقط بالوعاء .

تكلم ريتشى «هانحن هنا . تريد أن ترى؟» .

يرد «نعم» .

تركع لتريه الدقيق المنخول . «الآن ، نقيس أكوابا أربعة . أوه ، حبيبى . هل تعرف أن تعد حتى أربعة ؟» .

يقيم أصابعه «طيب . شاطر» .

تود هذه اللحظة أن تلتهمه ، لا بنهم بل بعبادة ، رقيقة بلا حدود ، كما اعتادت تناول خبز القربان بفمها قبل أن تتزوج وتنقلب (لن تسامحها أمها ، أبداً) . كانت مفعمة بحب عنيف واضح ، كمثل شهية الطعام .

تقول «أنت ولد ذكى ، رائع» .

يبتسم ريتشى ؛ متطلعا بحماس لوجهها . تنظر إليه ثانية . يتوقفان ساكنين ، يرقب كل الآخر ، وتبدو للحظة على ما هى عليه ، بدقة : امرأة حامل تركع بمطبخ مع ابنها فى عامه الثالث ويعرف العد حتى أربعة . لا فرق بينها هى نفسها وصورتها الكاملة عن نفسها . ستخبز كعكة عيد الميلاد – كعكة واحدة فقط – فى بالها حالياً كعكة حسنة المظهر متألقة كأى صورة بأى مجلة ؛ بل حتى أفضل من صور الكعك بالمجلات تتخيل خبز كعكة ، بعيداً عن المواد المتواضعة ، بكل اتزان وسلطة جرة أو منزل . كعكة ناطقة بسخاء ومتعة كمنزل ينطق بالراحة والأمان . تفكر ، هكذا يحس الفنانون أو المعماريون (تعرف أنها مقارنة مفحمة لأبعد حد . حمقاء قليلاً لكن صورة ساكنة) إزاء نسيج لوحة ، مع حجر ، مع زيت أو إسمنت مبلل . ألم يكن مثلا كتاب مسز دلاواى مجرد ورق فارغ وزجاجة حبر ؟ تقول لنفسها ، مجرد كعكة . لكن صورة ساكنة . هناك كعك وهناك كعك . وهى تمسك الوعاء الآن مليئا بالدقيق المنخول فى منزل مرتب تحت سماء كاليفورنيا ، تأمل الرضى مشبعة بالحدس مثل كاتبة تسجل جملتها الأولى ، كبناء يشرع برسم الخطط .

تكلم ريتشى «يا أمور ، فعلت أول شىء» .

تسلمه كوباً معدنياً براقاً . أول مرة يوثق به فى عمل كهذا . تجهز لورا لأجله وعاء ثانياً فارغاً على الأرض . يمسك كوب القياس بكلتى يديه .

تقول «هيا» .

ترشد يدى ريتشى بيديها ، تساعده بغمر الكوب فى الدقيق . يروح الكوب بسهولة ، وبحائطه الرفيع يحس حرير الدقيق المنخول وخشونته الطفيفة . ترتفع سحابة صغيرة بنهضة الكوب . أم وابن يحضرانه مثقلا

بالدقيق . يسقط الدقيق كشلال على جوانبه الفضية . تدل لورا ولدها أن يمسك الكوب ثابتاً فينجح بعصبية فى ذلك ، وبلمحة واحدة سريعة تمسح كومة صغيرة محببة أعلاه فتشطف سطح الأبيض المتصدع على مستوى شفة الكوب بالضبط . وهو لا يزال يمسك الكوب بكلتى يديه .

تقول «الآن نضعه بالوعاء الآخر . أتظن أنك تستطيع ذلك بنفسك؟» .

يوافق رغم أنه ليس متأكداً . يعتقد أن كوب الدقيق فريد لا يمكن الاستعاضة عنه . كواحد يطلب منه حمل كرنب بالشارع ، وآخر يطلب منه حمل رأس أبو للو لـ ريلكه المكتشف حديثاً .

تقول «هيا بنا» .

يزحزح الكوب بحذر للوعاء الآخر ويمسكه هناك موازياً فوق تجويف الوعاء الأبيض اللامع (الأصغر التالى بسلسلة أوعية متداخلة ، أخضر شاحب ، بخليط الأوراق البيضاء نفسها عند حافته . يفهم المتوقع منه ، أن يغرق الدقيق بالوعاء لكن يبدو أنه أخطأ الاتجاهات وسيفسد كل شىء ؛ يبدو أنه بسكب الدقيق سيسبب كارثة أكبر ، يقلب بعض التوازن الحذر . يريد التطلع فى وجه أمه لكنه لا يستطيع صرف عينيه عن الكوب .

تقول «اقلبه» .

يقلبه بحركة واحدة مرتعبة متعجلة . يتردد الدقيق جزءاً من الثانية ، ثم ينسكب . يسقط الدقيق صلباً ، برابية تردد صدى متحرراً لشكل كوب القياس . ترتفع سحابة أكبر تكاد تلمس وجهه ، ثم تتلاشى . يحدق أسفل على ما فعله : تل أبيض ، حبيبى بدرجة طفيفة ، منقط بظلال بالغة الدقة ، تقف داخل الوعاء الأبيض الكريمى اللامع .

تقول أمه «قف» .

يتطلع إليها فى فزع . عيناه تمتلئان بالدموع .

تتنهد لورا . لماذا هو رقيق للغاية ، ميال لنوبات ندم غير مفسر ؟ لماذا يجب أن تكون أكثر حذراً معه ؟ للحظة – لحظة واحدة – يتغير شكل ريتشى برقة . يكبر ، أكثر لمعاناً . يتمدد رأسه . لمعة ببياض موتى ، باختصار ، تحيط به . للحظة تريد فحسب أن ترحل – حتى لا تؤذيه ، لن تفعلها أبداً – لتكون حرة طاهر الذيل ، غير مسئولة .

تقول لورا «لا ، لا . حسن . حسن جداً . صحيح بالضبط» .

يبتسم دامعاً ، فخوراً فجأة بنفسه ، مرتاحاً بجنون تقريباً . حسن ، إذن، لا يطلب شيئاً عدا بعض كلمات عطوفة ، قليلاً من إعادة الطمأنة ، تتنهد . تلمس شعره برقة .

تقول «الآن . مستعد لعمل شيء آخر؟»

يومىء بحماس ساذج مكشوف حتى لينقبض حلقها بفورة حب . تتبين فجأة سهولة خبز كعكة، تربية طفل . تحب ابنها بصفاء ، كما تفعل الأمهات – لا تجعله مستاء ، فلا تتمنى الرحيل . تحب زوجها ، وسعيدة أنها تزوجت . من المحتمل (لا يبدو مستحيلاً) أنها مغيبة عبر خط لا مرئى ، خط يفصلها دائماً عما تفضل أن تحس به ، عما تفضل أن تكونه . لا يبدو مستحيلا أنها خضعت لتحول دقيق بل عميق ، هنا فى هذا المطبخ ، بهذه اللحظات الأكثر اعتيادية : منشغلة بنفسها ، فقد عملت طويلاً جداً بمشقة كبيرة على مثل هذه الحقيقة ، واكتسبت بنفسها الآن براعة الحياة فى سعادة كتعلم طفل فى لحظة معينة كيف يتزن على دراجة بعجلتين . يبدو أنها ستصبح بخير . فلن تفقد الأمل . لن تحزن على ما فاتها من فرص ، فمواهبها غير مكتشفة (ماذا لو كانت بدون مواهب؟) . ستظل مخلصة لابنها، زوجها ، بيتها وواجباتها ، كل هباتها . وهكذا تريد هذا الطفل الثانى .

مسز وولف

تمضى أعلى طريق جبل أرارات (١) ، تخطط لانتحار كلاريسا دلاواى . تقع كلاريسا فى غرام : امرأة . أو فتاة ، فضلاً ؛ نعم ، فتاة عرفتها فترة بنوتتها ؛ واحدة من عواطف تتدلع والمرء صغير – حين يبدو الحب والأفكار كاكتشاف شخصى بحت للمرء ، لم يدركه من قبل بهذه الطريقة ؛ خلال فترة الشباب القصيرة حين يحس المرء أنه حر فى فعل أو قول أى شىء ، يكون صادماً مندفعاً؛ لمستقبل معروض وطالباً لآخر ، أكبر وأكثر غرابة ، مخترعاً ومملوكاً كاملاً من قبل المرء نفسه ، لا يدين بشىء للعمة العجوز هيلينا ، الجالسة كل ليلة بكرسيها المعتاد مستفسرة بصوت عال إن كان أفلاطون وموريس ملائمين لقراءة النساء الصغيرات . ستحب كلاريسا دلاواى فى شبابها الأول فتاة أخرى ، هكذا تفكر فرجينيا ؛ أن كلاريسا مؤمنة بمستقبل مستهتر ثرى ينفتح أمامها ، بل تتوصل أخيراً (كيف ينجز التغيير بالضبط؟) إلى مشاعرها ، كما تفعل النساء الصغيرات، فتتزوج الرجل المناسب .

نعم . ستتوصل إلى مشاعرها ، وتتزوج .

ستموت فى منتصف العمر . تقتل نفسها ، محتمل ، لشىء تافه (كيف

---

(١) أرارات: اسم جبل قيل رسا عليه فلك نوح (ع. س) . بالاناضول حاليا. (م) .

يصبح هذا مقنعاً . تراجيداياً بدلا أن يكون كوميديا؟) .

سيحدث ذلك بالطبع لاحقاً بالكتاب ، وفى الوقت الذى تصل فيه فرجينيا إلى غرضها تأمل بالكشف عن طبيعته الدقيقة . تركز أفكارها الآن بسيرها فى ريشمون ، تركز أفكارها بمسألة حب كلاريسا الأول . فتاة . تفكر ، فتاة متهورة آسرة . تفضح العمات بقطعها رؤوس أزهار الداليا وورد الخطمية وتعويمها بأوانى ماء كبيرة ، كما كانت تفعل دائماً فينيسا ، أخت فرجينيا .

تمر فرجينيا هنا فى طريق جبل أرارات بامرأة جريئة ، بجسد شائع من المحلات ، بزوجة عجوز متشككة عفية تسير بمصاحبة كلبى بج (١) مع رسن لون البراندى لكل منهما، حاملة حقيبة يد مطرزة كبيرة بيدها الأخرى، وبتجاهل فرجينيا المتباهى يتبين بوضوح أن فرجينيا تتكلم ثانية بصوت عال دون أن تدرك . نعم ، تسمع عمليا كلماتها المدمدمة ، تفضح العمات ، وهى تتقاطر كوشاح خلفها . حسناً ، ما هذا ؟ بعد مرور المرأة بوقاحة ، تدور فرجينيا مستعدة كلياً للتحديق بنظرتها المختلسة للوراء . تصادف عينا فرجينيا أحد كلبى البج ، محدقاً عبر كتف لون خشف الظبى إليها بتعبير ارتباك رطب ، يئز بالصفير .

تصل طريق كوين فتدور عائدة للبيت وهى تفكر فى فينيسا ، فى أزهار مقطوعة الرأس بأوانى ماء .

رغم أن ريشمون كانت الأفضل ، فهى ضاحية أخيراً وبدرجة لا تنكر، بكل ما تتضمنه الكلمة عن أطر النافذة وحواجزها ؛ عن زوجات تسير بمصاحبة كلاب بج، عن ساعات تدق بحجرات فارغة . تفكر فرجينيا فى غرام الفتاة ، تزدرى ريشمون . تموت جوعاً إلى لندن ؛ تحلم أحياناً بقلوب

---

(١) كلب البج: شبيه بكلب البولدج ، لكن اصغر منه . (م) .

المدن . هنا ، أخذت لتعيش بالتحديد سنواتها الثمانى الأخيرة فلم تكن غريبة ولا عجيبة ، تخلصت بشكل واسع من نوبات الصداع والأصوات، سوران الغضب . كل ما ترغبه هنا العودة لأخطار حياة المدينة .

على سلالم بيت هوجارت ، تتوقف لتتذكر نفسها . فقد تعلمت عبر سنين أن صحة العقل تشمل على القياس تمثيل الشخصية ، لا لصالح الزوج والخدم ببساطة بل أولا وأخيراً لصالح قناعات المرء ذاتها . هى المؤلفة ؛ لوينارد ونيللى ورالف والآخرون مجرد قراء . هذه الرواية تتعلق بامرأة ذكية رائقة ، بمدركات حساسة مؤلمة . كانت مريضة ذات يوم وشفيت الآن ؛ تتجهز للموسم فى لندن ، حيث ستقيم وتحضر حفلات ، تكتب صبحاً وتقرأ بالظهيرة ، غداء مع الصحاب ، لبس أنيق . هناك فن حقيقى فى ذلك ، فى طلب الشاى وموائد العشاء بلياقة مشجعة . قد يغمط الرجال أنفسهم بكتابة حقيقية وعاطفية عن تحركات الأمم ؛ قد يكفرون بالحروب والبحث عن الله لإنتاج أدب عظيم بمثل هذه الموضوعات ، لكن لو انقلب موقف الرجال فى العالم باختيار طائش لقبعة، فسيتغير الأدب الإنجليزي بصورة درامية .

تعتقد أن كلاريسا دلاواى ستقتل نفسها من شىء قد يبدو سطحيا هينا جدا. سيفشل حفلها أم يأبى زوجها من جديد ملاحظة بعض الجهد الذى قامت به لشخصها أو لمنزلهما . ستكون الخدعة باستدعاء بكر لأهمية كلاريسا المنمنمة لكن بيأس حقيقى، لإقناع القارىء كليا أن الهزائم المألوفة بالنسبة لها جزء مدمر كمعارك خاسرة بشكل عام .

تدخل فرجينيا من الباب. تحس أنها تحت إمرة شخصية تدعى فرجينيا وولف، شخصية تنزع معطفها الفضفاض ، تعلقه ثم تنزل للدور السفلى نحو المطبخ لتكلم نيللى عن الغداء .

بالمطبخ تلف نيللى اديم الكعكة . نيللى نفسها، دائما نفسها، متوردة

متبجحة دائما، فخمة ساخطة ، كمن انفقت حياتها بعمر من المجد ولياقة ماتت إلى الأبد ، قبل عشر دقائق من دخولك الحجرة، تستغرب منها فرجينيا . كيف تتذكر ، كيف تنجح كل يوم وكل ساعة أن تكون بالضبط كما هى ؟

تقول فرجينيا: أهلا، نيللى .

تركز نيللى فى أديم الكعكة: أهلا مدام ، كأن قارورتها الخشبية تكشف كتابة باهتة بل مقروءة بالعجين .

– هذه فطيرة الغداء ؟

– نعم مدام فكرت فى فطيرة بلحم الغنم هناك بقايا منه ، وكنت مشغولة بالعمل صباحا فلم نتحدث .

تقول فرجينيا «فطيرة بلحم الغنم جميلة ، رغم أنها تكد لتظل بشخصيتها . تذكر نفسها : الطعام ليس خطيئة . لا تفكر فى عفن أو عبث، لا تفكر فى وجه بمرآة .»

تقول نيللى «أعددت حساء قرة العين (١) . وفطيرة . وأفكر فى قليل من الكمثرى الأصفر لحلوى البودنج ، إن لم تبلغى عما تحبينه أكثر» .

ها هو التحدى مقلوبا. إن لم تبلغى عما تحبينه أكثر. تقف أمازونية مستعبدة (٢) على ضفة النهر ملفوفة بفراء حيوانات قتلتها ثم سلختها، فتسقط حبة كمثرى أمام خف الملكة الذهبى وهى تقول «هذا ما جلبته. إن لم تبلغى عما تحبينه أكثر » .

تقول فرجينيا «الكمثرى بديعة، رغم أن الكمثرى قطعا ليست بديعة، ليس

---

(١) قرة العين: نبات اصفر اللون (م).
(٢) أمازونية: محاربة بأساطير الإغريق وتشير عموما إلى امرأة قوية طويلة مسترجلة (م).

الآن . لو انجزت فرجينيا حقا ثم ظهرت صبحا بالمطبخ تطلب الغداء لكانت البودنج من أى شىء تقريبا . مهلبية باللوز أو جاتوه ، وقد تكون كمثرى . قد تسير فرجينيا ببساطة للمطبخ فى الثامنة لتقول «دعينا لا نتبرم من حلوى البودنج اليوم، فالكمثري ملائمة بالضبط . لكنها انسلت بدلا من ذلك لحجرة مكتبها مباشرة، تخاف اليوم أن تنحل كتابتها (نزوة هشة ، بيضة تتزن على ملعقة) من نوبات نيللى المزاجية . تعرف ذلك نيللى ، تعرفه طبعا، وبعرضها الكمثرى تذكر فرجينيا أنها نيللى القوية، تعلم الأسرار ، وأن الملكات المعنيات بحل الألغاز فى غرفهن اكثر مما يفعلن لرفاهية شعوبهن ينبغى أن ينلن أى شىء يطلبنه .

تلقط فرجينيا لفة من أديم الحلوى برقعة العجين ، تقولبها بين أصابعها . تقول هل تعلمين أن فينيسا والاطفال سيحضرون الرابعة؟».

«نعم ، مدام » ، وترفع نيللى أديم الحلوى بكفاءة مدروسة فتثنيه بصينية الفطير . حركة عملية شديدة الرقة، تذكر فرجينيا بتغيير حفاضات المواليد فتحس بايجاز أنها فتاة تشهد، بخشية وضراوة ، كفاءة أم عويصة .

تقول «هناك شاى صينى ، أعتقد وزنجيل محلى » .

شاى صينى ، يا مدام ؟ وزنجبيل ؟ » .

لن نتحمل فينيسا اكثر من اسبوعين . وافضل أن نعطيها ما هو أحسن من فضلات شاى الأمس » .

شاى صينى وزنجبيل محلى يعنى لندن، فهى لاتباع هنا » .

«يأتى قطار كل منتصف ساعة، وباص كل ساعة . ألا نحتاج شيئا آخر من لندن ؟» .

«هناك دائما أشياء . الساعة الحادية عشرة والنصف الآن بالضبط، وهناك وقت لإنهاء المأدبة الصغيرة . الزوجة الجميلة ستأتى الرابعة. قلت

الرابعة ؟» .

«نعم ، وقبل الرابعة اى الرابعة بالضبط هناك خمس ساعات تقريبا من الآن ، والآن الحادية عشرة وثمانى دقائق . يوصلك قطار الثانية عشرة والنصف لندن بعد الواحدة بدقائق . ويقلك قطار الثانية والنصف عائدة هنا بعد الثالثة ، بسرعة وأمان، مع الشاى والزنجبيل بيدك . هل أخطأت الحساب ؟ » .

تقول نيللى «لا» تأخذ لفتا من الوعاء وتقطع طرفه بضربة سكين عملية. تفكر فرجينيا : تود لو تشق حلقى، هكذا، بضربة مرتجلة، كأن قتلها إياى مهمة روتينية اخرى تقف بينها وبين النوم . سبب ذلك أن نيللى قد تقتل ، بكفاءة ودقة الطريقة التى تطبخ بها، تتابع وصفات طهيها التى تعلمتها منذ وقت طويل لكن أهملت فرجينيا واجباتها . يمكنها هذه اللحظة شق حلق فرجينيا بسعادة كاللفتة فقد أهملت فرجينيا واجباتها، ونيللى بوكسل الآن امرأة ناضجة ، تعاقب لتقديمها الكمثرى . لماذا يصعب التعامل مع الخدم؟ نجحت أم فرجينيا من قبل بشكل بديع. وتنجح فينسيا الآن بشكل بديع . لماذا يصعب عليها أن تكون حازمة وعطوفا مع نيللى ، أن تنال احترامها وحبها؟ تعرف فرجينيا كيف تدخل المطبخ، كيف تهيىء كتفيها ، كيف يكون صوتها امواميا لكن ليس أليقا ، كمربية اطفال تكلم طفلها الحبوب، آه فلنأخذ شيئا غير الكمثرى يا نيللى ، مستر وولف متقلب المزاج اليوم وأخشى ألا تهدىء الكمثرى تقريبا مزاجه. تقول هذا ببساطة .

ستلقن كلاريسا دلاواى مهارة كبيرة مع الخدم، بطريقة عطوف معقدة آمرة . سيحبها خدمها . سيفعلون أكثر مما تطلب .

مسز دلاواي

تدخل كلاريسا الصالة بأزهارها، تقابل سالى فى طريقها للخروج . للحظة – أقل من لحظة – ترى سالى كما لو كانتا غريبتين . سالى امرأة رمادية شاحبة، بوجه قاس ، نافدة الصبر ، أخف عشرة باوند مما ينبغى أن تكون . ترى لوهلة هذه الغريبة بالصالة ، كلاريسا ممتلئة رقة وغموضا، باعتراض رصين . تفكر كلاريسا ، إنها مثيرة وجميلة. تفكر كلاريسا، إنها لا ترتدى أصفر أبدا، ولا حتى هذه الدرجة العميقة من الخردل .

تقول سالى أهلا. ازهار عظيمة .

تقبلان بسرعة . على الشفاه . كريمتان دائما بالقبلات .

تسأل كلاريسا «أين تذهبان» ؟ .

«أعلى المدينة ، غداء مع اوليفر سانت ايفس . أخبرتك؟ لا أتذكر إن كنت أخبرتك » .

«لم تفعلى » .

أسفة . تضايقت ؟

على الإطلاق . من اللطيف تناول غداء مع نجم سينما .

نظفت نفسى هناك كشيطانة .

بورق تواليت ؟

هنالك وفرة منه . ساعود خلال ساعتين .

- باى .
- تقول سالى الازهار عظيمة . لماذا احس أنى عصبية ؟
- تناول غداء مع نجم سينما ، كما افترض .
- فقط اوليفر . أحس انى ساهجرك .
- لن تفعلى فكل شىء رائع .
- متأكدة ؟
- اذهبى . وقتا سعيدا .
- باى .

يقبلان ثانية . فى الوقت المناسب ، ستكلم كلاريسا رفيقتها سالى، لتتخلى عن جاكتها لون الخردل .

بينما تواصل نزولها للصالة ، تتعجب من متعة شعرت بها - ماذا كانت؟ - منذ أكثر قليلا من ساعة عبرت. فى هذه اللحظة ، بالحادية عشرة والنصف فى يوم دافىء من يونيو ، يبدو مدخل بنايتها مثل مدخل عالم الموتى. جرة رماد الموتى تقعى بكوتها ويرتد قرميد الارض فى لمعته البنية صامتا بشكل موحل ، نور أصفر كهل بمصابيح معلقة. لا ، ليس عالم الموتى بالضبط ، فهناك شىء اسوأ من الموت، بوعده من البعث والسبات. هناك غبار صاعد، أيام بلا نهاية ، ومدخل يتسع ويتسع . مفعم دائما بالنور البنى نفسه وشديد الرطوبة ، ستؤكد هذا رائحة كميائية طفيفة حتى يهل ما هو اكثر دقة ، رائحة العمر الفعلية والخسارة ، نهاية الأمل . ريتشارد ، عاشقها الضائع، صديقها الحقيقى . يختفى فى مرضه وجنونه ، لن يصحبها ريتشارد ، كما هو مخطط فى عمرها الطاعن .

تحس كلاريسا بنفسها فى الشقة فورا ، بشكل غريب من التحسن. أحسن قليلا. هناك الحفل لتفكر فيه . على الأقل ها هنا بيتها، بيتها مع

سالى ، ورغم أنهما تعيشان هنا معا منذ خمس عشرة سنة تقريبا فلا تزال مصدومة بجمالها وبحظهما الرائع المستحيل . طابقان وحديقة فى وست فيليج ! ثريتان طبعا، ثريتان بفحش بالمقاييس العالمية ، لكن ليستا ثريتين ثريتين ، ليستا من أثرياء مدينة نيويورك . لديهما مبلغ محدد للإنفاق ومحظوظتان بهذه الطوابق من خشب الصنوبر ، ضفة من نوافذ زجاجية مفتوحة على فناء قرميدى ينمو فيه طحلب زمردى بأحواض صخرية ضحلة العمق ونافورة دائرية صغيرة ، صحن ماء صاف ، خرير عند لمسة مفتاح الكهرباء ، تأخذ كلاريسا الازهار للمطبخ. حيث تركت سالى رسالة (غداء مع اوليفر – نسيت أن أخبرك؟ – أعود الثالثة على الأقصى) ، كلاريسا مشبعة فجأة بحس من التشوش . هذا ليس مطبخها على الإطلاق. هذا مطبخ إحدى المعارف. جميل لكن ليس على ذوقها ، ممتلىء بروائح اجنبية . تعيش بمكان آخر، تعيش بحجرة تنقر شجرة على زجاجها بنعومة بينما يلمس شخص إبرة مسجل الفونوغراف . فى هذا المطبخ اطباق اصلية بيضاء مكدسة ، كأدوات قدسية خلف أبواب دولاب زجاجية . صف أوان من فخار التراكوتا ، تلمع بظلال منوعة من اصفر مجزع فوق نضد جرانيتى . تتعرف كلاريسا على هذه الأشياء لكنها تقف بعيدا. تحس بوجود شبحها الخاص، جزء منها مفعم بحيوية غير قابل للتلف وأقل تميزا، جزء لا يملك شيئا، يراقب فى دهشة وتجرد مثل سائح بمتحف صفّاً من أوان صفراء لامعة ونضدا بكسر ضئيل فيه، صنبورا من الكروم ترتعش فيه قطرة من ماء صغيرة واحدة تحشد ثقلها ثم تسقط. اشترت مع سالى هذه الاشياء . تستطيع تذكر كل صفقة ، لكن تحس بها الآن اعتباطية ، الصنبور والنضد والأوانى والاطباق البيضاء . مجرد اختيارات شىء يتلوه آخر، نعم أم لا، وترى ببساطة كيف تنسل خارجة من هذه الحياة – هذه الرفاهية الفارغة

الاعتباطية . تستطيع بسهولة أن تغادرها عائدة لمنزلها الآخر ، حيث لا يوجد سالى ولا ريتشارد ، فقط جوهر كلاريسا ، فتاة وقد نضجت الى امرأة، لا تزال مفعمة بالأمل ، قادرة على أى شيء. انكشف لها أن كل حزنها ووحدتها ، سقالتها المشققة كلها، تكبحها ببساطة عن التظاهر بالحياة فى هذه الشقة بين هاتيك الاشياء ، مع سالى العطوف العصبية، وحين تتركها ستكون سعيدة ، أو افضل من سعيدة . ستكون نفسها. تحس باختصار انها وحيدة مندهشة ، مع كل شيء امامها .

ثم يتقدم الحس. لاينهار يتقدم للأمام ببساطة ، كقطار يقف بمحطة ريفية صغيرة ، يقف لوهلة ، ثم يواصل مبتعدا عن النظر . تنزع كلاريسا الأزهار من ورقها ، تضعها بالحوض . خائبة الرجى ومرتاحة قليلا. هذه فى الحقيقة شقتها، مجموعة اوانيها الفخار، رفيقتها ، حياتها ، لا تريد احدا آخر . تحس كالعادة لا مبتهجة ولا مكتئبة ، حاضرة ببساطة مثل كلاريسا فوجان، امرأة محظوظة ، عالية المرتبة بشكل حرفى، تيم حفلا لفنان مريض على نحو مميت ومحتفى به ، تعود لحجرة المعيشة لفحص رسائل الهاتف الناطقة . سيمضى الحفل على نحو جيد او رديء . ستتناول مع سالى ، فى الحالتين ، العشاء فيما بعد . ثم ستذهبان للفراش .

يؤكد متعهد الحفلات فى شريط الهاتف (بلكنة لا يمكن ادراكها ، كأنه غير مؤهل ؟) على توصيله الطلبات بالثالثة . هناك ضيفة تطلب اذنا لضيف يخصها ، وآخر يعلن انه سيغادر البلدة ليرى صديق الطفولة الذى تطورت إصابته بالايدز على غير المتوقع، الى لوكيميا بالدم .

تنتهى الرسائل . تدفع كلاريسا زر الترجيع. لو نسيت سالى التذكير بغدائها مع اوليفر سانت ايفس فمن المحتمل لأن الدعوة موجهة الى سالى وحدها. اوليفر سانت ايفس، البطل الفضيحة ، لم يطلب كلاريسا على

الغداء، اوليفر سانت ايفس الذى خرج بمظهرية دار الغرور وسقط نتيجة ذلك دوره الاساس بالرواية المثيرة غير المبتذلة ، قد اكتسب شهرة اكثر بالعمل ناشطا لوطيا عما كان يأمل من مواصلة التكلف باشتهاء الجنس الآخر واستحواذ السينما التجارية المكلفة . سالى قابلت اوليفر سانت ايفس حين ظهر باللقاء الاستعراضى الجاد الرفيع الذي كانت تشارك باخراجه (ولم تكن تهتم به قطعا حين كان مجرد بطل «اكشن» لا يعتبر من المستوى الأول). اخذ يدعو سالى على الغداء ، رغم أنه تقابل وكلاريسا عدة مرات ، رغم أنه تقابل وكلاريسا عدة مرات، وهو ما تتذكره كلاريسا من حوار طويل حميم مدهش عن ممول . ألا يعنى ذلك انها المرأة المعنية بالكتاب؟ (رغم فشل الكتاب طبعا، ورغم ان اوليفر قليلا ما يقرأ) . اوليفر لم يخاطب سالى قائلا «احرصى علي احضار المرأة المثيرة التى تساكنينها . ربما ظن ان كلاريسا زوجة، مجرد زوجة . تعود كلاريسا للمطبخ . لا تغار من سالى، لا تحس بشيء رخيص كهذا، لكنها لا تحس ، بإهمال من اوليفر سانت ايفس ، بضآلة اهتمام العالم بها ، بفعالية لكن الحقيقة المربكة ان ذلك يهمها حتى الآن وهى تستعد لإقامة حفل لفنان عظيم قد لا يبقى عاماً على قيد الحياة . تفكر إننى عادية، عادية بلا نهاية . ولا أزال . الذهاب بدون دعوة يجعل المرء يحس بتظاهرة ضعيفة لقدرة العالم على التكيف دونها، اهمال اوليفر سانت ايفس (قد لا يكون واعيا بصدها لكنه ببساطة لا يفكر فيها يشبه الموت بصندوق دنيا لطفل ينظر فيه الى حدث تاريخى يشبه الحدث نفسه . شيء صغير لامع رث ، محسوس كله ومغرى . مع ذلك ، تقول لنفسها ، ليس فشلا . ليس فشلا أن تكونى فى هذه الحجرات، بجلدك تقطعين سويقات

الازهار، ليس فشلا لكنه يتطلب منك أكثر من بذل جهد كامل ، فقط تكونين حاضرة وممتنة ، سعيدة (كلمة مفزعة). لا ينظر الناس إليك فى الشارع، وإن فعلوا فليس بنزوات جنسية من أى نوع. لست مدعوة على مائدة غداء اوليفر سانت ايفس. خارج نافذة المطبخ الضيق تبحر المدينة وتقرقر . يتجادل العشاق، يطن الصرافون، يتسوق الشبان والشابات لملابس جديدة بينما تقف المرأة تحت قوس ميدان واشنطن تغنى وأنت تقصين نهاية وردة وتضعينها فى مزهرية مليئة بماء ساخن .

تحاولين القبض على اللحظة، هنا، بالمطبخ مع الأزهار . تحاولين ان تسكنيها ، تعشقيها ، فهى تخصك وما تنتظرينه على الفور خارج هذه الحجرات هو الصالة ، بقرميدها البنى ومصابيحها البنية ، معتمة الإضاءة دائما. حتى لو فتح الباب إلى الممشى فستكون المرأة بالداخل هى ميريل ستريب او فانيسا ريدجريف او حتى سوزان ساراندون ، ستكون ببساطة امرأة فى ممشى، وربما لن تستطيعى فعل ما تريدين أن تفعليه. لن تستقبليها هناك بالشارع ، تأخذيها بين ذراعيك، ومعها تبكين . سيكون رائعا البكاء هكذا ، بين ذراعى امرأة خالدة ومتعبة ، مرتعبة قد انبعثت من ممشى. ما تكونينه انت اكثر من أى شيء ، هو تلك الحية، مرتعبة قد انبعثت من ممشى. ما تكونينه انت اكثر من أى شيء، هو تلك الحية، الصحيحة هنا بمطبخك ، مثل ميريل ستريب او فانيسا ريدجريف ، احياء فى مكان، كمرور يدمدم من الطريق السادس وشفرتا مقص فضيتان تقطعان بطراوة عيدانا خضراء داكنة .

فى ذلك الصيف وهى بالثامنة عشرة، بدا أن شيئا سيحدث، أى شيء على الاطلاق بدت وهى تقبل قبرها، نزلت صديقتها الفضلى المرعبة قرب بركة، بدا انهما تنامان معا باتحاد غريب من اللذة والبراءة ودون أدنى قلق

من أى شيء مهما كان . تفكر ، كان المنزل حقا. المنزل بدون المنزل قد يظلون ببساطة ثلاثة غير متخرجين يدخنون افيونا ويتجادلون بمساكن الطلبة فى كولومبيا . كان المنزل هناك. سلسلة من الأحداث استهلتها العمة العجوز ومؤتمر العم المميت بعربة غلة فى ضواحى بلايموث، ويعرض والدا لويس عليه وعلى أصحابه استخدام المنزل الشاغر فجأة فترة الصيف كله ، حيث كان الخس طازجا بالثلاجة وهناك قطة ضارية تظل تفتش ، بنفاد صبر متنام عن فتات يوجد على الدوام خارج باب المطبخ . كان المنزل والطقس - بشك ممتع من ذلك كله - قد ساعد فى تحويل صداقة ريتشارد إلى نوع من الحب اشد افتراسا، وكانت هذه العناصر هى التى جلبت كلاريسا هنا، الى هذا المطبخ بمدينة نيويورك ، حيث تقف على ألواح اردواز ايطالى (خطأ، فقد كانت باردة ومعرضة للبقع). تقطع الازهار وتكافح بنجاح معقول لتكف عن الاهتمام بـ اوليفر سانت ايفس ، الناشط ونجم السينما المحطم ، الذى لم يطلبها على الغداء .

تصر على أنه ليس بالأمر خيانة ، كان ببساطة مجرد تمديد للممكن. فهى لم تطلب اخلاص ريتشارد - حاشا لله ! وهى لم تكن بأى طريقة تغتصب ملكية تخص لويس . لم يفكر لويس فى هذا ايضا (أو على الأقل لم يعترف بالتفكير فيه، لكن اكان هذا حقا مجرد فرصة لجرح نفسه بدرجة بالغة ذلك الصيف ، بآلات متنوعة وسكاكين مطبخ، وتطلب ذلك رحلتين منفصلتين للطبيب المحلى لعمل غرز طبية؟).

كان ذلك فى ١٩٦٥ ، وقد ولد الحب الذى انصرم ببساطة مزيدا من شبيهه . بدا محتملا على الأقل . لكن لماذا لا تمارس الجنس مع الجميع، طالما تحتاج اليهم ويحتاجون إليك، وهكذا واصل ريتشارد أمره مع لويس وبدأ معها أيضاً، وبدا ذلك صحيحا، ، صحيحا ببساطة. ليس لأن الجنس

والحب غير معقدين . فمحاولات كلاريسا مع لويس مثلا، فشلت كليا. لم يكن مهتما بها ولا هى رغم جماله المحتفى به .

كلاهما احب ريتشارد، كلاهما اراد ريتشارد ، وربما ذلك ما ربط بينهما ، لا يقصد الناس كلهم ان يصبحوا عشاقا، وليسوا كلهم سذجا لتجريب ذلك وتحميله ما وراء فشل واحد متحجر بالفراش الذى سيشارك فيه لويس باقى الصيف ، فقط مع ريتشارد ، بالليالى التي لا يكون فيها ريتشارد مع كلاريسا

كم مرة تساءلت منذئذ عما قد يحدث لو حاولت ان تظل معه، لو ردت قبلة ريتشارد عند زاوية بليكر وماكدوجال، لو ذهبت لمكان ما (أين) ؟ معه ، ما لو اشترت علبة بخور او معطف صوف الألبكا بأزرار على شكل ورد . ألم يكتشفا أى شيء .. اوسع وأغرب مما عندهما ؟ مستحيل آلا نتخيل ذلك المستقبل الآخر، ذلك المستقبل المنبوذ، وهو يتخذ موقعا فى إيطاليا او فرنسا، بين حجرات مشمسة كبيرة وحدائق، تمتلىء بخيانات ومعارك كبيرة، كرومانسية شاسعة محتملة تقع على صداقة ذابلة عميقة حتى لتصحبهما الى القبر وحتى فيما بعده. تعتقد إنها قد تدخل عالما آخر . قد يكون لها حياة فعالة وخطيرة كالأدب نفسه .

أو قد لا تكون هناك ثانية ، تقول كلاريسا لنفسها . ذلك ما كنته. ذلك ما أكونه – امرأة لطيفة بشقة ممتازة ، مع زواج عاطفى ومستقر، تقيم حفلا ، تقول لنفسها ، مغامرة بعيدة لأجل الحب، تتخلى عن المواطنة بالريف الذى صنعته لنفسك ، وينتهى الأمر بك فقط لتبحرى من ميناء الى ميناء .

لا يزال هناك هذا الحس بفرصة ضائعة . ربما لا يوجد هناك شيء يعادل تجميع ذاتك وأنت شابة معا . قد يكون ذلك بسيطا . ريتشارد هو الذى عشقته كلاريسا خلال اكثر لحظاتها المتفائلة ، ريتشارد الذى وقف

بجانبها على حافة البركة عند الغسق . يلبس جينزا مقطعا وصندلا مطاطيا . ريتشارد من اطلق عليها مسز دلاواى ، وقبلا بعضهما بعضا . فمه انفتح بفمها ، لسانه (مثير وشائع، لن تنساه ابدا) . الذى اتخذ طريقه بخجل داخلها حتى قابلته بلسانها ، قبلا بعضهما بعضا، وسارا حول البركة معا. فى ساعة اخرى تناولا العشاء ، وكميات معتبرة من النبيذ . هناك نسخة كلاريسا من الكراسة الذهبية على الحامل الليلى الأبيض الرقيق بحجرة النوم الكلاسيكية حيث لا تزال تنام وحدها ، حيث لم يكن ريتشارد قد بدأ يقضى ليالى متعاقبة معها .

يبدو هذا بداية السعادة ، وكلاريسا لاتزال مصدومة أحيانا منذ أكثر من ثلاثين عاما، لتدرك أنها كانت سعادة ، تجربة إجمالية تقع فى قبلة ونزهة ، حدس بعشاء وكتاب عشاء منسى حتى الآن ، لقد ظلل على ليسنج (١) كتاب آخرون منذ وقت طويل ، وحتى الجنس ، لو وصلت مع ريتشارد الى تلك النقطة، لتحمست وأحرجت، فهى غير مشبعة ، رقيقة أكثر منها عاطفية . حياة غير معتمة فى بال كلاريسا منذ أكثر من ثلاثة عقود عبارة عن قبلة عند الغسق فوق بقعة عشب ميت، ونزهة حول بركة بينما يئز البعوض فى الهواء المظلم. لا يزال هناك كمال مفرد ، وهو كمال جزئى يبدو واضحا حتى ذلك الحين أنه يعد بالمزيد . وتعرف الآن : تلك كانت اللحظة المناسبة . ولم تكن هناك أخرى .

---

(١) ليسنج: ربما يقصد الكاتب أفرايم ليسنج (١٧٢٩ - ١٧٨١) وهو مسرحى ألمانى، يعتبر أول مسرحى ذى شأن بتاريخ الأدب الألمانى.

مسز براون

الكعكة أقل ما كانت تأمل . تجرب ألا تهتم. تقول لنفسها. إنها مجرد كعكة . مجرد كعكة . قامت بتجميدها مع ريتشي ، واخترعت بحس من الذنب شيئا آخر ليفعله بينما كانت تكبس براعم وردها علي الحواف من انبوب عجين فتكتب «عيد ميلاد سعيد يا دان» على رأس الكعكة المتجلد الأبيض. لا تريد فوضى ابنها بالكتابة . لكن لا يبدو انها الطريقة التى تخيلتها عليها ، لا ، لا على الإطلاق. لا خطأ هناك حقا بها ، لكن تخيلتها افضل تخيلتها اكثر تميزا . وكانت تأمل (تعترف لنفسها) ان تبدو لذيذة اكثر واشد جمالا ، أكثر روعة تبدو الكعكة التى خبزتها صغيرة، لا من الناحية الفيزويقية فحسب بل من الناحية الوجودية ايضا . تبدو غير متقنة ، يدوية الصنع، تقول لنفسها : إنها رائعة . كعكة رائعة ، سيحبها الجميع . سيماؤها الأخرق (تلمح العين بعثرة لب الخبز برأس الكعكة المتجلد وتظهرت «ن» . مهروسة من دان بحيث صارت اشبه بوردة ، جزء من سحرها . تقوم بغسل الاطباق . تفكر فيما بقى من اليوم .

سترتب الاسرة ، تنفض السجاد . تلف الهدايا التى احضرتها لزوجها ربطة عنق وقميص جديد، كل منهما غالى الثمن وانيق أكثر مما يشتريه لنفسه، فرشاة خشنة شعر الخنزير ، حق جلدى حاد الرأس صغير فيه قصاصة اظافر ومبرد وملاقط صغيرة ، ليأخذه معه حين يسافر فى عمل، كما يفعل احيانا. ستسعده هذ الهدايا أو سيظهر سعادته ، سيصفر قائلا كل هذا الحمل ، حين يرى القميص الغالى وربطة العنق . سيقبلها بحماسة

مع كل هدية ، يخبرها إنها تفعل الكثير ، ولم يكن ضروريا أن تحضرها كلها ، فهو لا يستحق هذه الاشياء الرائعة ، تتساءل ، لماذا يبدو ضروريا حين تمنحه شيئا ، أى شيء على الاطلاق ، أن تتلقى اساسا الرد نفسه ، لماذا لا يرغب حقا فى أى شيء غير ما يحصل عليه فعليا، إنه مستغلق الفهم فى طموحاته ومتطلباته ، حبه للعمل والبيت ، وتذكر نفسها، هذه فضيلة جزء من فتنته (لم تستعمل تلك الكلمة أبدا بحضوره، لكنها تفكر فيه كرجل فاتن، فتراه باقصى لحظاته الخاصة ، ينشج فى حلم ، يجلس فى البانيو بجنسه منكمشا على شكل جذع مجذوع ، طافيا بريئا بدرجة تفطر القلب) . طيب ، تذكر نفسها، إنه فاتن ، وليس لشيء زائل ان يلمس زوجها، فسعادته تعتمد فقط على حقيقة انها هنا بالمنزل تعيش حياتها وتفكر فيه .

فشلت كعكتها ، لكنها امرأة ستكون محبوبة على أى حال . تفكر محبوبة اكثر أو اقل بالطريقة التى يتم بها تقدير الهدايا ، فهى تمنح بنيات طيبة، لأنها موجودة ، كجزء من عالم يريد فيه المرء ما يحصل عليه .

ماذا تفضل ، إذن ؟ هل تحتقر الهدايا على النقيض ويستهزأ بالكعكة ؟ بالطبع لا تريد ان تكون امرأة محبوبة . تريد أن تكون أما كفوا تقرأ لطفلها بهدوء ، تريد أن تكون زوجة تحضر مائدة كاملة. لا تريد، لا على الاطلاق ، أن تكون تلك المرأة الغريبة . المخلوقة العاطفية المليئة بالمراوغات والثورات والعزلة والعبوس ، متسامحة لكن غير محبوبة .

وضعت فرجينيا وولف حجرا فى جيب معطفها، سارت ناحية النهر وغرقت . لن تدع لورا نفسها ليأكلها المرض. سترتب الأسرة. تنفض ، تطبخ عشاء عيد الميلاد ، ولن تهتم بأى شيء .

يطرق احدهم الباب الخلفى . كانت لورا تغسل آخر الاطباق ، ترى الخطوط العامة الشاحبة لهيئة كيتى من الستائر البيضاء الغائمة. هنا الهالة الغامضة لشعر كيتى الاشقر البنى، لطخة القرنفلى المهروس على وجهها تبلع لورا غصة اثارة وشيئا اغرب من ا لإثارة ، شيئا يشبه الرعب . كانت توشك على استقبال زيارة من كيتى شعرها ممشط تقريبا، ولا تزال ترتدى روب حمامها . تنظر كثيرا، كامرأة تملؤها الحسرات ، تريد الاندفاع للباب وتريد الوقوف هنا، دون حراك عند الحوض ، حتى تنسحب كيتى وترحل مبتعدة . قد تؤدى هذا فعليا ، فتقف ساكنة ، تمسك انفاسها (هل تستطيع كيتى النظر بداخلها ، هل تعرف ؟) . لكن هناك مشكلة ريتشى ، الشاهد على كل شىء ، تجرى الآنَ إلى المطبخ ، تمسك قرصا حشبيا احمر ، تصرخ بمزيج من السرور والانزعاج ان شخصا عند الباب .

تجفف لورا يديها بمنشفة الاطباق المزينة بديوك حمراء ، ثم تفتح الباب ، إنها كيتى ، تقول لنفسها . صديقتها التى تقطن تحتها بدورين، وهذا بالطبع ما يفعله الناس .

يتزاورون عرضا ويستقبلون ، لا يهم شعرك أو روبك ، لا تهم كعكة.

تقول «هاى ، كيتى» .

تسأل كيتى هل قاطعتك فى شىء ؟

– قطعا لا . تعالى ادخلى .

تدخل كيتى، معها عبير نظافة وفلسفة داجنة ، مفردات كاملة لحركات تواقه عصبية

امرأة جذابة نشيطة ، لحيمة برأس كبير ، اصغر عدة سنوات من لورا

(يبدو للجميع فورا انها اصغر علي الاقل بدرجة طفيفة منها) . ملامح كيتى، عيناها صغيرتان وانفها رقيق ، مزدحمة بمركز وجهها المستدير . كانت طيلة المدرسة إحدى البنات الرسميات ، العدوانيات، غير الجميلات المسرفات بأموالهن وثقتهن الرياضية فيقفن ببساطة حيث يقفن ويصرون على ضرورة اعادة تجسيد الفكرة المحلية عن الجاذبية ليدخلن ضمن اطارها

كيتى وصديقاتها . متصلبات متبلدات الحس بملامح حادة ، ارواح كبيرة قادرة على الاخلاص العميق لكن باعمال وحشية فظيعة – كن ملكات الاحتفالات المتنوعة ، رائدات بهجة، نجمات مسرحيات .

تقول كيتى: احتاج خدمة .

وترد لورا : تحت امرك . الا تجلسين دقيقة ؟

مم – هم تجلس كيتى الى مائدة المطبخ تقول أهلا ودودة، طاردة طفيفا للولد الصغير المراقب متشككا فى غضب (لماذا جاءت؟) من مكانه بأمان نسبى قرب الفرن . لا اطفال لدى كيتى حتى الآن (سيبدأ الناس التعجب) ، ولا تحاول إغراء اطفال الآخرين . قد يأتون اليها، لو احبوا لكنها لا تذهب اليهم .

تقول لورا : ساعمل قهوة تريدين فنجانا ؟

– طبعا

تصب فنجانا لـ كيتى وآخر لنفسها . تحدق بعصبية فى الكعكة تتمنى لو تخفيها هنا لب الخبز برأس الكعك المتجلد الـ ن فى دان مهروسة مثل وردة تقول كيتى وهى تتبع عينى لورا اوه ، عملت كعكة .

لعيد ميلاد دان .

تنهض كيتى تأتي لتقف جنب لورا . ترتدى كيتى بلوزة بيضاء بكمين قصيرين ، شورتا اخضر مربعات، وصندلا من القش يحدث صوتا هشا ضئيلا وهى تسير تقول: آو، انظروا

تقول لورا: إحدى محاولاتى البكر. أصعب مما تظنين ، الكتابة على سطح متجلد

تأمل أن تكون امرأة مهملة لطيفة لا مبالية بشكل ساحر . لماذا وضعت الورد اولا ، بينما يعرف أى احمق كيف يبدأ الرسالة ؟ تجد سيجارة . إنها ممن يدخنون ويشربون القهوة صبحا، من تربى عائلة ولديها صديقة مثل كيتى، لا تهتم إن كان كعكها اقل من كامل . تشعل سيجارتها

تقول كيتى «بارعة» وتحطم هشاشة السيجارة فى بدايتها . تخبرها كيتى : الكعكة بارعة ، كمن يمتدح رسمة صبى قد تكون رائعة . لذيذة وتلمس القلب ، كتعارض مخلص معذب بين الطموح والإمكان . فتفهم لورا : هناك خياران فقط . أن تكون قادرا او غير مهتم . تخبز كعكة بارعة بيدك او تشعل سيجارة ، فتعلن نفسك عاجزا عن مثل هذه المشروعات ، تصب لنفسك كوبا آخر من القهوة ، وتأمر بكعكة من المخبز .

لورا حرفية جربت وفشلت فى العلن . عملت شيئا بارعا، حيث كانت تأمل (الأمر محرج ، لكنه صحيح) أن تعمل شيئا جميلاً .

تقول «متى عيد ميلاد راى ؟ ، فقد كان عليها أن تقول شيئا

ترد كيتى «سبتمبر». تعود لمائدة المطبخ. ماذا يقال أيضاً عن الكعكة؟

تتبعها ورا بفنجانى القهوة. كيتى تحتاج لأصدقاء (سحر زوجها الجاد المدوخ طفيفاً، لا يعوق كثيراً فى العالم الواسع، وهناك موضوع عدم إنجابهما المتواصل)، ولهذا تقوم لورا بزيارتها، تطلب منها بعض الخدمات. لاتزال كلتاهما تعرفان كيف كانت تزجرها كيتى بقسوة فى المدرسة الثانوية، وهما بالعمر نفسه. فى حياة أخرى لا تشبه هذه كثيراً، ربما كانتا عدوتين، لكن فى هذه الحياة بمفاجآتها وحماقات أزمانها، أصبحت لورا زوجة بطل حرب مشهور، بعد أن تخرجت من فصل كيتى وانضمت إلى الأرستقراطية بطريقة أميرة ألمانية عادية لم تعد شابة، وجدت نفسها جالسة على عرش جنب ملك إنجليزى.

ما يدهشها - يرعبها أحياناً - هو كم استمتاعها بصداقة كيتى. فكيتى كريمة، بينما زوج لورا وسيم. كيتى الكرم ذاته، بسكوتها الذهبى، الحس بلحظة ممتدة تجلبها معها إلى حجرة، كأنك مع نجم سينما. لها خصوصية نجم سينما، بجمال أخرق مفرط الحساسية لنجم سينما؛ ومثل نجم سينما تبدو شائعة كلاً وبارزة، بطريقة أوليفيا دى هافيلاند أو باربرة ستينويتش. شعبية بعمق، عويصة الفهم تقريباً.

تسأل لورا وهى تضع فنجاناً أمام كيتى «كيف حال راى؟ لم أره منذ فترة».

كان زوج كيتى هو فرصة لورا لتصحيح الميزان بينهما؛ لجلب التعاطف مع كيتى. لم يكن راى عائقاً بالضبط - ليس فشلاً كاملاً - لكنه نسخة كيتى النسبية من كعكة لورا، وثيقة مهمة. كان رفيق كيتى بالمدرسة الثانوية. كان يلعب مركز الوسط فى فريق السلة، واستمر يؤدى جيداً لكن ليس مذهلاً بفريق اليو اس سى. قضى سبعة أشهر سجين حرب فى الفلبين. وهو الآن

نوع من موظف غامض بقسم الماء والطاقة، فى الثلاثين فعلياً، يبدأ التظاهر بهيئة الأولاد الأبطال على درجة متناهية الصغر دون أسباب مرئية، متحولاً كالمهزومين بمنتصف أعمارهم. راى من نوعية المتبجح الموثوق به، قليل التبصر؛ ممتلىء بميوعة. يعرق بغزارة. وتتشكل فقاعات صغيرة من لعاب صاف على جانبى فمه حين يتحدث مطولاً. تتخيل لورا (والعكس مستحيل) أنه سيشج أنهاراً حين يمارسان الحب، بالقياس مع فرضية بقبقة زوجها المتواضعة. إذن، لماذا لم ينجبا أطفالاً حتى الآن؟

تقول كيتى «راى، رائع. هو نفسه».

تقول لورا بعطف، بتعاطف «دان هو نفسه، أيضاً. الرجال غرباء، أليس كذلك»؟

تفكر فى الهدايا التى اشترتها لزوجها؛ الهدايا التى سيقدرها وربما يعزها، لكنه لا يريدها على أى حال. لماذا تزوجته؟ لقد تزوجته بعيداً عن الحب. تزوجته بعيداً عن الإحساس بالذنب؛ بعيداً عن الخوف من أن تكون وحيدة؛ بعيداً عن الوطنية. كان ببساطة طيباً جداً، عطوفاً جداً، جاداً جداً، برائحة لذيذة حرام ألا يتزوج. كان يقاسى بشدة. يريدها.

تلمس بطنها.

تقول كيتى «يمكنك قول هذا ثانية».

«ألم تتساءلى ذات يوم عما يجعلهم ينقضون العهد؟ أقصد، إن دان مثل جرافة. لا يبدو أن شيئاً قد يضايقه».

تستهجن كيتى الصورة درامياً، تدير عينيها. قد تكونان فى هذه اللحظة، هى ولورا، مجرد فتاتين بمدرسة ثانوية، رفيقتين مقربتين، تشتكيان أولاداً يستبدلون بأولاد آخرين. وتحب لورا أن تسأل كيتى سؤالاً، سؤالاً لا تستطيع التعبير عنه بالضبط. سؤال يجب أن يتماشى مع ذريعة، وأكثر

غموضاً، فى براعة. تحب أن تعرف إن كانت كيتى تحس بنفسها امرأة غريبة، قوية وغير متزنة بطريقة الفنانات كما يقال، مليئة بالتطلع، مفعمة بالغضب، متورطة فوق كل شىء فى إبداع.. ماذا؟ هذا. هذا المطبخ، كعكة عيد الميلاد؛ هذا الحوار. وسينعش هذا العالم.

تقول لورا «علينا أن نتحد معاً وفوراً. فى الحقيقة، لقد مرت دهور».

تقول كيتى وهى ترشف «قهوة من نوعية جيدة. ماذا تستخدمين»؟

«لا أعرف. لا، طبعاً لا أعرف. فولجرز. وماذا تستخدمين»؟

«ماكسويل هاوس. ممتازة، أيضاً».

«مم – هم».

«أفكر فى التغيير. لا أعرف لماذا، حقا».

«حسناً. هذه فولجرز».

«آه. ممتازة».

تنظر كيتى فى فنجان قهوتها باستغراق أحمق، زائف بإتقان. تبدو باختصار، امرأة عادية بسيطة، تجلس إلى مائدة مطبخ. يتبخر سحرها؛ يمكنها التنبؤ بهيئتها فى الخمسين – بدينة مسترجلة، متينة مرنة، ساخرة وتهكمية من زواجها، واحدة من النسوة اللاتى يقال عنهن: اعتادت أن تكون جميلة، كما تعرف. وقد بدأ العالم بمكر فعلى يخلفها من ورائه. تطفىء لورا سيجارتها، تفكر فى إشعال أخرى ثم تقرر العكس. تعمل قهوة طيبة بلا مبالاة؛ تعتنى جيداً بزوجها وطفلها؛ تعيش بهذا المنزل حيث لا أحد يريد، لا أحد يمكر، لا أحد يعانى. حامل بطفلها الثانى. ماذا يعنى أنها لم تعد فاتنة ولا بذى أهلية معهودة؟

تخاطب كيتى «هكذا». مندهشة من القوة البادية بصوتها؛ ملمح صلابة.

ترد كيتى «حسناً».

«ماذا يعنى؟ هل كل شىء على مايرام»؟

تجلس كيتى ساكنة لحظة، لا تنظر إلى لورا ولا بعيداً عنها. تجمع نفسها. تجلس بطريقة من يجلس بين غرباء فى قطار.

تقول «أنا ذاهبة للمستشفى عدة أيام».

«ما الحكاية»؟

«لا يعرفون بالضبط. عندى نوع من الورم».

«ياإلهى».

«فى، كما تعرفين. بداخلى».

«عفوك»؟

«رحمى. سيدخلون لإلقاء نظرة».

«متى»؟

«هذه الظهيرة. قال د. ريتش عاجلاً أفضل من آجلاً. أريدك أن تطعمى الكلب».

«طبعاً. ماذا قال الدكتور، بالضبط»؟

«هناك شىء هناك، يحتاجون لاستكشاف كنهه. محتمل - مهما كانت المشكلة. أنا على وشك أن أكون حاملاً».

تقول لورا «آه. عندئذ يستأصلونه».

«يقول إنهم سيرون. يقول ليس هناك ما يقلق أبداً، لا على الإطلاق، فقط سيرون».

لورا تراقب كيتى، التى لا تتحرك ولا تتحدث، لا تبكى.

تقول لورا «ستكونين على مايرام».

«آه. محتمل. لست قلقة. لماذا القلق»؟

لورا مفعمة بالأسى والرقة. هاهنا كيتى القوية، كيتى ملكة الربيع،

مريضة ومرتعبة. هاهى ساعة يد كيتى الذهبية البديعة؛ هنا الانحلال السريع لحياتها. كانت لورا تتصور دائماً مثل أغلب الآخرين، أن راى هو المشكلة – راى بوظيفته الغامضة فى مكتب البلدية؛ فقاعات لعابه؛ عارضاه المحنيان؛ الويسكى الخاص به. وتبدو كيتى حتى اللحظة، بهيئة جلال تراجيدى براق – امرأة تقف بجوار رجلها. لهذا لا يظل كثير من الرجال على ماهم عليه (لا أحد يحب الكلام عن هذا)؛ بينما تعيش نساء كثيرات دون شكوى من مراوغات أو فترات صمت، نوبات اكتئاب، شراب. لذلك تبدو كيتى ببساطة، بطلة.

ويبدو أن المشكلة عموماً مستقرة مع كيتى، رغم كل شىء. فتعرف لورا، أو تعتقد أنها تعرف، أن هناك شيئاً تقلق منه. ترى كيتى وراى، بمنزلها الصغير الأنيق وقد غزاه الشؤم؛ كلاهما نصف مفترس به. لذلك لم تعد كيتى تلك الخمسينية العفية، المتينة المرنة.

تقول لورا «تعالى هنا» كمن تنادى على طفلها، ورغم أن كيتى طفلة لورا إلا أنها لم تكن تنتظر كيتى لتطيعها بل تذهب هى إليها. أحاطت كتفى كيتى بيديها، وبعد لحظة محرجة مالت لدرجة الركوع عملياً. تعى كونها ضخمة طويلة، جنب كيتى. فتحضنها.

تتردد كيتى، ثم تترك نفسها للحضن. تستسلم. لا تبكى. تحس لورا بالهجران؛ وتحس بيأس كيتى من نفسها. تظن أنها الطريقة التى يحس بها رجل، حين يحضن امرأة. تلف كيتى ذراعيها حول خصر لورا. لورا منغمرة بهذا الشعور. هنا، بين ذراعيها، هل خوف كيتى وجرأتها كان هو مرض كيتى. هاهنا ثدياها. هنا قلب عنيد، عملى يحمل ما تحته؛ هنا أنوار كينونتها المائعة – أنوار قرنفلية عميقة، أنوار حمراء ذهبية، تتوهج مذبذبة؛ أنوار تتجمع منتشرة؛ هنا أعماق كيتى، قلب وراء القلب؛ جوهر غير ملموس

يحلم برجل (راى، من بين الناس كلهم)!، يشتاق نحوه، يفتش عنه فى يأس ليلاً . هنا فى نور النهار، بين ذراعى لورا. دون معنى محدد، دون إقرار ، تقبل كيتى مطولاً، برأس جبهتها. يفعمها عطر كيتى وجوهر شعر كيتى النظيف الهش، الأشقر البنى.

تهمس كيتى «أنا بخير. حقاً».

ترد لورا «أعرف».

«لو حدث شىء، فسأقلق على راى. لن ينجح فعلياً، ناهيك عن شىء كهذا».

تقول لورا «انسى راى دقيقة. انسيه».

تومىء كيتى مقابل صدر لورا. يبدو السؤال صامتاً وإجابته صامتة، أيضاً. كلتاهما حزينة وموهوبة، مليئة بأسرار مشتركة، تموت جوعاً كل لحظة. كلتاهما تسجن شخصاً. كلتاهما منهكة ومطوقة؛ كلتاهما مأخوذة بهذا العمل المرهق.

ترفع كيتى وجهها، فتتلامس الشفاه. تعرف كلتاهما مغزى ما تفعلانه. تريحان فميهما كل على الآخر. تتلامس الشفاه معاً، لكن لا تقبلان بالضبط.

كانت كيتى التى شدت نفسها لبعيد.

تقول «أنت لذيذة».

لورا تفلت كيتى. تخطو للوراء. تبتعد ، كلتاهما تبتعد، لكن كيتى تبتعد أولاً. تدفعها مخاوفها باختصار، تعلل تصرفها بغرابة ويأس. لورا مفترسة، ضارية العينين. لورا غريبة أجنبية، لا يوثق بها. وتتفق لورا وكيتى بصمت، على صحة هذا.

تحدق لورا فى ريتشى. لا يزال يحضن سيارة شحنه الحمراء. يراقب.

لورا تخاطب كيتى «لا تقلقى، رجاء. ستكونين بخير».

تقف كيتى مجيدة، دون تعجل. «تعرفين الروتين، هه؟ امنحيه نصف علبة بالمساء، وافحصى ماءه بين حين وآخر. راى سيطعمه بالصباح».

«سيوصلك راى إلى المستشفى»؟

«مم – هم».

«لا تقلقى. سأعتنى بالأشياء هنا».

«شكراً لك».

تحيط كيتى الحجرة بنظرة مقتضبة تعبيراً عن موافقة متعبة، كمن قررت، على النقيض من حكمها الأفضل، أن تشترى هذا المنزل رغم كل شىء، وسترى ما يمكن فعله لإصلاحه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

تقول «وداعاً».

«سأتصل بك غداً، فى المستشفى».

«طيب».

بابتسامة مترددة، وتعبير موجز على شفتيها، تدور كيتى لتمضى.

تواجه لورا ابنها الصغير، وكان يحدق فيها بعصبية، متشككاً، متعباً. متعبة فوق كل شىء؛ تريد أكثر من أى شىء العودة لفراشها وكتابها. لعالمها، لهذا العالم، تحس فجأة أنها دائخة ومعوقة، بعيدة عن كل شىء. تهبط الحرارة باطراد فى الشوارع والمنازل؛ هناك صف وحيد من المحلات المشار إليها محلياً بوسط البلد. هناك سوبر ماركت وصيدلية ومحل تنظيف جاف؛ هناك صالون تجميل ومكتبة قرطاسية ومحل بيع سلع رخيصة؛ هناك مكتبة جصية بطابق واحد، جرائدها على قوائم خشبية وبأرففها كتب هاجعة.

حياة، لندن، هذه اللحظة من يونيو.

تقود لورا ابنها إلى حجرة المعيشة، تعيد تركيب برجه بالكتل الخشبية الملونة. لو استقر فسترجع لمطبخها، ودون تردد تلقط الكعكة، تجرفها من طبقها الزجاجى الحليبى الكبير إلى صفيحة القمامة . تهبط بصوت صلب مدهش؛ تلطخ وردة صفراء جانب الصفيحة المستدير. تحس بالراحة على الفور، كم فكت عن صدرها حبالاً متينة. تستطيع البداية من جديد مرة أخرى. الساعة بالحائط ، تقترب من العاشرة والنصف. لديها وقت كاف لتخبز كعكة أخرى. هذه المرة، ستمنع لب الخبز من الظهور برأس الكعكة المتجلد. وستتبع الأحرف هذه المرة بأعواد الخلة، كى تنتصف، وستترك الورد للآخر.

مسز وولف

كانت تقرأ البروفات مع ليونارد ورالف وقت أن أعلنت لوتى وصول مسز بيل مع الأطفال.

تقول فرجينيا «لا يمكن. لم تبلغ الساعة الثانية والنصف. موعدهم الرابعة».

تقول لوتى بنبرتها البكماء طفيفاً «بل هنا، يامدام. مسز بيل بالردهة».

ترفع ميرجورى بصرها من طرد الكتب الذى تلفه بخيوط القنب (كانت عكس رالف، تلف الطرود بإذعان وتفرز الرموز، بمباركة وخيبة أمل). تقول «أهى الثانية والنصف فعلاً؟ كنت آمل إرسالها الآن». لم تجفل فرجينيا، بصورة غير مرئية، على نبرة صوت ميرجورى.

يقول ليونارد صارماً إلى فرجينيا «لا أستطيع التوقف عن العمل. سأظهر حضورى مقتضباً بالرابعة، بعد أن تختار فينيسا البقاء إلى ذلك الحين، لأراها».

تقول فرجينيا «لا تقلق، فسأرى أنا فينيسا»، وكانت تقف واعية بردائها المنزلى غير المهندم، وشعرها فى اضطراب ضئيل. تفكر، إنها أختى، بعد كل هذا الزمن، بعد كل ما حدث، تود لو تلهم فينيسا بإعجاب محدد مدهش. تود من أختها أن تظن «إن المعزى حقاً تبدو أفضل حالاً، أليس هكذا»؟

لا تبدو فرجينيا أفضل تحديداً، وليس بمقدورها الكثير لتفعله هناك، لكن

كانت ستثبت شعرها وتغير ملبسها على الأقل عند الرابعة. تتبع لوتى إلى الدور العلوى، لكن حين مرت بالمرآة البيضاوية المعلقة فى البهو غوت بالتطلع إلى صورتها. لكن لم تستطع. ربعت كتفيها، ثم دخلت الردهة. ستكون فينيسا مرآتها، كما كانت دائماً. فينيسا حظها السعيد، شريط ساحلها الأخضر حيث يطن النحل بين عناقيد العنب.

تقبل فينيسا باحتشام، على الفم.

تقول فرجينيا «عزيزتى» ممسكة بكتفى أختها بين يديها. «لو أستطيع لحكيت لك فتنتى برؤياك الآن، إننى متأكدة من تخيلك استمتاعى برؤيتك فى الساعة التى كنت أتوقعك فيها فعلياً».

تضحك فينيسا. فينيسا صارمة الوجه، جلدها قرنفلى محروق لامع. تبدو أصغر من فرجينيا رغم أنها أكبر بثلاثة أعوام، وكلاهما يعرف ذلك. لو كان لفرجينيا ذلك الجمال العارى الخشن بلوحات جيوتو(١) الجصية، لكانت فينيسا أكثر شبهاً بتمثال من مرمر وردى نحته فنان ماهر لكن غير حصيف أواخر عصر الباروك(٢). فهى دنيوية بوضوح، جسم مزخرف كله كتل ومنحنيات، ويستدعى وجهها وجسمها محاولة حنونة طفيفة لتصوير حالة وفرة بشرية مسرفة تنحرف فوق الأثير.

تقول فينيسا «سامحينى. انتهينا من لندن أبكر مما تخيلنا، وكان خيارنا الآخر الوحيد أن ندور حول ريشمون حتى الرابعة».

تسأل فرجينيا «وماذا فعلت مع الأطفال»؟

---

(١) جيوتو: (١٢٦٦ - ١٣٣٧)، رسام ونحات إيطالى من مبدعى الفن الحديث. (م).

(٢) الباروك: أسلوب فنى تعبيرى ساد القرن السابع عشر، يتميز بمبالغة الزخرفة وغرابة الصنعة. (م).

«يدورون بالحديقة. فقد وجد كوينتين طائراً ميتاً على الطريق، ويبدو أنهم يريدون دفنه بالحديقة».

«متأكدين أن خالتهم العجوز فرجينيا لا تمانع. هل نخرج إليهم»؟

حين غادرتا المنزل، تناولت فينيسا يد فرجينيا بالطريقة التى تشبه كثيراً تناولها يد أحد أطفالها. كان الأمر مثيراً للتوتر قدر ما كان مرضياً حيث تحس فينيسا بملكيتها؛ متأكدة من وصولها قبل دعوتها بساعة ونصف. هاهى إذن؛ يدها. آه لو كان لدى فرجينيا وقت لتفعل شيئا قليلاً بشعرها.

تقول «صرفت نيللى إلى لندن لإحضار الزنجبيل المحلى لشاينا. قد تصل فى غضون الساعة، مع جرعة صغيرة لطيفة من دم قلب نيللى».

تقول فينيسا «على نيلى أن تتحمل». نعم، تفكر فرجينيا، ذلك حق، تلك نبرة المحبة الحزينة العابسة – هكذا يتكلم المرء مع الخدم، ومع الأخوات. هناك فن فى ذلك، فن فى كل شىء، ويندرج أكثر ما على فينيسا أن تعلمه بهذه اللمحات العفوية كما يبدو. أن يصل المرء مبكراً أو متأخراً، مدعياً فى مرح أن الأمر خارج عن نطاقه. يعرض أن يمد يد العون بتوكيد أمومى. يقول، على نيللى أن تتحمل، وهكذا يصفح عن الخدم والمربيات.

فى الحديقة ، يركع أطفال فينيسا بدائرة على العشب قرب شجيرات ورد. كلهم مندهش: ثلاثة كائنات، كاملة اللباس، لا تنشد شيئاً. فى لحظة تلتصق هناك أختان شابتان إحداهما بالأخرى، ثدياً على ثدى، الشفتان جاهزتان، ثم تبدوان فى اللحظة التالية امرأتين متزوجتين بمنتصف العمر تقفان معاً على قطعة خضرة متواضعة أمام قوام من الأطفال (أطفال فينيسا طبعاً، أطفال فينيسا كلهم؛ لا أحد يخص فرجينيا، ولن يكون). هاهنا جوليان الوسيم الوقور؛ هنا كوينتين الوقح يمسك بالطائر (دج مغرد) بيديه الخمراويتين؛ هنا انجيليكا الصغيرة تجثم طفيفاً بعيداً عن إخوتها

مرتعبة مفتونة بحفنة الريش الرمادى. منذ سنين وجوليان صغير، حين كانت فينيسا وفرجينيا تفكران بأسماء الأطفال وشخصيات الروايات، اقترحت فرجينيا على فينيسا أن تسمى ابنتها القادمة كلاريسا.

تنادى فرجينيا «أهلاً بالخونة».

تعلن انجيليكا «عثرنا على طائر. مريض».

ترد فرجينيا «آه، فاهمة».

يقول كوينتين برزانة مدرسية «بل حى. بمقدورنا أن ننقذه».

تضغط فينيسا يد فرجينيا. تفكر فرجينيا، آه قبل الشاى، يطل الموت. ماذا يقول المرء بالضبط للأطفال، أو لأى أحد؟

تقول فينيسا «فلنرحه. لقد حان حين الطائر ليموت، ولن يحول ذلك شيئاً».

هكذا تقطع الحائكة الخيط. هذا كثير ياأطفال ، ليس أقل بل دون المزيد. إن فينيسا لا تؤذى أطفالها لكن لا تكذب عليهم، حتى طلباً للرحمة.

يقول كوينتين «علينا صنع صندوق له، ونحضره داخل المنزل».

ترد فينيسا «لا أعتقد . فهو كائن برى ، يموت خارج الديار» .

تقول أنجيليكا مبتهجة «سنقيم جنازة . وأرنم» .

يخبرها كوينتين بحدة «لايزال حياً» .

تفكر فرجينيا ، ليباركك الله يا كوينتين . هل ستكون من يمسك يدى شاهداً أنفاسى الأخيرة فعلياً بينما يتدرب الآخرون سراً على ما سيلقون من كلمات بطقس الجنازة ؟ يقول جوليان «سنقيم له فراشاً من العشب . أنجى ، هل تقطفين لنا قليلاً منه ؟» .

ترد أنجيليكا «حاضر ، يا جوليان» . تذعن مطيعة لنزع حفنة من العشب .

جوليان ؛ آه جوليان . وهل هناك دليل مقنع على ظلم الطبيعة أكثر من جوليان ، أكبر أبناء فينيسا ، بالخامسة عشرة ؟ جوليان مخادع جلد ضخم ؛ بعضلات مجيدة ، جمال جواد فطرى يقترح الجمال كشرط إنسانى فى الأساس لا كتغير أحيائى بالبنية العامة . كوينتين (باركه الله) ، بكل ذكائه وسخريته ، يمكنه حتى وهو بالثالثة عشرة أن يصبح عقيداً أحمر الوجه عنيداً بسلاح الفرسان الملكى ، وتبرهن أنجيليكا بوضوح قوامها الكامل أنها مخلوق عصبى ، حتى وهى بالخامسة ، جمال حليبى لن يدوم بالتأكيد بعد شبابها . جوليان البكرى ، بطل واضح وعفوى لقصة هذه العائلة ، مستودع آمالها العظام – من يلوم فينيسا إذن على محابتها إياه ؟

فينيسا تخاطب أنجيليكا «أنقطف بعض الورد ، أيضاً ؟» .

ترد أنجيليكا وهى منشغلة بالعشب «نعم ، الأزهار الصفراء» .

قبل الذهاب مع أنجيليكا لحديقة الورد ، تقف فرجينيا لحظة أخرى ، قابضة على يد فينيسا ، تراقب أطفال فينيسا كأنها أمام بركة مياه قد تغطس أو لا تغطس فيها . تفكر فرجينيا ، هذا إنجاز حقيقى ؛ سيدوم بعد تجارب الخطابات المزينة المحزمة مع صور قديمة وفساتين خيالية ، وأطباق صينى رسمت عليها الجدة العجوز مناظرها الطبيعية المبتكرة ، الحزينة .

تحرر يدها ماضية إلى الحديقة ، تركع جنب أنجيليكا لتعينها على تهيئة فراش يموت فيه طير الدج المغرد . يقف كوينتين وجوليان قريباً ، لكن يتضح على أنجيليكا أنها العضو الأكثر حماساً لحفل الجنازة ، الوحيدة التى يحترم ذوقها بالزينة واللياقة . أنجيليكا ، بصورة ما ، هى الأرملة هنا .

تقول فرجينيا «الآن» وهى ترتب مع أنجيليكا العشب بهيئة تل صغير منتفخ . «ينبغى أن تكون مرتاحة» .

تسأل أنجيليكا «أهى أنثى ؟» .

«نعم . الإناث أكبر وأسمر قليلاً» .

«هل كانت تبيض ؟» .

تتردد فرجينيا . تقول «لا أعرف . لكن فلنقل ، حقاً ، أليس كذلك ؟» .

«حين تموت ، سأفتش عن بيضها» .

«على هواك . قد يكون عشها هناك بإفريز فى أحد الأماكن» .

تقول أنجيليكا «أعثر عليه ، وأفقسه» .

يضحك كوينتين . يقول «تجلسين عليه بنفسك ؟» .

«لا ، ياغبى . سأجعله يفقس» .

يقول كوينتين «آه» ، ودون أن تراهما تعرف فرجينيا أنه كان يضحك مع جوليان بهدوء على أنجيليكا ، وقد يتوسع الضحك فيشملها أيضاً . فى هذه السن المتأخرة ، يمسك الذكور الموت بأيديهم القادرة ويضحكون على عاطفة الإناث ، حين يرتبن فرشاً جنائزية ويتحدثن عن محاولات لإحياء ذرات حياة ناشئة مهجورة بمنظر الطبيعة ، بالسحر أو قوة العزيمة المطلقة .

تقول فرجينيا «فلنستعد للدفن ، إذن» .

تقول أنجيليكا «لا . هناك بعد ، الورد» .

ترد فرجينيا «طيب» . تحتج تقريباً كى توسد الطائر أولاً ، ثم ترتب الورد حول جثته .

هذا ما يجب أن يتم . تفكر ، هل ينبغى نقاش فتاة بعمر الخامسة عن هذه الأشياء . ربما ينبغى ، فقط لو لم يكن الأولاد وفينيسا يراقبون .

تأخذ أنجيليكا وردة صفراء قطفوها وتوسدها بعناية على رأس تل العشب . تضيف أخرى وأخرى فتمهد دائرة خشنة من براعم الورد بأشواكه النابتة ، ثم تمضى .

تقول «هذا حسن» ، ويا للدهشة كان كذلك . تنظر فرجينيا بلذة غير

معجلة إلى هذه الدائرة المتواضعة من الأشواك والأزهار ؛ إلى هذا الفراش البرى للموت . تود لو ترقد عليه بنفسها .

تخاطب أنجيليكا بنعومة «أنزرعها ، إذن ؟» .

تنحنى فرجينيا نحو أنجيليكا كمن يتشاركان بسر . بينهما قوة تتدفق ؛ مشاركة بجريمة لا أمومية أو حسية بل بعناصر من كل . يوجد سوء تفاهم هنا . نوع من سوء التفاهم كبير على اللغة . قد تحس به فرجينيا ، كما تحس بالطقس على جلدها ، لكن حين تنظر عميقاً إلى وجه أنجيليكا تتصور عينيها البراقتين غير مركزتين فقد ملت اللعبة . قامت بترتيباتها من العشب والوردة ؛ وتريد الآن قبر الطائر بسرعة قدر الإمكان فتذهب لتصيد عشه .

تقول أنجيليكا «نعم» . يمكنها التظاهر وهى فى الخامسة بحماسة الدفن كمهمة فى المتناول ، فكل ماتريده حقاً أن يعجب بعملها الجميع وبعدها يخلونها حرة . يركع كوينتين بالطائر ، ثم يوسده برقة ، برقة لا حدود لها ، على العشب . آه ، لو كان الرجال وحشيين والنساء ملائكة – لو انتهى الأمر بسيطاً هكذا . تفكر فرجينيا فى ليونارد العابس فوق بروفاته ، مصمماً على تنظيفها لا من الأخطاء الموضوعة فحسب بل من أى لطخة متضمنة . راح تفكيرها إلى جوليان بالصيف الماضى ، وكان يجدف عبر نهر إوز ، كماه مرفوعان حتى كوعيه ، وكيف كان يبدو ذلك اليوم وتلك اللحظة ، أصبح رجلا فلم يعد طفلاً .

حين يبعد كوينتين يديه ، ترى فرجينيا الطائر متوسداً العشب متضاماً ، جناحاه منطويان على بدنه . تعرف أنه مات للتو ، بين راحتى كوينتين . كان يريد أن يجعل الرزمة الصغيرة تكتفى بذاتها . عينه مفتوحة كخرزة سوداء كاملة ، وقدماه الرماديتان أكبر مما تتوقع أن تراهما ، ملتفتان على نفسيهما .

تظهر فينيسا خلف فرجينيا . تقول فينيسا «فلنتركها هنا الآن ، جميعاً . فعلنا ما بوسعنا» .

يتفرق أنجيليكا وكوينتين بعزم . تبدأ أنجيليكا دورة غير مباشرة حول المنزل ، تحدق عالياً بالأفاريز . يمسح كوينتين يديه على قميصه الصوفى ويذهب للداخل يغتسل .

(أيظن الطائر قد خلف فضلة موت على يديه ؟ أيظن بمقدور صابون إنجليزى جيد ومنشفة لخالته فرجينيا غسلها عن يديه ؟) يبقى جوليان مع فينيسا وفرجينيا، لايزال من جماهير الجثمان الصغير .

يقول «أنجى عصبية جداً من مسألة العش لدرجة أنها نسيت ترنيم الترتيلة» .

تقول فينيسا «أتنكرون علينا الشاى ، لمجيئنا مبكرين ؟» .

ترد فرجينيا «لا ، جهزت الشاى دون مساعدة نيللى» .

تقول فينيسا «طيب ، إذن» ، ثم تدور مع جوليان عائدين للمنزل ، فتنزلق يد جوليان نحو عقفة كوع أمه . قبل أن تتبعهما ، تتمهل فرجينيا لحظة أخرى جنب الطائر المتوفى بدائرة من الورد . كأنه قبعة . الرابطة المفقودة بين القبعات النسائية والموت .

تود لو ترقد مكانه . لا تنكر أنها تود . تواصل فينيسا مع جوليان عن شايهما وأسفارهما ، بينما تدع فرجينيا نفسها ، فرجينيا بحجم طائر ، للتحور من امرأة عصية ناحلة إلى زخرف على قبعة ؛ شىء أحمق مهمل .

تعتقد أن كلاريسا ليست عروس الموت مطلقاً . كلاريسا الفراش الذى ستريح عليه العروس .

مسز دلاواى

تملأ كلاريسا المزهرية بدستة ورود صفراء . تأخذها لحجرة المعيشة ، تضعها على طاولة القهوة ، ثم عائدة تحركها بضع بوصات إلى اليسار . ستقيم لريتشارد أفضل حفل تستطيعه . ستجرب إبداع شيء مؤقت ، وحتى عادى ، لكنه مكتمل على صورته ستراه محاطاً بناس يحترمونه بصدق معجبين به (لماذا سألت ولتر هاردى ، كيف تبدو ضعيفة ؟) ؛ ستتأكد أنه لن يضنيه التعب . بمساهمتها ، هديتها . هل من مزيد لديها تستطيع أن تعرضه عليه ؟

كانت فى طريق عودتها إلي المطبخ حين اهتز الإنتركوم (١) . من ؟ هل نسيت أمر محل التوصيل ، محتمل ، أم أسقط مقدم الطعام شيئاً . تضغط زر المتحدث .

تقول «من ؟» .

«لويس . أنا لويس» .

«لويس ؟ حقا ؟» .

تهتف كلاريسا بدعوته للدخول . طبعاً لويس . لا أحد غيره ، لا أى نيويوركى غيره طبعا، سيرن الجرس دون الاتصال مقدماً . لا أحد يفعلها .

---

(١) الإنتركوم: (الإنترفون) ، جهاز للاتصال الداخلى بالبنايات الكبيرة. (م) .

تفتح الباب وتمضى للصالة بحس عظيم مدوخ تقريباً من الحدس ، شعور قوى جداً وغريب للغاية ، غير معروف تحت أى ظروف ، حتى لقد قررت منذ زمان أن تطلق عليه ببساطة اسم لويس . الحس بـ لويس ، وعبره تسرى آثار تقوى وشعور بالذنب ، انجذاب ، عنصر محدد من رعب مسرحى وأمل صاف غير ملطخ ، كأن لويس فى كل مرة يظهر فيها يجلب معه ، أخيراً ، خبراً جيداً يستحيل أن تتوقع مداه أو حتى طبيعته بدقة .

بعد لحظة يهل من حنية المدخل ، لويس بنفسه . كان هكذا منذ خمس سنين ، والآن كما هو بالضبط . الناصية الغليظة نفسها من الشعر الأبيض، مشيته التواقة المراوغة نفسها ، ملابسه المهملة نفسها وكأنها على مايرام . لكن وسامته كعجوز ، ثقله ورباطة جأشة كأسد ، قد تلاشت على عجل بشكل مدهش منذ عقدين تقريباً ، إنه لويس - أبيض الشعر ، عصبى ، مفعم بانفعالات ماكرة مهذبة - انبعث بصورة شاب غير مهيب يقفز من برج دبابة ليعلن أنه هو ، لا الآلة ، الذى سيدمر قريتكم . لويس ، جسد الرغبة القديم ، دائماً كما يبدو : معلم دراما، شخص غير مؤذ .

يقول «آه ، الآن» .

يتعانق وكلاريسا . حين تدور كلاريسا للوراء ترى عينى لويس الرماديتين حسيرتين مبللتين . لويس الميال دائماً للدموع . كلاريسا أكثر عاطفية وأشد نقمة ، لكن يبدو أنها لاتبكى على الإطلاق ، رغم أنها ترغب فى ذلك غالباً .

تسأل «متى دخلت المدينة ؟» .

«يوم قبل أمس . كنت أسير ، وأدركت فجأة أننى بشارعكم» .

«سعيدة برؤيتك» .

يقول لويس «سعيد برؤيتك أيضاً» ، وتمتلىء عيناه ثانية .

«صدفة غير معقولة . لدينا حفل ريتشارد الليلة» .

«حقاً ؟ ما المناسبة ؟» .

«فاز بجائزة الكاروتيه . ألم تسمع ؟» .

«الـ ماذا ؟» .

«جائزة للشعراء . قدرها كبير . يدهشنى أنك لم تسمع بها» .

«آه . مبروك لـ ريتشارد» .

«آمل أن تستطيع المجيء . سيهتز طرباً لو رآك» .

«حقاً ؟» .

«نعم . طبعاً . لماذا نقف هنا بالمدخل ؟ تعال» .

تبدو أكبر ، يفكر لويس فى كلاريسا وهو يتبعها إلى الشقة (ثمانى خطوات ودر ، ثم ثلاث خطوات أخرى) . تبدو أكبر ، يفكر لويس مندهشاً . حدث أخيرا . يا له من شيء ملحوظ ، هذه أسلاك رحلة جينومية (١) ، طريقة يبحر بها الجسم بأساس راسخ ، عقداً بعد عقد من السنين ، وبسنوات قليلة تذعن للعمر . لويس مندهش لكل مايحس به من حزن ، فقد كان مشبعاً طفيفاً بالرحيل غير المتوقع نسبياً لميعة الصبا التى طالت عند كلاريسا على غير عادة الطبيعة . كم مرة تخيل ذلك ؟ إنه انتقامه ، بالتأهيل الممكن الوحيد لتسجيل الهدف، كل تلك السنين مع ريتشارد، كل ذلك الحب والمجهود، بينما يقضى ريتشارد السنين الأخيرة من حياته يكتب عن امرأة بمنزل فى الشارع العاشر . يؤلف ريتشارد رواية تسرف فى تأمل امرأة (فصل فى خمسين صفحة وصفحة عن تسوقها لشراء طلاء أظافر ، ثم تقرر عكسه !) ويتم نفى لويس العجوز عن الجوقة . لويس بمشهد واحد قصير نسبياً ، ينتحب على ندرة الحب فى العالم . ذلك ما كان ؛ مكافأة بعد أكثر من اثنتى

---

(١) جينومية: تتعلق بالجينات الوراثية . (م) .

عشـــرة سنة ؛ بعد حياة مع ريتشارد فى ست شقق مختلفة ، يحضنه ، يمارس معه جنساً دون إحساس ؛ بعد آلاف الوجبات معاً ؛ بعد رحلة لإيطاليا وساعة تحت تلك الشجرة . بعد ذلك كله يظهر لويس ، وسيذكر فقط كرجل حزين يشتكى من الحب.

تسأل كلاريسا «أين تقيم ؟» .

«مع جيمس ، فى موتيل قرب الشاطىء» .

«ألا يزال ؟» .

«بعض من بقالته هناك . رأيت علبة عصائد أذكر أنى أخذتها من المحل لأجله منذ خمس سنوات . حاول أن ينكر أنها العلبة نفسها ، لكنى أتذكر بعجة بزاوية فيها» .

يلمس لويس بطرف إصبعه أنفه (الجانب الأيمن ثم الأيسر) . تدور كلاريسا إزاءه . تقول «أنظر لنفسك» ، ويحضنان بعضهما بعضاً من جديد . يحضنان بعضهما بعضاً دقيقة كاملة (تمشط شفتاه كتفها الأيسر ، ثم يتحول ليمشط شفتيه بكتفها الأيمن أيضاً) . وكلاريسا تنسحب .

تسأله «تريد شيئاً تشربه ؟» .

«لا . نعم . كوب ماء» .

تذهب كلاريسا للمطبخ . لاتزال مستغلقة ، تتصرف مغيظة للغاية . إن كلاريسا هنا ، يفكر لويس ، طيلة الوقت . هنا بهذه الحجرات مع عشيقتها (أو شريكتها ، أو أيا ما كانت تدعوها) ، تذهب للعمل ثم تعود للبيت . تقضى يوماً فآخر ، تسهر بمسرحيات ، تذهب لحفلات .

يفكر ، هناك قليل من الحب فى العالم .

يتخذ لويس أربع خطوات لحجرة المعيشة . إنه هنا من جديد ، فى الحجرة الكبيرة الرطبة مع الحديقة ، بكنبة عميقة وسجاد ممتاز . يلوم سالى

على الشقة . فهى أثر من سالى ، نوق سالى . تعيش سالى وكلاريسا بتطابق كامل فى شقة للطبقة العليا غربى شارع فيلينج ؛ يمكنك تخيل مساعد أحد وهو يذرع المكان بلوح كتابة : كراسى فوتيه جلدية فرنسية ، تصحيح ؛ طاولة اعتراضات ، تصحيح ؛ حوائط بلون الكتان معلقة بطبعات نباتية ، تصحيح ؛ أرفف كتب منتشرة مع كنوز صغيرة محرزة من الخارج ، تصحيح . حتى الأشياء الغريبة - كإطار مرآة من سوق السلع الرخيصة مغطى بمحار بحرى ، خزانة أمريكية جنوبية قديمة محرشفة مطلية ، بحوريات ماء تنظر شزراً - تحس بها محسوبة ، كأن المخرج الفنى كان ينظر إليها جميعاً وهو يقول «ليس هذا مقنعاً بدرجة كافية ، فإننا نحتاج المزيد من الأشياء لتخبرنا عن طبيعة هؤلاء الناس» .

تعود كلاريسا بكوبى ماء (مشبعين بالكربونات ، مع ثلج وليمون) ، فتجد لويس يشم هواء ويلفليت - كان مشبعاً بصنوبر وعشب وماء مالح طفيفاً - منذ أكثر من ثلاثين عاماً . ينبض قلبه . إنها عجوز - لا سبيل للإنكار - لكن لاتزال تلك المتألقة الصارمة ؛ السفاحة بجنسانية أرستقراطية . لاتزال نحيفة . تنشر قليلاً سيمياء رومانسية محبطة ، وقد تعدت الخمسين بالنظر إليها الآن ، فى هذه الحجرة المعتمة الموائمة ، يفكر لويس فى صور الجنود الشبان بمظهر حازم مهيب فى أزياء موحدة ؛ من مات قبل سن العشرين ومن عاش كتجسيد أمل ضائع ، فى ألبومات صور أو يجلسون إلى موائد [illegible] واثقين لايقلقهم مصيرهم ، فالأحياء باقون بصورة وظائف و[illegible] ، إجازات مخيبة للأمل . تذكر كلاريسا فى هذه اللحظة لويس بأحد الجنود . يبدو أنها تنتبه لعالم قادم من حقيقة ماضية ؛ تبدو حزينة بريئة ولا تقهر كالموتى بالصور .

تعطى لويس كوب الماء . تقول «يبدو أنك بخير» . يبدو وجه لويس البدائى

بمنتصف العمر أصغر : أنف منقارى وعينان مندهشتان شاحبتان ؛ حاجبان وتريان ؛ رقبة بعروق قوية تحت ذقن ناتىء عريض . يفترض به أن يكون فلاحاً ، قوياً كالعشب ، منهوباً بالعواصف ، وقد فعل العمر فى خمسين عاماً مايفعله الحرث والحصاد بنصف الوقت .

يقول لويس «شكراً» .

«يبدو أنك كنت فى مكان بعيد» .

«كنت . أخيراً أعود» .

تقول كلاريسا «خمس سنوات . لا أصدق أنك لم تزر فيها نيويورك مرة».

يبلع لويس ثلاث جرعات ماء . لقد عاد إلى نيويورك مرات عبر السنين الخمس الماضية ،لكنه لم يتصل . رغم أنه لم يتقصد خصوصاً عدم رؤية كلاريسا أو ريتشارد إلا أنه فشل حقاً أن يتصل . يبدو الأمر أبسط هكذا .

يقول لويس «عدت لما فيه الخير . وقد أتخمت ، أنا العجوز المتين ، بهؤلاء المعتوهين المتعلمين . أنا الآن بائس . أفكر فى الحصول على وظيفة متواضعة» .

«حقاً ؟» .

«أوه ، لا أعرف . لا تقلقى ، فلن أعود لدراسة ماجستير إدارة الأعمال ، أو أى شىء» .

«أظنك ستقع فى غرام سان فرانسيسكو . وربما لا نراك مجدداً» .

«كان الجميع متوقعين منك الوقوع فى غرام سان فرانسيسكو . أمر كئيب» .

«لويس ، إن ريتشارد مختلف كلياً عما كان» .

«الأمر فظيع ؟» .

«أريدك فقط أن تستعد» .

يقول لويس «لبثت قريباً منه كل تلك السنين» .

«نعم . لبثت» .

يقرر لويس إنها امرأة عادية ، وسيمة . هى كما هى ، لا أكثر ولا أقل . تجلس كلاريسا على الكنبة ، وبعد تردد لحظى يتخذ لويس خمس خطوات فيجلس جنبها ..

يقول «طبعا ، قرأت الكتاب» .

«فعلاً ؟ جيد» .

«ألم يكن متكهناً ؟» .

«نعم . فعلاً» .

«لم يتحايل حتى بتغيير اسمك» .

تقول «لم أكن أنا . بل خيال ريتشارد عن امرأة تشبهنى بشكل غامض».

«كتاب متكهن به ، ملعون» .

«هكذا يظن الجميع» .

«فى حوالى عشرة آلاف صفحة ، لاشىء يحدث . وعندئذ ، بوم . تقتل نفسها».

«أمه» .

«أعرف . فهو بعيد عن الرومانسية» .

«أنت متوافق تماماً مع النقاد . لقد انتظروا كل هذا الوقت ، لماذا ؟ عبث حقيقى فى أكثر من تسعمائة صفحة ، وموت مفاجىء بالنهاية . قال بعضهم إنها كتابة جميلة» .

يشيح لويس ببصره عنها . يقول «ورد بديع» .

تنحنى كلاريسا فتنقل المزهرية طفيفاً نحو اليسار . يا إلهى ، يفكر لويس ، لقد أصبحت أكثر من زوجة . أصبحت أمه .

تضحك كلاريسا . تقول «أنظر إلىّ . امرأة عجوز تهتم بوردها» .

تدهشك دائما هذه الطريقة ، بمعرفة المزيد عما تظن أنها تفعله . ويتعجب لويس إن كانت مظاهر معرفة الذات القليلة محسوبة فحكمة كلاريسا حاذقة بأداء مضياف . يبدو أنها تقرأ أفكارك أحيانا . تنزع عنك سلاحك بقولها ، أعرف ما تفكر فيه وأتفق معك فى أننى سخيفة ، أبعد قليلا عما أكون ولا أحب أن أكون عداه غير أننى لا أستطيع معاونة ذاتى . إنك تتحرك تقريبا ضد إرادتك ، كونك متوترا من مواساتها ، لتعينها على العودة لأدائها فترتاح من جديد بما يعنى الإحساس بالتوتر من جديد .

يقول لويس «إذن ، ريتشارد مريض للغاية» .

« نعم . لم يبلغ جسمه تلك الدرجة الفظيعة بالشكل بعد ، لكن عقله جوال. وأخشى إن كان قد راح لبعيد قليلا باستخدامه المواد الكيميائية المثبطة بالطريقة التى يساعدون بها بعض الناس» .

«الأمر فظيع ، طبعا» .

«لا يزال هو . أقصد أن هناك نوعية من السمات الثابتة التى تشكل خصوصيته ، وهى لم تختلف كثيرا على الأقل» .

«جيد . شىء ..» .

تقول «تذكر ذلك الكثيب الضخم فى ويلفليت ؟» .

«طبعا» .

«فكرت مرة أننى قد أريد نثر رمادى هناك حين أموت» .

يقول لويس «ذلك ممرض فظيع» .

«لكنك تفكر أحيانا فى هذه الأشياء . ولم لا ؟» .

كانت كلاريسا تعتقد ذات يوم ، واليوم أيضا ، أن كثيب ويلفليت ، بدرجة ما ، سيصحبها إلى الأبد .. ماذا سيحدث أيضا ، ستصادف ذلك دائما .

ستقف دائما فى الصيف على كثيب عال . ستكون دائما شابة عفية غير قابلة للتلف ، أثرا قليلا من الماضى ، تلبس سويتر ريتشارد القطنى ويلف يدا حول رقبتها بصورة عائلية ، بينما يقف لويس بعيدا يراقب التموجات .

يقول لويس «كنت غاضبا منك عندئذ . لم أكن أستطيع النظر إليك أحيانا» .

«أعرف» .

«حاولت أن أكون طيبا . حاولت أن أكون منفتحا متحررا» .

«كلنا حاولنا . لست متأكدة إن كان الإنسان قادرا على ذلك بشكل كامل»

يقول لويس «سقت إلى هناك مرة . للمنزل . لا أظن أنى أخبرتك» .

«لا ، لم تفعل» .

«ذلك قبل الرحيل إلى كاليفورنيا . كنت ضيفا على بوسطن بمؤتمر فظيع عن مستقبل المسرح ، طاقم ديناصورات قديمة مغرورة اصطف لمنح الطلبة الخريجين شيئا يسخرون منه ، وفيما بعد اكتأبت للغاية فاستأجرت سيارة سقتها إلى ولفليت . ولم أجد صعوبة تذكر فى العثور عليه» .

«ربما لم أكن أريد أن أعرف» .

« لا ، لايزال هناك ، يبدو متسقا مع نفسه إلى حد كبير ، تنكر قليلا . دهان جديد ، كما تعرفين ، كمن يوضع وسط خضرة فيبدو طبيعيا مع الغابة، كسجاد من حائط لحائط . لايزال قائما» .

تقول كلاريسا «ماذا تعرف» .

جلسا لحظة هادئين . من السيىء أن المنزل لايزال قائما . من السيىء أن تدخل الشمس وبعدها الظلام ثم الشمس من جديد إلى هذه الحجرات وتغادرها كل يوم ، أن يواظب المطر هطوله على ذلك السطح ، أن يزار هذا

كله من جديد .

تقول كلاريسا «أحب الصعود هناك أحيانا . أحب الوقوف على الكثيب» .

«لو تريدين نثر رمادك هناك ، نعم ، فعودى وتأكدى» .

«أنت محق ، فهو ممرض لحد المرض . يحيله على الصيف . ليس عندى أدنى فكرة عن المكان الذى أريد نثر رمادى فيه» .

تريد كلاريسا أن تظهر حياتها فجأة أمام لويس . تريد طرحها مبعثرة على الأرض عند قدمى لويس ، كل اللحظات المشرقة الحمقاء التى لايمكن قصها بالحكايات . تريد أن تجلس مع لويس فتختار من بينها .

تقول «إذن ، احك لى المزيد عن سان فرانسيسكو» .

«مدينة صغيرة جميلة بمطاعم كبيرة ولا شىء يدوم . طلبتى فى الأغلب معتوهون .

سأعود إلى نيويورك بسرعة قدر الإمكان» .

«حسنا . يسعدنا أن نستعيدك هنا» .

تلمس كلاريسا كتف لويس ، ويبدو أنهما سينهضان دون حديث ، إلى الدور العلوى فحجرة النوم ، يعريان معا . إلى حجرة النوم يعريان لا كعاشقين بل مصارعين بقيا على قيد الحياة فوق ساحة الوغى ، كل منهما مدمى جريح لكنه حى بمعجزة بينما مات الآخرون جميعا . سيجفلان حين يرخيان أحزمة درعى صدريهما وواقيات السيقان . سينظران لبعضهما بعضا برقة وتوقير ؛ سيتعانقان بنعومة بينما تقعقع نيويورك خارج الباب الزجاج ؛ بينما يجلس ريتشارد بكرسيه ينصت للأصوات وسالى تتناول غداءها أعلى المدينة مع أوليفر سانت ايفس .

يضع لويس كوبه ، يرفعه ثم يضعه من جديد . يخبط قدمه على السجاد، ثلاث مرات .

يقول «رغم ذلك ، فالأمر معقد قليلا . كما ترين ، وقعت فى الغرام» .

«حقا ؟» .

« اسمه هنتر . هنتر كريدون» .

«هنتر كريدون . آه» .

يقول لويس «طالب كان معى فى العام الماضى» .

تميل كلاريسا للوراء ، تتأوه نافدة الصبر . سيكون الرابع ، على الأقل ممن تعرفهم .

تود أن تمسك لويس فتقول ، ينبغى أن تنضج بشكل أفضل . لا أتحمل رؤياك تفعل الكثير بنفسك فتطرحه كله أمام ولد لمجرد أنه شاب جميل .

يقول لويس «قد يكون أنبه تلميذ قمت بتعليمه . يفعل أفضل أداء يمكن رؤيته عن أبيض شاذ كبر فى جنوب افريقيا . قوى بدرجة لا تصدق» .

تقول كلاريسا «آه» لا تفكر بشىء آخر تقوله . تحس بالأسى على لويس ونفاد صبر عميق ، ثم تفكر ، لويس بحالة غرام . بحالة غرام مع شاب . فى الثالثة والخمسين ولا يزال يملك كل شىء ، الجنس والجدال السخيف واللوعة.

يقول لويس «مذهل» . ومندهشا بشكل كامل ، بدأ يبكى . هلت دموع ببساطة كافية ، حارة من وراء عينيه تكسو بصره . وتأخذه بانتظام تشنجات انفعالية . قد تفعل ذلك أغنية ؛ أو حتى منظر كلب عجوز. تمضى الأمور . عادة تمضى . لكن هذه المرة ، هطلت دموع عينيه تقريبا قبل أن يعرف ، وفى هذه اللحظة خاطب جزء من كيانه (الجزء الذى يعول عليه الخطو ، الرشف ، التصفيق) نفسه : إنه يبكى ، غريب . ينحنى لويس أمام ، وجهه بين يديه . ينشج .

لايحب هنتر فى الحقيقة ، وهنتر لايحبه . علاقة ؛ مجرد علاقة . يفشل

بالتفكير فيه أحيانا كثيرة . ولدى هنتر عشاق آخرون ، مستقبل مخطط ، وعلى لويس أن يعترف بينه وبين نفسه أنه حين يبتعد ، فلن يفقد كثيرا ضحكة هنتر الصارخة ، سنه الأمامية المكسورة ، وفترات صمته الفظة .

هناك قليل من الحب فى العالم .

تحك كلاريسا قفا لويس براحة يدها . ماذا قالت سالى ؟ لم نتقاتل . كان ذلك على العشاء بأحد الأماكن منذ عام أو يزيد . كان هناك نوع من السمك ، رسوم نافرة كثيفة فى بركة مليئة بصلصة صفراء لامعة (كأنك تجلس فى بركة مليئة بصلصة ملونة لامعة) . لم نتقاتل . طبعا . كانتا تتشاحنان ، تعبسان ، لكن لم تنفجرا ، لم تصرخا ولا بكيتا ، لم تحطما صحنا . كأنهما لم تتقاتلا أبدا ؛ كعاشقتين جديدتين لاتزالان بعيدتين عن كل تلك الحروب؛ كأن عفتهما الجنسية لم تنفجر بعد أمامهما وهما منهمكتان بطريقتهما خلال مفاوضاتهما المبدئية فتشعران بتوكيد كاف فى صحبة كل منهما الآخر أنهما منحلتان حقا . بماذا تفكر ؟ ستحتفل مع سالى قريبا بعيد حبهما الثامن عشر معا . زوجان لم تتقاتلا أبدا .

تحك كلاريسا قفا لويس وهى تفكر ، خذنى معك . أريد حبا مقدرا . أريد شوارع بالليل ، ريحا ومطرا ، ولا يحدس أحد أين أكون .

يقول لويس «أنا آسف» .

«عادى . عليك ، إكراما لوجه الله ، أن تنظر فيما حدث» .

«أحس كل شىء عبث» . يقف فيسير إلى الأبواب الفرنسية (سبع خطوات) . من بين دموعه يرى الطحلب بنطاق صخرى منخفض ، صحن برونزى من ماء صاف تطفو عليه ريشة بيضاء . ليس لأحد أن يقول لماذا يبكى . سيعود إلى نيويورك . يبدو أنه يبكى من هذه الحديقة الغريبة ، من مرض ريتشارد (لماذا عف عن لويس؟) من هذه الحجرة مع كلاريسا فيها ،

من كل شيء . يبدو أنه يبكى من هنتر الذى يشبه ذلك الآخر . هنتر الآخر بجلال تراجيدى ضار ، بذكاء فعلى ، بدورة عقل متواضعة . يبكى منه لويس.

تتابع كلاريسا . تقول مجددا «عادى» .

يدمدم لويس «غبى . غبى» .

بالباب الأمامى يدور مفتاح . تقول كلاريسا «جوليا» .

«عبث» .

«لا تقلق . رأت رجالا يبكون» .

ابنتها الربة الملعونة . يشد لويس كتفيه ، يخطو جانبيا من تحت ذراع كلاريسا .

يواصل النظر إلى الحديقة ، يجهد فى السيطرة على وجهه. يفكر فى الطحلب . يفكر فى النوافير . يهتم فجأة دون تكلف بالطحالب والنوافير .

يقول صوته ، كم هو غريب . لماذا يفكر فى أشياء كهذه ؟

من خلفه تقول جوليا «أهلا» . لا «هاى» . هى دائما شابة متزنة ، رقيقة لكن غريبة ، مفرطة الملامح ، مليئة بأمور شاذة وتشنجات وجه لا إرادية .

تقول كلاريسا «هاى حبيبتى . تذكرين لويس ؟»

يستدير لويس ليواجهها . آه ، فلتره يبكى . اللعنة .

تقول جوليا «وأنا أفعلها» . تسير نحوه ، وهى تمد يدها

بالثامنة عشرة الآن ، ربما التاسعة عشرة . وسيمة بشكل غير متوقع ، متبدلة تماما حتى خشى لويس أن تهل دموعه من جديد . آخر مرة رآها كانت بالثالثة عشرة أو نحوها ، متهدلة بوزن زائد ، محرجة من نفسها . لاتزال غير جميلة ، لن تكون جميلة ، بل اكتسبت من حضور أمها تلك الثقة الذهبية . وسيمة بثقة رياضية شابة ، رأسها حليق كله وجلدها قرنفلى .

يقول «جوليا . سعيد برؤيتك» .

تأخذ يده بحزم فى يدها ، تلبس خاتما فضيا رفيعا فى أنفها . شهوانية قوية ، تفرقع من الصحة ، كفتاة أيرلندية فلاحة مثالية خرجت للتو من الحقول . تشبه والدها (كما يتخيله لويس ، يتصوره شابا أشقر مشدودا ، أعلاه صلب ، ممثل أو فنان ، عاشق ، مجرم ، ولد يائس مرغم على بيع سوائله ، دمه إلى بنك دم ومنيه إلى بنك حيامن) . يعتقد لويس أنه ضخم ، جلف ، شكل من أسطورة سلتية (١) ، وتبدو هنا جوليا ، بصدرية دون حمالات وشورت وحذاء مصارع أسود ، كمن تحمل حزمة شعير تحت ذراع ولحم غنم طازجا تحت الآخر .

تقول «أهلا ، لويس» . تصافحه دون هز . تعرف طبعا أنه يبكى . لايبدو عليه اندهاش .

ماذا سمعت عنه ؟

يقول «سأذهب» .

تومىء . تسأل «كم ستبقى هنا؟» .

«أيام . لكن سأنتقل عائدا . لطيف أن أراك . باى ، كلاريسا» .

كلاريسا تقول «الخامسة بالضبط » .

«ماذا ؟» .

«الحفل . بالخامسة . تعال من فضلك» .

«سأتى ، طبعا» .

تقول جوليا «وداعا ، لويس» .

وسيمة بالتاسعة عشرة تقول أهلا ووداعا ، لا مجرد «هاى» و «باى» .

---

(١) سلتية : تشمل أيرلندا واسكتلندا وويلز. (م) .

بأسنان ناصعة البياض ، صغيرة على غير العادة .

«وداعا» .

تقول كلاريسا «ستجيء ، هه ؟ عدنى أن تجيء» .

«أعدك . وداعا» . يخرج من الشقة ، لايزال غائما بالدموع فى غموض ؛ غاضبا من كلاريسا ؛ فى غرام عبثى غامض مع جوليا (هو الذى لم ينجذب يوما للنساء - أبدا - يرتعد ، بعد كل هذه السنين ، حين يذكر محاولته الفظيعة اليائسة التى فعلها مع كلاريسا ، ببساطة ليظل مدعيا على ريتشارد) . يتصور هرولة مع جوليا ، خارج هذه الشقة المخيفة رديئة الذوق؛ مبتعدا وإياها عن الحوائط لون الكتان برسومها النباتية المطبوعة ، عن كلاريسا وأكواب مائها الكربونية بشرائح الليمون . يمضى عبر المدخل المعتم (ثلاث وعشرون خطوة) ، خلال الباب إلى الدهليز ثم الباب الخارجى ، إلى الشارع العاشر . الشمس تنفجر كمصباح يومض بوجهه . ينضم ممتنا من جديد لبشر العالم : رجل منهك المنظر ينزه كلبى دهشند (١) ، رجل بدين متعرق بمهابة فى بزة زرقاء داكنة ، امرأة صلعاء (موضة أو علاج كيميائى؟) تميل إلى بناية كلاريسا وهى تمص سيجارة بوجه فيه رضوض حديثة . سيرجع لويس هنا ، إلى هذه المدينة ؛ سيعيش بشقة فى شارع فيليج ، يجلس بمقهى دانتى مع قهوة اكسبريسو وسيجارة فى فترات الظهيرة . ليس عجوزا ، ليس بعد ، أوقف الليلة قبل السابقة سيارته بصحراء أريزونا واقفا تحت النجوم حتى أحس بكينونة روحه ، أو ما تريد أن تدعوها ؛ بالجزء المتصل الذى كان طفلا وقف هناك - بدا الوقت بعدها وكأنه لحظة - بصمت الصحراء تحت كوكبة النجوم . يفكر بعاطفة مخبولة

---

(١) الدهشند: كلاب ألمانية صغيرة الحجم، طويلة الجسم. قصيرة القوائم. (م) .

فى نفسه ، لويس والترز الشاب ، من قضى شبابه يجرب الحياة مع ريتشارد ، متملقا بصور منوعة ومحنقا بعبادة لاتحور لذراعى ومؤخرة ريتشارد ، وهو من هجر ريتشارد أخيرا ، إلى الأبد ، بعد معركة بمحطة قطار فى روما (هل بسبب خطاب تسلمه ريتشارد من كلاريسا ، أم لإحساس لويس العام بالهم المجهد لكونه الأوفر نعمة والأقل ظهورا ؟) كان لويس بالثامنة والعشرين مقتنعا بعمره المتقدم وفرصه الضائعة ، يمضى بعيدا عن ريتشارد ليركب قطارا يبدو أنه منطلق إلى مدريد . كان يبدو حينئذ بلمحة درامية لكن معاصرة ، وبينما يهدر القطار فى طريقه (أبلغه المحصل ساخطا ، أين يتوجه) كان سعيدا بشكل غريب ، غير سوى تقريبا كان حرا . يذكر الآن أيامه على غير هدى فى مدريد ؛ لا يذكر بوضوح تام ذلك الولد الإيطالى (كان اسمه فرانكو ؟) الذى أقنعه نهائيا بهجران مشروعه القدرى الطويل فى عشق ريتشارد ، إلى سبيل عواطف أبسط . ما يذكره بوضوح تام هو الجلوس بقطار متجه إلى مدريد ، يحس بسعادة يتصور الأرواح تحس بها ، حين تتحرر من أثقالها الأرضية دون أن تتخلى عن نواتها الأصلية . يسير شرقا ناحية الجامعة (سبع وسبعون خطوة إلى الزاوية) ينتظر العبور .

مسز بروان

بينما تقود سيارتها الشيفروليه بطريق باسادينا السريع ، بين تلال لاتزال مدخنة فى مواضع من حريق العام الماضى ، تحس كمن يحلم ، أو أكثر دقة كمن يذكر طريقا بحلم مضى من بعيد . تحس بكل ما تراه مسمرا إلى اليوم بطريقة تسمر فراشات مخدرة إلى رقعة . منحدرات التلال سوداء منقطة بمنازل جصية مرسومة بألوان نجت من لهيب الحريق . هنا سماء بيضاء مزرقة ضبابية . تسوق لورا بكفاءة ، لا ببطء شديد ولا بسرعة شديدة، تتفحص على فترات مرآة المنظر الخلفى . امرأة فى سيارة تحلم بكونها فى سيارة .

تركت ابنها مع مسز لاتش آخر ذلك الشارع . تعللت بمهمة اللحظة الأخيرة التى تتعلق بعيد ميلاد زوجها .

ذعرت – يفترض أن «الذعر» كلمة مناسبة . حاولت الرقاد دقائق وقت أن كان ابنها يقيل ؛ حاولت أن تقرأ قليلا ، لكن لم تستطع التركيز . فرقدت على السرير بالكتاب بين يديها تحس بالفراغ ، مجهدة من الطفل والكعكة والقبلة . اختلط الأمر نوعا بهذه العناصر الثلاثة ، وبينما ترقد على السرير المزدوج بالظلال المنسحبة جنب اللمبة المضاءة ، تحاول القراءة ، تساءلت : هل يعنى هذا الجنون ؟ لم تتصوره أبدا هكذا – حين فكرت فى شخص (امرأة مثلها) تفقد عقلها ، تصورت صرخات ونوبات عويل ، هلاوس ؛ لكن

بدا واضحا عندئذ أن هناك طريقة أخرى أكثر هدوءا ؛ طريقة مخدرة يائسة، سطحية بدرجة كبيرة حتى ليريح انفعال قوى كالأسى .

فرحلت لساعات . لم تتصرف بعدم مسئولية . تأكدت أن ابنها معتنى به. خبزت كعكة جديدة ، أذابت شرائح لحم ، نقعت بقوليات . فعلت ذلك كله ثم سمحت لنفسها بالرحيل .

ستعود للمنزل بميعاد طبخ العشاء ، لتطعم كلب كيتى . لكنها ستذهب الآن مباشرة إلى مكان (أين؟) لتكون وحدها ، تتحرر من طفلها ، منزلها ، الحفل الصغير الذى ستقيمه الليلة . أخذت كتابها الجيب ، نسختها من رواية مسز دلاواى . لبست جوربها وبلوزتها وجونلتها ؛ ثبتت حلقها المفضل، قرصى نحاس بسيطين بأذنيها . تحس بوهن ، برضى أحمق من تجهيزاتها للخروج ، ومن نظافة سيارتها . سلة مهملات صغيرة داكنة الزرقة ، خالية من القمامة، معلقة فى المحور الساكن بطريقة سرج جواد ملائم ، تفكر ، أمر سخيف ، وتجد عزاءها فى هذا الأمر المعصوم من الخطأ . وتقود . نظيفة حسنة الملبس ، إلى بعيد .

فى المنزل كعكة جديدة تنتظر تحت غطاء وعاء ألمنيوم بمقبض خشبى على شكل جوزة بلوط . معدلة من الكعكة الأولى . كعكة مكللة بطبقة مجلدة مرتين ، فلا يظهر لب الخبز بالطبقة المجلدة (استشارت كتاب طبخ ثانيا ، وعلمت أن الخبازين يشيرون للشريحة الأولى من الطبقة المجلدة بأنها «طبقة لب الخبز» ، فيجب دائما تغطية الكعكة مرة ثانية) . كعكة تقول «عيد ميلاد سعيد يا دان» بحروف بيضاء أنيقة ، غير مزدحمة بعناقيد ورد صفراء . كعكة ممتازة كاملة بطريقتها ، لكن لورا لاتزال خائبة الرجاء منها . فهى غير بارعة ، صناعة منزلية ؛ تبدو على نحو خطأ . حرف «الدال» فى «سعيد» ليس كما كانت تأمل أن يكون عليه ، ووردتان يعوزهما الانسجام .

تلمس شفتيها ، حيث استقرت قبلة كيتى . لم تهتم كثيرا بالقبلة ، بما تلمح أو لا تلمح إليه ، عدا أنها منحت كيتى مضاء . بحب عميق ، لغز – من يود فهم كل جزئية فيه ؟ لورا تشتهى كيتى . تشتهى قوتها ، خيبة أملها الرشيقة المبهجة ، الأنوار المذهبة القرنفلية المتبدلة بذاتها السرية وأعماق شعرها الهشة مغسولة بالشامبو. لورا تشتهى دان أيضا ، بطريقة أكثر عبوسا وأقل تأنقا ؛ بطريقة أكثر مكرا مسكونة بعنف وعار . شهوة لاتزال حادة كرقاقة عظم . قد تقبل كيتى بالمطبخ وتحب زوجها أيضا . تستبق اللذة الموسوسة من شفتى زوجها وأصابعه (ألا أنها تشتهى شهوته؟) لكن لاتزال تحلم بتقبيل كيتى ثانية ذات يوم ، بمطبخ أو على شاطىء بينما يزعق الأولاد على الأمواج المتكسرة ، بمدخل وعلى أذرعهم مناشف مطوية ، يضحكون بنعومة ، منفعلين يائسين ، بمودة يشغلها تهور خاص إن لم يكن مع بعضهم بعضا ، يقولون شششش ، منفصلين سريعا ، ماضين إلى حال سبيلهم .

ما تندم عليه لورا ، ما يمكن أن تتحمله ، هو الكعكة . تربكها ، لكن لاتستطيع إنكارها . مجرد سكر ودقيق وبيض – جزء من سحر الكعكة نقائصها المحتومة . تعرف ذلك ؛ تعرفه طبعا . تأمل إبداع شىء أجمل ، أكثر تميزا عما تخبزه ، حتى مع سطحه الناعم وأساسه المرتكز . تشتهى (تعترف لنفسها) حلما بكعكة توصف بأنها كعكة فعلية ؛ كعكة مزينة بحس غير منكر وعميق من الراحة والسخاء . تشتهى خبز كعكة قد تبعد الأسى ، لوهلة محسوبة . تشتهى خبز شىء مبهر ؛ شىء يبهر حتى من لايحبونه . فشلت . تود ألا تهتم . تفكر ، هناك خطأ فيها .

تتحول إلى الممر على يدها اليسرى ، تضغط السرعة . الآن مباشرة ، كانت أى امرىء يذهب لأى مكان. لديها صفيحة مليئة بالوقود وفلوس بمحفظتها . تستطيع الذهاب لأى مكان تحب ، ساعة أو اثنتين . بعدها ،

تبدأ الإنذارات . بالخامسة أو نحوها ، تبدأ مسز لاتش القلق ، ثم تبدأ المكالمات بالسادسة على الأقل . لو بإمكان لورا حين تتأخر أن تعطى تفسيرا، لكنها الآن ولساعتين على الأقل ، حرة . امرأة بسيارة .

حين تصل أول شافيز رافن ، وتظل أبراج وسط المدينة الضبابية ، عليها أن تختار . كانت النصف ساعة الماضية كافية لأن تتوجه بغموض نحو قلب لوس أنجلس ، لكنها الآن هنا - مبان أقدم رابضة صامدة ، هياكل أحدث وأطول ترتفع - كلها مغمورة بلمعة نهارية بيضاء ثابتة ، لاتبدو منبعثة من السماء إلى الأرض كأنها بالهواء نفسه ، كأن جزيئات غير مرئية بالأثير قد انطلقت ثابتة ، فسفورية بضبابية خفيفة . هاهى المدينة ، وعلى لورا أن تدخلها ، إما إلى الممر على يدها اليسرى أو إلى الممر على يدها اليمنى فتسلك طريقا جانبيا . لو فعلت ، لو واصلت القيادة ببساطة فستتجه للطريق الممتد الممهد الشاسع مع المصانع وبنايات الشقق خفيضة الارتفاع المحيطة بمدينة لوس أنجلس لحدود مائة ميل بكل اتجاه . قد تتحرف مباشرة فتصل أخيرا إلى بيفرلى هيلز أو شاطىء سانتا مونيكا ، لكنها لاتريد التسوق ولم تستعد للشاطىء . ومندهشة ترى أنه بقى القليل لتدخل هذا المشهد المدخن اللامح الهائل ، وما تريده - مكان خصوصى هادىء ، تقرأ فيه وتفكر - ليس متاحا بشكل جاهز ، لو ذهبت لمحل أو مطعم فستنجز - عليها التظاهر بأنها تحتاج أو تريد شيئا لا تهتم به بأى حال من الأحوال . عليها أن تتحرك بزى مهندم ؛ تمتحن السلع أو ترفض عروضا بالمساعدة ، أو تجلس إلى مائدة ، ترتب شيئا ، تستنفده وترحل . لو تركن سيارتها ببساطة فى مكان وتجلس هناك ، امرأة وحدها ، فقد تتعرض لتهجم المتهجمين ومن يسعون لحمايتها من المتهجمين . ستكون مكشوفة ؛ تبدو غريبة للغاية .

حتى المكتبة ستكون عمومية ، كحديقة عامة .

تدير سيارتها للحارة اليسار ، إلى المدينة . يبدو أنها ستتخذ قرارها بشكل فيزيقى تقريبا ، كأنها بالذهاب يسارا ستدخل مجرى حدث يترقبها بصورة ملموسة مثل شارع فيجرواه ، بواجهات محلاته وأرصفته المظللة . تتلمس فندقا . تقول (طبعا) إنها ستقضى ليلة ، وسيلحق بها زوجها حالا وطالما ستؤجر الغرفة ، فماذا يضير لو قضت فيها عدة ساعات فقط ؟

يبدو الأمر لمحة تهور مبالغ فيه ، فأصيبت بدوار من احتمال ذلك ، عصبية كفتاة صغيرة . تبذير ، نعم - غرفة بفندق لليلة كاملة ، بينما كل ما تقصد فعله هو الجلوس هناك لتقرأ ساعتين أو نحوها - لكن المال لم يكن الأهم عندئذ ، فهى تدير شئون البيت باقتصاد نسبى . وكم ستكلف غرفة ؟ لن يكون كثيرا

لأنها ستذهب لمكان رخيص - موتيل بمكان فى ضواحى المدن - حيث لاينبغى لها أن تكون ، فستحس بالتحريم ؛ بالخسة . قد يأخذ عليها موظف الاستقبال اتخاذ مهنة معروفة ؛ فيسأل أسئلة . فهذه النوعية من الموتيل بعيدة عن خبراتها ، حيث تتضمن شفرات تواصل لن تلائمها ظاهريا ، إذن ستسوق إلى نورماندى ، بناية بيضاء منبسطة بعد بضعة مبان . النورماندى كبير نظيف ، غير ملحوظ . بشكل رقم سبعة - جناحان توأمان أبيضان من عشر طوابق محاطان بحديقة فيها نوافير . فيها هواء صحى منعش ؛ يقصده سياح ورجال أعمال ، لايشكل وجودهم هناك أى أحجية . توقف لورا سيارتها تحت مظلة مطلية بالكروم عليها اسم الفندق بحروف طويلة مثلثة الشكل . رغم أن المكان مفعم بنور النهار ، إلا أن الهواء تحت المظلة كان من نوعية ليلية ببريق قمرى ؛ صفاء صقيل أبيض على أبيض . نباتات صبار منقطة على جانبى أبواب زجاجية سوداء تبدو كالمندهشة أنها هناك .

تترك لورا سيارتها للمكلف ، تستلم تذكرتها من الماكينة وتدخل الباب

الزجاجى الثقيل . ردهة ساكنة ، شديدة البرودة . يرن جرس بعيد ، صاف بدرجة قياسية . ارتاحت لورا فورا دون عصبية . تمشى على سجادة زرقاء داكنة نحو الاستقبال . هذا الفندق ، هذه الردهة ، هى بالضبط ما تريد - مكان بارد ، نظافة دون رائحة ، آيبون وذاهبون بلا انفعال نشيط . تحس فورا كأنها مواطن من المكان . كفء ، مطمئن . إنها هنا فى الوقت نفسه ، تحت ظروف مزيفة ، أو الأسوأ غير مفهومة - فقد قدمت غامضة ، لتهرب من كعكة . تنوى أن تخبر الاستقبال إن زوجها سيتأخر فيما لامفر منه ، وسيصل مع حقائبهما بعد ساعة أو تزيد . لم تكذب هكذا من قبل ، ليس على شخص لا تعرفه أو تحبه .

برهنت إجراءات الاستقبال على سهولة مدهشة . موظف ، رجل بمثل عمرها تقريبا ، صوته حلو خافت لكن جلده تالف ، لايشك بوضوح فى شىء بل حتى لايتسلى بمثل هذا الشك . حين تسأل لورا «لديكم غرفة ؟» يرد ببساطة ودون تلعثم «نعم . تريدينها فردية أو زوجية ؟» .

تقول «زوجية . أنا وزوجى . قادم ، مع حقائبنا» .

يحدق الموظف خلفها ، باحثا عمن يجاهد مع حقائب سفر . يحترق وجه لورا ، لكن لا تضطرب .

«قادم بعد ساعة أو اثنتين . تأخر ، وأرسلنى بدلا منه ، لأرى إن كان هناك شاغر» .

تلمس أعلى النضد الجرانيتى الأسود لتتحكم بنفسها . حكايتها كما يبدو ، غير قابلة للتصديق . لو هى مسافرة مع زوجها ، فلماذا يتخذان سيارتين ؟ لم لم يتصلا من قبل ؟ لايجفل الموظف ، عموما . «آسف ، عندنا غرف بالطوابق الدنيا فقط . تناسب ؟» .

«نعم ، رائع . ليلة واحدة» .

« آه ، إذن . فلنريك الحجرة ١٩» .

توقع لورا استمارة التسجيل باسمها (قد يبدو الاسم المخترع غريبا ، دنيئا) ، تدفع (قد نرحل مبكرين صباحا ، سنكون فى عجلة ، فلنأخذها الآن) تتسلم المفتاح .

تغادر الاستقبال ، لا تصدق أنها فعلتها . بالمفتاح ، تمر على البوابات . بالطرف البعيد من الردهة أبواب إلى المصاعد ، كلها من برونز مطروق بأعلاها خط أفقى بأرقام حمراء لامعة ، وللوصول إليها تمر بتنسيقات متنوعة من الكنب والكراسى الفارغة ؛ سبات بارد لنخيل منمنم فى فخار ؛ ووراء الزجاج غار داخل ملحق بصيدلية ومقهى ، حيث يجلس بضعة رجال رسميين منعزلين مع صحفهم على النضد، وهناك امرأة أكبر عمرا بزى نادلة قرنفلى شاحب عليها شعر أحمر مستعار ، يبدو أنها لاتوجه كلامها المرح لأحد ، وهناك كعكة ميرنج كبيرة بالليمون شكلها كاريكاتورى تقريبا ، بشريحتين مفقودتين على قاعدة تحت قبة بلاستيكية شفافة .

ترن لورا للمصعد ، تضغط زر طابقها . تحت لوح زجاجى على جدار المصعد صورة لوجبة بيض يمكن طلبها من مطعم الفندق حتى الثانية ظهرا. تمعن فى الصورة ، تعتقد أن الوقت قد تأخر على وجبة البيض . كانت عصبية منذ زمان بعيد ، لم تتبدد عصبيتها لكن يبدو أن طبيعتها تغيرت فجأة . عصبيتها مع غضبها وخيبة أملها فى نفسها كلها معروف لها ، بل يقبع الآن فى مكان آخر . قررت أن تتمحص الفندق ، فتصعد المصعد ، يبدو أنه أنقذها كمخدر مورفين ينقذ مريضا بالسرطان ، لا بمحو الألم بل بجعله يكف عن فعله ببساطة . كأنها مصحوبة تقريبا بأخت غير منظورة ، امرأة منحرفة مفعمة بحمية واتهامات مضادة ، امرأة مستذلة بنفسها ، وتلك المرأة ، الأخت المنحوسة لا لورا ، تحتاج لطمأنينة وهدوء . لورا ممرضة ،

ستسعف أخرى من الألم .

تخرج من المصعد ، تمشى بهدوء للصالة ، تثبت المفتاح بقفل الغرفة ١٩ .

هاهى غرفتها : غرفة فيروزية ، لا مدهشة ولا غير عادية بأى صورة من الصور ، لون فيروزى منتشر على سرير مزدوج ولوحة (باريس ، وقت الربيع) بإطار خشبى أشقر . غرفة برائحة كحول وصنوبر مطلى ، رائحة مبيض غسيل ، صابون معطر ، طافية كلها بثقل على شىء لم يكن زنخا ولا حتى باليا ، بل ليس طازجا . تفكر ، رائحة متعبة . رائحة مكان مستعمل ومستعمل .

تمضى إلى النافذة ، تزيح الستائر البيضاء الشفافة ، ترفعها . تنظر تحتها على ساحة للمدينة كحرف «V» بنافورتها وشجيرات وردها الناهضة، مقاعدها الحجرية الفارغة . تحس لورا مرة أخرى كمن يدلف إلى حلم – حلم ترنو فيه إلى حديقة غريبة غير مأهولة كثيرا ، فى الثانية وقليل بعد الظهر . تدور عن النافذة . تخلع حذاءها . تضع نسختها من «مسز دلاواى» على طاولة بقمة زجاجية ، وترقد بالفراش . غرفة ملؤها صمت يسود الفنادق، صمت مقصود ، غير طبيعى ظاهريا ، طبقات فوق قوام من صرير وقرقرات عجلات على سجاد .

هى الآن بعيدة عن حياتها . أمر بسيط .

يبدو نوعا أنها تركت عالمها الخاص ودخلت عالم الكتاب . لاشىء طبعا يبعدها عن لندن مسز دلاواى أكثر من غرفة فندق فيروزية ، فتتصور نفسها فرجينيا وولف ، امرأة تغرق ، عبقرية تسكن بالموت مكانا لايختلف عن هذا . تضحك بهدوء مع نفسها . تقول بصمت، عفوك يا إلهى ، فلتكن السماء أفضل من غرفة النورماندى. لابد أن السماء أفضل تأثيثا ، أكبر وأكثر مضاء ، وقد تشتمل حقا على مقياس بهذه الدرجة المطموسة ، بهذا الغياب

الظاهر داخل العالم الدائم. استئجار هذه الغرفة لنفسها يبدو متكلفا وداعرا. هى فى مأمن هنا . تستطيع فعل ما تريد ، أى شىء على الإطلاق . كانت نوعيا كالمتزوجين حديثا ، مستلقية بغرفتها ، لا تنتظر .. زوجها ، ولا أى رجل آخر . تنتظر شخصا . تنتظر شيئا .

تتوصل لكتابها . حددت مكان قراءتها بشريط الكتاب الفضى (إلى مدمنة القراءة ، مع حبى) ما منحها إياه زوجها منذ أعياد ميلاد مضت .

بحسّ انطلاق عميق قابل للطفو، تبدأ بالقراءة.

تذكرت مرة أنها ألقت ستة بنسات فى بئر السربنتين، لكن كل امرىء يتذكر، ما أحبته كان هذا، هنا، الآن، أمامها، سيدة بدينة بسيارة أجرة، هل كان مهما عندئذ، سألت نفسها وهى تمشى ناحية شارع بوند، هل كان مهماً توقفها حتما بشكل كامل، كل هذا مستمر من غيرها، هل استاءت منه أم لم تعد تتعزى باعتقاد أن الموت مات؟ فى شوارع لندن نسبيا، بمد وجزر الأشياء، هنا، هناك، تبقى هى، يبقى بيتر، عاش كل بالآخر، وهى تبتعد إيجابيا عن شجر البيت، عن المنزل القبيح هناك، تهيم بكل قطعة وأجزائه كما كانت، جزءا من ناس لم تقابلهم أبدا، تمددت كسديم بين ناس كانت تعرفهم جيدا، رفعوها على مقاعدهم وهى ترى الشجر يرفع السديم، لكنه انتشر إلى بعيد، على حياتها، نفسها، بم كانت تحلم وهى تتطلع لواجهة محل هاتشرز؟ حاولت أن تسترد ماذا؟ صورة فجر أبيض بالريف، وهى تقرأ بالكتاب المبسوط:

الخوف ليس أكثر من حرارة الشمس،

أو رغبات شتاء مهتاجة

قد تموت، تفكر لورا فجأة، كيف ــ كيف لأى امرىء ــ أن يتخذ قراراً كهذا، فكرة متهورة مدوخة، متحررة من تمثلها طفيفا ــ تعلن نفسها داخل

رأسها، بشحوب لكن بوضوح، كصوت خرخشة من محطة راديو بعيدة، قد تقرر أن تموت، فكرة تجريدية وامضة، ليست ممرضة حد الاكتئاب، فى غرف الفندق يفعل الناس أشياء كهذه حقا؟ ممكن ـ ربما محتمل ـ أن ينهى شخص حياته أو حياتها هنا، بهذه الغرفة على هذا الفراش، قال شخص: كاف، ليس أكثر، ونظر شخص لمرة أخيرة إلى هذه الحوائط البيضاء، هذا السقف الأبيض الناعم، حين تذهب إلى فندق، ترى نفسك وأنت تخلف صغائر حياتك لتدخل منطقة تعادلية، غرفة بيضاء نظيفة، لايبدو فيها الموت غريبا على الإطلاق.

تفكر، قد يكون أمراً مريحا بشكل عميق، يحس المرء بتحرره، فى الذهاب بعيدا ببساطة، ليقول لهم جميعا، لا أستطيع، ليست عندك هذه الفكرة، لم أرغب فى تجريب أكثر، تفكر، قد يكون هناك جمال مخيف، كحقل ثلج أو صحراء فى صباح باكر، قد تذهب فى ذلك المشهد الآخر، تخلفهم جميعا وراءها ـ طفلها، زوجها، كيتى، والديها، الجميع ـ بهذا العالم المشحون (لن يكون هذا كله من جديد، نظيفا)، تقول لواحد وآخر ولكل من يسأل، كنا نظن أنها بخير، كنا نظن مآسيها عادية، لم تكن عندنا فكرة.

تدلك بطنها، لن أفعلها، تقول بصوت عال فى الغرفة الساكنة النظيفة «لن أفعلها»، فهى تحب الحياة، تحبها بيأس، لحظات معينة على الأقل، قد تقتل ابنها أيضا، قد تقتل ابنها وزوجها والطفل الآخر، من لايزال يتشكل داخلها، كيف يمكن لأيهم الشفاء من شىء كهذا؟ لا شىء تفعله كزوجة حية أم لا، لا زلة، لا نوبة غضب أو اكتئاب، يحتمل مقارنتها، قد تكون شرا ببساطة، قد تنخس ثقبا بالغلاف الجوى، سيمتص فيه كل ما أبدعته ـ أيام منتظمة، نوافذ مضاءة، مائدة معدة لعشاء.

لاتزال سعيدة بمعرفة (بمعرفة فجائية، نوعا) أنها قد تكف عن الحياة،

هناك طمأنينة إزاء حد كامل من الخيارات، مراعاة الاهتمام بخياراتك كلها، بجسارة دون مكر، تتصور فرجينيا وولف عذرية غير متزنة، مهزومة بمطالب الحياة والفن المستحيلة، تتصورها تخطو إلى نهر مع حجر فى جيبها، تظل لورا تدلك بطنها، تفكر، سيكون أمرا بسيطا، كتمحيص فندق، بسيط هكذا.

مسز وولف

كانت تجلس بالمطبخ مع فينيسا، تشرب شايها.

تقول فينيسا «هناك معطف بديع لـ انجيليكا فى هارودز، لكن لا شىء للأولاد، يبدو الأمر غير منصف، بافتراض أنى سأهديها المعطف بعيد ميلادها، ستعترض طبعا فهى تظن وجوب التوصل للمعاطف بنفسها كأمر طبيعى، لا أن توهب كهدايا».

تومىء فرجينيا، لايبدو أنها تستطيع الكلام الآن، هناك الكثير بالعالم، هناك معاطف فى هارودز، هناك أطفال غاضبون وخائبو الرجى لايهم مايفعله أحدهم، هناك يد فينيسا الممتلئة على كوبها، وهناك طير الدج المغرد خارجا، جميل بمحرقته، يشبه كثيرا قبعات النساء.

هناك هذه الساعة الآن، بالمطبخ.

لن تموت كلاريسا، ليس بيدها، كيف ستتحمل ترك هذا كله؟.

تستعد فرجينيا لاستعراض بعض من حكمتها عن الأطفال، لديها فكرة مقتضبة عما ستقوله، لكنها ستقول شيئا.

تحب أن تقول، إنه كاف، أكواب الشاى وطير الدج المغرد خارجا، مسألة معاطف الأطفال، إنه كاف.

شخص آخر سيموت، شخص بعقلية أكبر من كلاريسا، شخص بمآس وعبقرية تكفى لإبعاده عن مغريات العالم، أكوابه ومعاطفه.

تقول فرجينيا «انجيليكا ربما ــ».

لكن هاهى نيللى تعود خطرة هائجة ظافرة، من لندن بطرد يحوى الشاى الصينى والزنجبيل المحلى، تمسك العلبة لأعلى، كمن سيخلعها.

تقول كجلاد بهدوء مدروس «مساء الخير، مسز بيل».

هاهى نيللى مع الشاى والزنجبيل، وها هى فرجينيا للأبد، سعيدة بغير حساب، أكثر من سعيدة، نشيطة تجلس مع فينيسا بالمطبخ فى يوم ربيعى عادى، مثل نيللى ملكة الأمازون المستعبدة، نيللى الساخطة أبدا، تستعرض ما أجبرت على جلبه.

تدور نيللى مبتعدة، فتميل فرجينيا للأمام تقبل فينيسا على الفم، على غير العادة، قبلة بريئة، بريئة للغاية، لكن يبدو ذلك الآن بهذا المطبخ، من وراء ظهر نيللى، كأكبر لذة لذيذة محرمة، وترد فينيسا القبلة.

مسز دلاواى

«لويس البائس».

تتنهد جوليا بخليط من صبر نادم منهك كعجوز بشكل مدهش، تبدو صورة لاحتجاج أموى قديم، جزءاً من صف نساء يتنهدن منذ قرون طويلة بصبر نادم منهك من عواطف الرجال الغريبة، تتخيل كلاريسا ابنتها بالخمسين: سيشار إليها كامرأة ضخمة، ضخمة الجسم والروح، قادرة غامضة حاسمة، غير درامية، تصحو مبكرا، تود كلاريسا الآن لو كانت هى لويس: لا أن تكون معه (ذلك شائك جدا، صعب جدا)، كأنها هو، تعسة غريبة غادرة، معدومة الضمير على حل شعرها بالشوارع. تقول «آه، لويس البائس».

هل يفسد لويس حفل ريتشارد؟ لماذا طلبت ولتر هاردى؟.

تقول جوليا «ياله من غريب».

«هل تتحملين لو منحتك حضنا؟».

تضحك جوليا، بالتاسعة عشرة، جميلة بدرجة لا تصدق، تحضر أفلاما لم تسمع بها كلاريسا، تعانى من نوبات كآبة وبهجة، تلبس ستة خواتم بيدها اليسرى، ليس منها الذى أهدتها إياه كلاريسا بعيد ميلادها الثامن عشر، تلبس خاتما فضيا فى أنفها.

تقول «طبعا».

كلاريسا تمسك جوليا، ثم تطلقها بسرعة، تسألها ثانية «كيف حالك؟»، وتتأسف فورا، تخشى من تقلصات وجهها اللاإرادية، إحدى عاداتها الصغيرة البريئة التى تلهمها بأفكار قتل الذرية، تنظف أمها مكرهة حلقها، تمهد أمها لآرائها المضادة كلها بقولها «أكره أن أكون بطانية مبللة، لكن ـ»، تبقى هذه الأشياء شاحبة بذاكرة كلاريسا، لكن لاتزال قادرة على استلهام هياجها، بعد عطف والدتها وتواضعها وصدقاتها، تقول كلاريسا غالبا إلى جوليا «كيف حالك؟»، خارج نطاق العصبية جزئيا (كيف تمهد لتعاملها رسميا مع جوليا، فتحس بتوتر قليل بعد ما حدث؟)، تفعله جزئيا حيث تريد ببساطة أن تعرف.

تفكر، سيفشل حفلها، سيمل ريتشارد ويتضايق، ويكون محقا، فهى سطحية، تعنى كثيرا بمثل هذه الأشياء، وستطلق ابنتها النكات على ذلك مع صاحباتها.

هكذا مع صاحبات مثل مارى كرول.

تقول جوليا «بخير».

تقول كلاريسا يائسة مبتهجة «تبدين رائعة».

هى سخية على الأقل، لم تطرى طفلتها، تمنحها ثقة، لاتنتقد قلقها.

تقول جوليا «أشكرك ، هل تركت هنا حقيبة ظهرى أمس؟».

«آه، هناك على المشجب جنب الباب».

«طيب، سأذهب أنا ومارى للتسوق».

«أين ستقابلينها؟».

«إنها هنا فعليا، فى الخارج».

«أوه».

«تدخن سيجارة».

مكتبة
t.me/soramnqraa

«حين تنهى سيجارتها، ألا تود الدخول لتقول أهلا».

يعتم وجه جوليا بندم عميق مع شيء آخر ـ هل تسترد هياجها القديم؟ أم هو شعور عادى بالذنب؟ صمت يعبر، يبدو أنها قوة التقاليد تبذل نفسها، فعالة كجرعة جاذبية، لو كنت جريئة طيلة حياتك، لو ربيت ابنة باحترام كما عرفت، بمنزل نساء (لم يكن الأب غير قنينة رقمية، آسفة ياجوليا، لا طريقة للعثور عليه) ـ مع ذلك، تجدين نفسك واقفة ذات يوم على سجادة فارسية، مفعمة باستهجان أمومى وفساد مشاعر مجروحة تواجهين فتاة تزدريك (لايزال هذا شعورها، هه؟) لحرمانها من أب.

حين تنهى سيجارتها، ألا تود الدخول لتقول أهلا.

لكن لماذا لا تفى مارى لقليل من آداب السلوك الأصولية الإنسانية؟ ألا تنتظرين خارج شقة أحد، لا يهم إن كنت تبدين متألقة وصاخبة، ادخلى لتقولى أهلا، تغلبى على نفسك.

تقول جوليا «سأحضرها».

«طيب».

«لا، فقط تدخن بالخارج، تعرفين طبيعتها، هناك سجائر، إذن هناك شيء آخر».

«لاتسحبيها للدخول هنا، بأمانة، اذهبى، أطلقت سراحك».

«لا، أريد أن تتعارفا بشكل أفضل».

«كل منا يعرف الأخرى فعليا بصورة جيدة».

«لاتخافى، يا أمى، مارى طيبة القلب، مارى غير مؤذية أبدا، بتاتا».

«لا أخاف منها، حاشا لله».

تبرز جوليا ابتسامة عارفة مغيظة، تهز رأسها وتمضى، تنحنى كلاريسا على طاولة القهوة، تحرك المزهرية بوصة لليسار، تتعجل إخفاء الورد، خشية

شخص آخر غير مارى كرول، لو هناك آخر.

تعود جوليا مع مارى فى إفاقتها، مارى هنا إذن، مرة ثانية ـ مارى الكالحة الصارمة، مارى الصالحة، برأس حليق بدأ ظهور شعر نابت داكن فيه، تلبس بنطلونا لونه فئرانى، ثديان متهدلان (كأنها فوق الأربعين) تحت قميص أبيض مجعد دون كمين، خطوتها ثقيلة، عيناها عارفتان متشككتان، حين رأت جوليا ومارى معا، فكرت كلاريسا فى شابة صغيرة تجر بطريق عودتها كلبا ضالا، أعجف على العظم بأسنان حال لونها، مخلوق خطر أساسا وشجى يحتاج ظاهريا لبيت ملائم حيث يرشح جوعه حقا من العمق حتى ليمكنك أن تلمسه باستعراض حب أو سخاء، كلب يظل يأكل ويأكل فقط، لا يشبع أبدا، لن يدجن أبدا.

تقول كلاريسا «أهلا، مارى».

«هاى كلاريسا»، تذرع الحجرة مسرعة فتشد على يد كلاريسا، يد مارى صغيرة قوية ناعمة بدرجة مدهشة.

تسأل مارى «كيف حالك؟».

«بخير، شكرا، وأنت؟».

تهز كتفيها بلا مبالاة، كيف أكون، كما يكون أى امرىء بعالم كهذا؟ تسقط كلاريسا بسهولة تامة سؤالها المأزق، تفكر فى وردها، هل أجبر أطفال على قطفه؟ هل وصلت عائلات للحقول قبل الفجر فقضت أيامها محنية على الشجيرات، تستعيد الوجع بأصابع يدميها الشوك؟.

تقول «سنذهب للتسوق؟»، دون أن تحاول إخفاء الازدراء بصوتها.

تقول جوليا «حذاء جديد، مارى على وشك أن تسقط عن قدميها».

تقول مارى «أكره التسوق»، وهى تلمح بابتسامة معتذرة، «مجرد مضيعة للوقت».

تقول جوليا «سنشترى حذاء اليوم، نقضى فترة».

ستصبح ابنه كلاريسا، الفتاة الذكية البديعة، زوجة سعيدة، تراعى زوجها بعد يوم عمل، ستصبح صورة خمسينية، لو قمت بقليل من التعديلات الطفيفة نسبيا.

تقول مارى إلى كلاريسا «لا أستطيع الاختيار دون مساعدة، قد أواجه شرطيا بغاز مسيل للدموع، لكن لاتقتربى منى إن كنت بائعة».

تدرك كلاريسا مصدومة أن مارى متكلفة، تحاول بطريقتها فتنة الآخرين.

تقول «أوه، ليس ذلك مرعبا».

«هناك محلات لكل شىء، هراء بكل مكان، اعذرينى، بضائع وسلع، إعلانات تزعق بوجهك من كل مكان، اشتر اشتر اشتر اشتر اشتر، وحين تقترب منى واحدة شعرها مكلل وبقدر كبير من الماكياج فتقول (أى خدمة؟) لايسعنى إلا الصراخ (يا عاهرة، أنت لاتستطيعين حتى خدمة نفسك).

تقول كلاريسا «ماما، شىء خطير».

تقول جوليا «مارى، هيا نذهب».

كلاريسا تخاطب جوليا «خذى بالك منها جيدا».

تفكر مارى كرول، إنها حمقاء، أنيقة، ساحرة مكتفية بنفسها.

تصحح لنفسها، كلاريسا فوجان ليست عدوا، كلاريسا فوجان مخادعة فقط، لا أكثر أو أقل، تظن أنه باتباع القواعد قد تحصل على مايحصل عليه الرجال، ابتاعت التذكرة، ليس خطؤها، تود مارى لو تمسك بخناق كلاريسا من خناق قميصها فتصرخ عاليا، تعرفين عن حق أنهم لو قدموا للم شتات المنحرفين جنسيا، فلن يتوقفوا عند بابك، هه؟ ستكونين حقا الحمقاء.

تقول جوليا «باى، ماما».

تقول كلاريسا «لاتنسى حقيبة ظهرك».

تضحك جوليا «أوه، نعم»، وتأخذ حقيبة ظهرها من المشجب، كانت من قماش برتقالى لامع، ليست مطلقا من النوعية التى تتوقع منها أن تملكه.

ما عيب ذلك الخاتم، بالضبط؟.

حينما دار ظهر جوليا، واجهت كل من كلاريسا ومارى الأخرى، تفكر مارى، إنها حمقاء، رغم محاولتها أن تظل متلطفة، أو على الأقل هادئة، لا، إنه تلطف بخيل، أى شىء أفضل من شاذات المدرسة القديمة، فهن يلبسن بغرض النجاح، بورجوازيات حتى العظام، يعشن كزوج وزوجة، الأفضل أن تكون إستا صريحا منفتحا، الأفضل أن تكون جون يضاجع واين، عن أن تكون سيداً حسن الهندام بوظيفة محترمة.

تفكر كلاريسا: مخادعة، خدعت ابنتى، لكن لن تخدعينى، أعرف الفاتحين حين أرى واحدا منهم، أعرف كل شىء عن كيفية لفت الأنظار، ليس ذلك صعبا، لو صرخت عاليا، لمدة طويلة، فسيتجمع حشد ليرى سبب الضوضاء، طبيعة الحشود، فهى لا تبقى طويلا، إن لم تمهد لها سببا، أنت شريرة كمعظم الرجال، مجرد عدوانية، مجرد معظمة لنفسها، ستحين ساعتك وتذهبين.

تقول جوليا «سنذهب».

تقول كلاريسا «تذكرى الحفل، بالخامسة».

ترد جوليا «طبعا».

ترفع حقيبة ظهرها البرتقالية اللامعة على كتفها، فتجعل كلاريسا ومارى تعانيان لحظة بشعور مماثل، كل منهما تعبد بدرجة معينة من القوة رشاقة جوليا وثقتها الرقيقة بالنفس، أيام بلا حصر أمامها.

تقول كلاريسا «أراك».

مبتذلة، تفكر كثيرا فى الحفلات، لو تستطيع جوليا يوما أن تغفر لها..

تقول مارى «باى» وهى تذرع المكان سريعا، عقب جوليا إلى خارج الباب، لكن لماذا مارى كرول، من بين الناس جميعا؟ لماذا يجب على فتاة حصيفة مثل جوليا أن تتخذ لنفسها مساعد كاهن؟ هل لأنها ستظل شغوفة لأب؟.

تتمهل مارى لحظة خلف جوليا، لتمنى نفسها برؤية ظهر جوليا العريض المجيد، فلقتى القمر بمؤخرتها، فتغمر مارى تقريبا الرغبة مع شىء آخر، عصب أكثر خبثا وأشد إيلاما بحساسية عالية يتفرع من رغبتها، تلهمها جوليا بوطنية حسية، وكأن جوليا بلد بعيد ولدت فيه مارى ومنه قد طردت.

تنادى جوليا بمرح «تعالى» عبر كتفيها، عبر لمعة البرتقال الزائفة من حقيبة ظهرها. تقف مارى لحظة، تراقبها، تظن أنها لن ترى أبدا شيئا بهذا الجمال، تفكر، لو أحببتنى فسأفعل أى شىء، هل تفهمين؟ أى شىء.

تنادى جوليا ثانية «تعالى»، فتهرول خلفها مارى، بيأس وفى لوعة (لاتعشقها جوليا، ليس هكذا ولن يكون)، بينما تمضى لشراء حذاء جديد.

مسز وولف

ذهبت فينيسا مع الأولاد ، عائدين إلى شارلستون . نيللى بالدور السفلى تعد العشاء ، مبتهجة بغموض ، أكثر مما تكون عليه عادة – هل تقدر أمر الخروج لمهمات حمقاء ، مستمتعة بالظلم حتى ألهمت بالغناء فى المطبخ ؟ يكتب ليونارد بحجرة مكتبه ، وطير الدج المغرد راقد فوق فراشه من العشب والورد بالحديقة . تقف فرجينيا عند نافذة البهو، ترقب الظلام يهبط على ريشمون .

نهاية يوم عادى . صفحات الرواية الجديدة على حامل كتابتها فى غرفة غير مضاءة ، تعلق عليها آمالا مفرطة ، لكن فى هذه اللحظة تخشى (تظن أنها تعرف) أن تثبت نوعاً من جفاف ووهن ، خلو من مشاعر حقيقية ، نهاية ميتة . رغم ذلك ولساعات معدودة فقط ، تحس بالمطبخ مع فينيسا – رغم الرضى المفحم ونعمة الروح – أن اللقاء تبخر لدرجة أنه لم يحدث أبداً هناك فقط : رائحة لحم نيللى المسلوق (مقززة ، سيراقبها ليونارد وهى تجهد فى تناوله) ، كل ساعات المنزل على وشك أن تدق تمام نصف الساعة ، وجهها ينعكس بقوة أكبر على زجاج النافذة كمصابيح الشارع – ليمونة شاحبة على سماء زرقاء لون الحبر – تضىء ريشمون . كاف ، تقول لنفسها . تجهد للإيمان بذلك . كاف أن تكون بهذا المنزل فى نجاة من الحرب، قراءة بالليل ثم نوم ، وبعدئذ عمل من جديد صباحاً . كاف أن تلقى مصابيح الشارع ظلالها الصفراء على الشجر .

تحس بالصداع يزحف على آخر رقبتها . تتصلب . لا ، إنه ذكرى صداع ، خشيتها من الصداع ، كل منهما فعال على الأقل لدرجة الغموض

من هجوم الصداع نفسه تنتصب واقفة ، لترقب . كل شيء بخير . كل شيء بخير . حوائط الحجرة لا تهتز ؛ لا دمامات داخل الجص . هى نفسها تقف هنا ، مع زوج بالبيت، مع خدم وسجاد ووسائد ومصابيح هى نفسها .

تعرف أنها سترحل تقريباً قبل إقرار الرحيل . نزهة ، ستمضى ببساطة فى نزهة ستعود بعد نصف ساعة أو أقل . تلبس بسرعة معطفها وقبعتها وشالها . تمضى بهدوء إلى الباب الخلفى ثم تخطو للخروج، تغلقه بحرص خلفها . تفضل ألا يسألها أحد أين تذهب ، أو متى يتوقع عودتها

بالحديقة ، تل مظلل لطير الدرج المغرد على نعشه ، محمياً بالسياج . ريح صرصر تهب شرقاً ، وفرجينيا ترتجف . يبدو أنها تركت المنزل (حيث اللحم مسلوق ، حيث اللمبات مضاءة) لتدخل عالم الطائر المتوفى . تفكر أنى للرمم المدفونة حديثاً أن تلبث طيلة الليل فى قدورها راقدة تحت أكاليل الزهر، بعد تلاوة المعزين صلواتهم وعودتهم إلى القرية . بعد دوران العجلات بعيداً على طين الطريق الجاف ، بعد تناول العشاء وفرش الملاءات ؛ بعد كل ما حدث يبقى القبر، بأزهاره شامخة الرأس بخفة مع الريح . الحس بالقبور، شيء مرعب لكنه ليس كريهاً تماماً . شيء حقيقى؛ شيء كلى بل حقيقى غامر . وهو بهذا أكثر احتمالا وأنبل من اللحم والمصابيح . تنزل السلالم ، تمشى بالخارج على العشب .

لا تزال رمة الدج المغرب هناك (غريبة ، كيف لم يهتم قطط الجيران وكلابهم) ، صغيرة بالنسبة حتى لطائر ، بدون حياة مطلقا فى الظلام ، ككفاز ضائع ، حفنة موت صغيرة فارغة ، تقف عليها فرجينيا . فتصير نفاية، تطرح جمال الظهيرة بينما تطرح فرجينيا طاولة شايها بالفناجين والمعاطف ؛ يطرح النهار دفئه . سيكسح ليونارد فى الصباح الطير والعشب والورد بجاروف ، يلغيه كله . تفكر كم يحتاج كائن لمساحة يشغلها بالحياة أكثر مما لديه بالموت ، كم يحتاج الوهم لقياس بما يشتمل عليه من إيماءات وحركات وأنفاس . موتى ، نكشف أبعادنا الحقيقية ، وهى متواضعة بما يثير الدهشة . ألم تنتزع أمها فى كتمان وتستبدل بنسخة أقل حجماً صنعت من حديد حائل ؟ ألم تحس فرجينيا بمساحة فارغة

داخلها ، صغيرة لحد الدهشة ، حيث كان ينبغى على شعور قوى أن يقر محلها ؟

هاهنا العالم إذن (منزل ، سماء ، أو نجم مذبذب) وهاهنا نقيضه ، شكل معتم صغير بدائرة ورد . نفاية ، وهذا كل شيء . جمال وجلال هى الأوهام تعززها جماعة أطفال ، تؤازرها معونة أطفال .

تدور فتمضى بعيداً . يبدو هناك شيء آخر ، فى هذه اللحظة – مكان دون لحم مسلوق أو دائرة ورد . تمر من بوابة الحديقة إلى الممر ، رأساً إلى البلدة .

بينما تعبر شارع الأمراء إلى قصر ووترلو (ناحية ماذا؟) تمر بآخرين : رجل رزين بدين بحقيبة ، امرأتان لابد خادمتان عائدتان من نزهة بعد الظهر تلغوان ، سيقان بيضاء وامضة تحت معاطف رقيقة ، تألق إسورة رخيصة . تلم فرجينيا ياقة معطفها حول رقبتها ، رغم أن الوقت ليس برداً . ظلام فقط ، مع ريح . تفكر فى المضى إلى البلدة ، نعم ، لكن ماذا ستفعل هناك ؟ المحلات تكنس الآن ، استعداداً للغلق . تمر بزوجين ، رجل وامرأة أصغر منها ، يمشيان معاً متمهلين منحنيين كل على الآخر تحت لمعة الليمون الناعمة لمصباح الشارع ، يتكلمان (تسمع الرجل يقول «أخبرينى شيئاً شيئاً شيئا عن هذه العلاقة ، شيئاً شيئاً ، مجرد تعقيب معترض) ، يلبس كل من الرجل والمرأة قبعة أنيقة ، وهناك وشاح لون الخردل بأهداب فى طرفه (لمن؟) يلوح خلفهما كالعلم ، يميل كل منهما قليلا إلى الأمام ونحو بعضهما الآخر ، يعتليان التل ، ممسكين كل بقبعته من الريح ، تواقين لكن غير مستعجلين ، عائدين (وهذا أكثر احتمالا) من نهارية فى لندن ، يقول هو الآن «لهذا أريد أن أسألك» بعدها يخفض صوته – لا تميز فرجينيا الكلمات مطلقا – فتطلق المرأة صرخة جذل صغيرة ، تلمح ومضة بيضاء سريعة بإحدى أسنانها ، ويضحك الرجل ، يخب بخطوته للأمام ، يضع بثقة تامة إصبع قدم ومن ثم الحذاء البنى الآخر الملمع تماما .

تفكر فرجينيا ، إننى وحدى ، بينما يواصل الرجل والمرأة صعود التل كانت تواصل نزوله . بالطبع ليست وحيدة ليست بهيئة أى امرىء آخر

تعرفه، رغم أنها تسير الآن فى الريح على أضواء الكوادرنت ، تحس قرب الشيطان القديم (ماذا تطلق عليه ، أيضا ؟) ، تعرف أنها ستكون وحيدة لو ومتى اختار الشيطان أن يستعيد ظهوره ثانية . الشيطان صداع ، الشيطان صوت داخل الحائط ، الشيطان زعنفة تشق طريقها عبر أمواج مظلمة . الشيطان خلاصة عدم ضاحك مكبوت ، كان حياة طير الدج المغرد. الشيطان ماص الجمال كله الأمل كله من العالم ، وما سيبقى حين ينتهى الشيطان هو عالم موتى أحياء - عالم غم ، خانق تحس فرجينيا الآن بمهابة تراجيدية معينة ، فالشيطان أشياء كثيرة ، يرغى بحقيقة مميتة لا تحتمل لكنه ليس مؤسياً ولا عاطفياً تسير الآن خالية من صداعها ، خالية من الأصوات ، تستطيع مواجهة الشيطان ، لكن عليها مواصلة السير ، لا ينبغى أن تستدير .

حين تصل الكوادرنت (كان الجزار والفاكهانى يسحبان لأعلى مظلة دكانيهما) تدور إلى محطة السكة الحديد . تفكر بالذهاب إلى لندن ، ستذهب إلى لندن ببساطة ، كما فعلت نيللى بمهمتها ، رغم أن مهمة فرجينيا لغرض الرحلة نفسها ، نصف ساعة بالقطار ، نزول بمحطة بادنجتون ، قد تسير من شارع إلى آخر ، ثم آخر من بعد . يا له من مرح ! يا له من تهور ! يبدو أنها ستعيش وتزدهر لو كانت لندن حواليها ؛ لو اختفت لحظة فى ضخامتها ، هشة وبرونزية تحت سماء فارغة من التهديد ، النوافذ كلها دون ستائر (هنا صورة قبر امرأة هنالك تاج كرسى محفور) ، المرور ، رجال ونساء ماضون بخفة فى ملابس المساء ؛ روائح شمع ونفط وعطور ، يعزف شخص بيانو فى مكان (لا أحد بهذه الطرق العريضة ، فى هذه المنازل البيضاء كالأروقة) ؛ تثغو الأبواق والكلاب تنبح ، يظل يدور الكرنفال الأجش وامضاً متألقاً ؛ تدق «بج بن» الساعات فتسقط دوائر رصاصية عبر الساعين للحفلات والباصات ، عبر صخرة الملكة فيكتوريا القابعة أمام القصر بأرفف أزهار الجيرانيوم ، عبر الحدائق الغافية بوقارها المظلل خلف أسوار حديدية سوداء .

تنزل فرجينيا السلالم لمحطة السكة الحديد . محطة ريشمون مدخل

ومقصد . أعمدة وقباب مفعمة برائحة حريق واهن . مقفرة قليلاً حتى وهى مزدحمة (كما هى الآن) ، مصطفة بمقاعد خشبية صفراء لا تشجع البقاء . تتبين الساعة ، تدرك أن القطار قد ابتعد للتو ولن يرحل التالى إلا بعد خمس وعشرين دقيقة تقريباً . تتصلب . تتصور (حمقاء!) أن تخطو إلى قطار أو تنتظر على الأكثر خمس أو عشر دقائق . تقف نافذة الصبر أمام الساعة ، ثم تمشى خطوات قليلة بطيئاً على رصيف المحطة . لو فعلتها ورحلت على القطار الذى غادر الآن منذ ثلاث وعشرين دقيقة ، فذهبت إلى لندن وسارت فى لندن ، لكانت لحقت بآخر قطار عائد (كان سيوصلها عائدة إلى ريشمون بالحادية عشرة وعشر دقائق) ، سيجن ليونارد من القلق . لو اتصلت به (هناك هاتف عمومى مركب حديثاً بالمحطة فسيهتاج ، سيطلب منها العودة فوراً ؛ سيقترح (لن يقولها صراحة) أنها لو أنهكت وارتبكت ، لو مرضت ثانية ، فهى من تجلبه على نفسها . وهنا الورطة طبعاً : فهو محق تماماً ومخطىء بشناعة فى الوقت نفسه . ستكون أفضل وأكثر أماناً لو ترتاح فى ريشمون ؛ لو لم تتحدث كثيراً ، تكتب كثيراً ، تحس كثيراً ؛ لو لم تسافر متهورة إلى لندن لتسير فى شوارعها ؛ ورغم أنها تموت هكذا إلا أنها تموت بهدوء على فراش من ورد . الأفضل حقا أن تواجه زعنفة بالماء عن أن تعيش متخفية ، كأن الحرب لاتزال دائرة (غريب ، كيف للذكرى الأولى التى تهل على البال بعد ذلك كله أن تكون انتظاراً بدون نهاية فى القبو ، متاع المنزل كله مكدس مجمع ولديها حوار طويل يدوم ساعات مع نيللى ولوتى) . تقاس حياتها (تعدت الأربعين فعلياً!) بالنقصان حفنة بعد أخرى ، وعربة الكرنفال التى تحمل فينيسا - حفل مبهرج حياتها الشاسعة ، أطفال وألوان وعشاق، منزل مكدس مضىء - ذلك مر حتى الليل ، مخلفا صدى من الصنوج خلفها، بمدونات الأكورديون ، بينما تجرى العجلات مسرعة على الطريق . لا، لن تتصل من المحطة ، ستفعل هذا فور وصولها لندن ، حين لا يكون هناك شىء تفعله . ستنال عقابها

تبتاع تذكرة من رجل أحمر الوجه خلف شبك الحديد . تروح وتجلس ، منتصبة على مقعد خشبى . لا يزال هنـاك ثمانى عشرة دقيقة . تجلس على

المقعد ، تحدق أمامها (لو كان معها شيء تقرأه) حتى لم تعد تتحمل (لايزال هناك خمس عشرة دقيقة) . تقف فتسير عائدة لتخرج من المحطة . لو تمهلت إلى الزاوية على طريق كيو (١) ، ثم تمهلت بالعودة ، لوصلت بالضبط فى ميعاد قطارها

انعكاسها الذهبى يمر متشظيا على الاسم الذهبى لمحل جزارة ، هناك هياكل غنم معلقة فوق الزجاج (لا تزال خصلة صوف باهت تتشبث بعظمة الكاحل) ، وحينئذ ترى ليونارد سائراً إليها . تفكر لحظة أن تسير لتجرى عائدة إلى المحطة.

تفكر فى تفادى فاجعة . لم تفعل . تواصل السير للأمام ، نحو ليونارد الذى ظهر بوضوح متعجلاً فى خفه الجلدى ، يبدو نحيلاً بشكل مفرط – هزيلا – فى جاكته الوسيع المضلع بياقته المفتوحة . رغم أنه وراءها كحماية أو مراقبة ، جسم معترض ، فقد تأثرت بهيئته الصغيرة فى خف على طريق كيو ؛ كيف يبدو بمنتصف العمر عادياً . باختصار ، تراه كأن غريباً يراه : آخر فحسب من بين كثيرين ماضين بالشوارع . تأسى عليه ، بتأثر عجيب . فتبتسم ساخرة .

تقول «مستر وولف ، يا لها من سعادة غير متوقعة» .

يقول «هل لك أن تخبرينى عما تفعلين ، رجاء ؟» .

«أتنزه . أيبدو ذلك لغزا ؟»

«حين تتلاشين من المنزل قبل العشاء ، دون كلمة» .

«لم أكن أود مقاطعتك . أعرف أنك تعمل» .

«كنت» .

«اه ، إذن» .

«لا يجب أن تختفى . لا أحب ذلك» .

«ليونارد ، تتصرف بغرابة» .

يعبس «أنا ؟ لا أعرف ما هذا حقاً . ذهبت للبحث عنك ، ولم أجدك . فكرت أن شيئاً حدث . لا أعرف لماذا» .

---

(١) كيو : كتبت فرجينيا وولف أشهر قصصها (جنائن كيو) عن المكان. (م).

تتصوره يفتش عنها بالمنزل ، ممعناً بالحديقة . تراه مندفعاً إلى الخارج، أمام جثمان الدج المغرد ، عبر البوابة ، لأسفل التل . تأسى عليه فجأة . لابد أنها تعرف ، فتخبره أن هاجسه ليس خطأ كله ؛ فقد رحلت فى الحقيقة هرباً من أشياء، وكانت تقصد الاختباء ، وإن لساعات محدودة .

تقول «لم يحدث شيء . مجرد نزهة بالطريق . يا له من ليل» .

يقول «قلقت عليك كثيراً ، لا أعرف لماذا» .

يقفان معاً بهدوء موجز غير معتاد . ينظران بواجهة محل الجزارة ، حيث ينعكسان مهشمين بالأحرف الذهبية .

يقول ليونارد «فلنعد إلى مشويات نيللى . لدينا خمس عشرة دقيقة على الأكثر قبل أن تواصل ثورتها فتحرق المنزل بكامله».

تتردد فرجينيا . لكن لندن ! تريد باستماتة ركوب القطار .

تقول «جوعان» .

«أنا قليلاً . وأنت أيضا ، طبعا» .

تفكر فجأة ، كم يكون الرجال ضعفاء ، كيف يفعمهم الفزع . تفكر فى كوينتين، حين دخل المنزل ليغسل آثار موت الدج المغرد من يديه . تبدو عندئذ كمن تمتطى خطا غير مرئى ، قدم بجانب وأخرى بآخر . على جانب ليونارد قلقاً عابساً ، وصف محلات مغلقة ، الشروق المظلم عائد إلى منزل هوجارت، حيث ترقب نيللى نافذة الصبر بقليل من المرح ، فالشكاوى سانحة أكثر . بالجانب الآخر، القطار . بالجانب الآخر لندن ، ولندن تلمح إلى الحرية ، إلى القبلات ، إلى احتمالات الفن وبهاء الجنون الداكن الخبيث . تفكر ، مسز دلاواى وتخشاه وما تريد نوعاً أن تسير إليه فى العمق حتى لا تجد طريق عودتها أبداً من جديد .

تقول فرجينيا «حان الوقت لنقفل عائدين إلى لندن . ما رأيك؟» .

يرد «لست متأكدا من شيء» .

«سأكون أفضل بعد وهلة من الآن . فلن نسكن الضواحى إلى الأبد» .

«لنناقش ذلك على العشاء» .

«طيب» .

يسأل «أتودين كثيراً الحياة فى لندن؟» .
تقول «نعم . لو كنت هناك . لو تسعدنى الحياة الهادئة» .
«وأنا أيضا» .
تقول «هيا إذن» .
تحتفظ بالتذكرة فى حقيبتها . فلن تذكر أبداً بمعرض كلامها مع ليونارد أنها خططت للفرار ، وإن لساعات . كأنه الوحيد الذى يحتاج لرعاية وراحة - كأنه الوحيد الذى فى خطر - تشبك فرجينيا ذراعها بذراعه ، وتضغط كوعه بحنان ، يبدآن طلوع التل إلى منزل هوجارت ، ذراعاً بذراع ، كأى زوجين بمنتصف العمر يعودان لبيتهما

مسز دلاواي

يقول اوليفر الى سالى «مزيد من القهوة»؟

«شكرا»، تناول سالى فنجان قهوتها الى مساعد اوليفر، شاب بسيط مدهش، أشقر مبيض أجوف الخدين، ورغم تقديمه كمساعد إلا أنه يبدو مسئولا عن صب القهوة. توقعت سالى فحلا شابا بلا عيوب، كله فك وعضلات. لكنه ولد شغوف شديد الهزال، سيبدو منضبطا بموقعه خلف نضد العطور بمحل بيع مصنوعات .

يقول اوليفر «فيم تفكرين، إذن؟»

تراقب سالى قهوتها حين تصب، لتفادى النظر الى اوليفر. حين وضع الفنجان أمامها كانت تحدق فى ولتر هاردى غير المخادع. ولتر موهوب بشكل ملحوظ، يبدو منتبها تماما ومشدوها كليا، كسحلية زحفت الى صخرة مشمسة.

تقول سالى «مثير».

يرد اوليفر «نعم».

تومئ سالى بتعقل وهى ترشف قهوتها . تقول «أيمكن فعليا تنفيذ ذلك؟».

يرد اوليفر «أعتقد، حان الوقت. أظن الناس مستعدين»

«وأنت؟».

تنجذب سالى بصمت الى ولتر . تحدث، يا مغفل، يومئ ولتر بطرف عينه متنعما ببساطة، منتبها لإمكانية الخطر، وفى الوقت نفسه كان منوما مغناطيسيا بالحرارة المنبعثة من اوليفر سانت ايفس، الذى كان أنيقا مشعثا بالخامسة والأربعين، عيناه نفاذتان وراء نظارة متواضعة ذهبية الحافة، وقد أبقت صورته بزجاجها الشبحى محاولات لا حصر لها من رجال آخرين لقتله ، سلب ماله، تلطيخ اسمه، تدمير عائلته، ذلك الذى مارس الحب مع الربات دائما بحرارته المربكة نفسها، كأنه لا يصدق حظه .

يقول اوليفر «نعم»، برد غاضب مسموع من صوته دل على نفاد الصبر .

تقول سالى «يبدو حقا أنه مثير»، ولا تستطيع الضحك .

يقول اوليفر «ولتر يستطيع . يستطيع ولتر الانجاز رغم المصاعب . تحديدا» .

يتنبه ولتر بسماع صوته، تطرف بعينه بسرعة أكبر، يتحرك للأمام بكرسيه، دون أن تتغير الألوان، يقول «أود لو أتحطم فيه».

يبين اوليفر عن ابتسامته الشهيرة. فتندهش سالى أن اوليفر يشبه نفسه. ألا يفترض من نجوم السينما أن يكونوا قصارا عاديين معطوبى المزاج؟ ألا يدينون لنا بذلك؟ ربما كان اوليفر سانت ايفس مطابقا لنجوم السينما منذ نعومة أظفاره. فهو ساطع، مفرط الخيال (١) . ليس أقل كثيرا من ستة أقدام وأربع بوصات ، ويداه بديعتا التكوين بشعرهما الأشقر، يخفى بسهولة معظم رؤوس الآخرين. وجهه مسطح ضخم الملامح، ولو كان غير وسيم شخصيا كما على الشاشة إلا أنه يحمل كل جزئية بتفرد ملفز

---

(١) بالنص كلمة بانياتسكي، مقلد جون بانيان، صاحب الكتابات المجازية مفرطة الخيال . (م) .

غير منكر، تفرد ليس للروح فقط بل للجسم أيضا، حتى ليظهر الأمريكيين الآخرين مفتولى العضلات ضخاما جريئين كنسخة منه حديا، أفضل أو لا مبالين. اوليفر يخاطب ولتر لدى ثقة كبيرة بقواك. حطمت سيرتى بقصة واحدة قصيرة» . يحاول ولتر ابتسامته المعروفة لكنها تخرج بشعة معدومة القيمة، مفعمة بالكراهية. تتخيله سالى فجأة بوضوح فى سن العاشرة، لابد كان مفرط الوزن ودودا باستماتة ، قادرا على معايرة الموقف الاجتماعى للآخرين حتى المليمتر. لابد كان قادرا على الغدر بشتى الصور تقريبا .

يقول ولتر مبتسما «لا تهبنى ذلك. ألم أحاول التكلم معك بعيدا عنه؟ كم مرة اتصلت؟» يقول اوليفر «أوه، لا تقلق ياصديقى العزيز، سأنزع ساقك. ولن أندم على شىء، شىء واحد. مارأيك بالسيناريو؟»

يقول ولتر «لم أجرب من قبل الأفلام المثيرة» .

«سهلة. أسهل شىء بالعالم. استأجر ستة ممن يجلبون عليك المال، وستعرف كل ما تريد أن تعرفه» .

تقول سالى «قد يكون هذا الفيلم مختلفا قليلا» .

يرد اوليفر بابتسامة، صبوراً متبرما «لا . ليس مختلفا. فبطل الفيلم رجل شاذ. شىء عادى وليس بالأمر الخطير. لن يعذبه نشاطه الجنسى. لن يصاب بإيدز . مجرد رجل شاذ يؤدى وظيفته. ينقذ العالم، بطريقة أو بأخرى».

يقول ولتر «مم – هم. أعتقد أننى أستطيع ذلك . أود لو أجربه».

«جيد . ممتاز» .

ترشف سالى قهوتها ، تود الذهاب، تود البقاء، تود لو لم يعجبها اوليفر سانت ايفس . تفكر ، ألا توجد قوة أكثر فعالية بالعالم من الشهرة. ولتحفظ اتزانها كانت تنظر حواليها بالشقة التى ظهرت بغلاف اركيتكتشر

دايجست (١) منذ عام ، حين كشف اوليفر نفسه وليس محتملا ظهوره بمجلة من جديد ، وما أعلنه اوليفر طبيعة جنسية يتطابق الآن مع ذوقه. المفارقة، تفكر سالى ، أن الشقة ملغزة بطريقة مؤسسة على هياج ذكرى، طاولة قهوة ماركت لوسيت وحوائط بنية مصقولة، كوى بكشافات آسيوية وتحف افريقية (يظن اوليفر طبعا انها «مضاءة بشكل درامى») لا تقترح ، رغم استعراضها الخالص الوقور، تجربة الغنيمة. هذه المرة الثالثة التى تأتى فيها سالى هنا، وتحس كل مرة بحاجتها لمصادرة الكنوز واعادتها الى مالكيها الأصليين. تظهر انتباها الى اوليفر وهى تتخيل نفسها داخله فى قرية جبلية بعيدة وسط تهليل وعويل، تحمل قناع ظبى مسودا بالقدم أو وعاء صينيا أخضر شاحبا قليل التأنق فيه سمكتا شبوط ملونتان تسبحان منذ عشرة قرون .

يقول اوليفر «ألست متأكدة ياسالى؟» .

«هم؟»

«غير مقتنعة».

«أوه مقتنعة، غير مقتنعة، أنا بعيدة عن أعماقى هنا . ماذا أعرف عن هوليود؟»

«أنت أرق من معظم الشخصيات هناك. من القلائل المتصلين بعمل أحترمه» .

«لست (متصلة بعمل) ، لا أبدا ، تعرف ما أفعل» .

«غير مقتنعة» .

تقول «آه ، لا . غير . لكن من يهتم حقا؟»

---

(١) اركتيكتشر دايجست: مجلة ديكور معروفة . (م) .

يتنهد اوليفر فيدفع نظارته لأعلى فوق أنفه، لمحة تذكر سالى أكيدا بأحد الأفلام، بما يخص أحدا معتدل المزاج (محاسبا؟ محاميا؟ أيكون مخرجا تليفزيونيا؟) عليه بالنهاية أن يقضى بوحشية على جيش صغير من متاجرى المخدرات لإنقاذ ابنته المراهقة . يقول اوليفر ببطء «أعترف بضرورة فعل ذلك على وجه صحيح. ليس عندى أوهام تؤكد ذلك» .

«لديه حبيبة؟» .

«رفيقة . صديقة حميمة . نوع يشبه باتمان وروبن هود» .

«يمارسان الجنس؟»

«لا يمارس الجنس بفيلم إثارة. فهذا يبطئ الأحداث كثيرا . تخسرين الأولاد. لكن غالبا هناك قبلة النهاية» .

«يتبادلان قبلة النهاية، اذن؟»

«بشقة ولتر» .

«ولتر؟»

ترف عينا ولتر بعودته الى الأحداث. يقول «هاى. من ثلاث دقائق فقط صرحت برغبتى فى فعل هذا . لا تتخيلينى هكذا ، هوه؟»

يقول اوليفر «لم نحسب حساب هذا. رأيت كثيرين يجلسون لكتابة عمل ناجح، ودائما ينفجرون .شىء يجلب النحس» .

تقول سالى «تعتقد أن يهتم به الناس؟ أعنى، بقدر كاف؟» .

يتنهد اوليفر من جديد، تنهد مختلف بوضوح النغمة عن سابقه، تنهد نهائى مروض، بسجل حاد تنقصه الدراما. كالتنهد الأول النزيه من عاشق يرسله باسلاك التليفون ، تنهد يشير لبداية مبكرة للنهاية. هل استخدم اوليفر تنهدا كهذا فى فيلم؟ أم تنهد شخص آخر، شخص حقيقى، كذلك الذى فح فى أذن سالى منذ وقت طويل؟ يقول اوليفر «طيب». يضع يديه على

مفرش المائدة وراحتاه لأسفل. ولتر، لماذا لا نتكلم أنا وأنت يومين، بعدها تسنح الفرصة لتسوية الموضوع نهائيا».

يقول ولتر «بالتأكيد . جيد» .

تأخذ سالى رشفة أخيرة من قهوتها . لعبة رجل بالطبع . تجسيد لوهم رجل. لا يحتاجونها بالبداية أبدا، لا عن حق . بعد أن ظهر اوليفر فى استعراضها جاءته الفكرة (لنواجه ذلك، فلم يكن اينشتاين) ان سالى ملهمته ومعلمته، كأنها سافو (١) تتحدث بحكمة كئيبة من جزيرتها . من الأفضل التوقف عند ذلك الآن .

لا تزال لديها رغبة فظيعة أن تكون معشوقة اوليفر سانت ايفس . لديها هذا الرعب من الهجر بعدها .

يقول اوليفر «شكرا على مجيئك» ، فيشجع سالى على الانسحاب – تميل نحو اوليفر عبر المائدة، عبر حطام الغداء ، تقول : توقعت ذلك، اظن فيلم اثارة ببطل شاذ سيكون جيدا حقا .

وداعا ، إذن . حان وقت العودة للشوارع .

تقف سالى مع ولتر بزاوية الماديسون والسبعين. لم يتحدثا عن اوليفر سانت ايفس. تفهما بشكل مختلف ان ولتر نجح وسالى أخفقت ، أو أن سالى نجحت وولتر أخفق . فيجدان أشياء أخرى يتكلمان عنها

يقول ولتر «أظن سأراك الليلة» .

ترد سالى «مم – هم » . من دعا ولتر؟».

يسأل ولتر «كيف حال ريتشارد» . يحنى رأسه محرجا بتوقير، يشير

---

(١) سافو (٦١٠ – ٥٨٠ ق . م) شاعرة يونانية، اشتهرت بإباحية قصائدها . (م) .

بطرف كابه نحو أعقاب السجائر ودوائر رمادية من اللبان المضوغ، ولا تلحظ سالى الغلاف المحشو من كوارتر بوندر. لم يكن عندها أبدا كوارتر بوندر .

يتغير الضوء . فيتلاقيان .

تقول سالى «آه . مريض جدا » .

يقول ولتر « «فى هذه الأوقات. يا إلهى، هذه الأوقات» .

سالى مأخوذة من جديد بموجة سخط ترتفع من تحت بطنها فتجرف رؤيتها بحرارة . إنها خيلاء ولتر التى لا تحتمل. فمن المعروف عنه أنه بينما يقول أشياء صحيحة محترمة - حتى وهو يحس بأشياء صحيحة محترمة - يفكر أيضا ، من الرائع أن ولتر هاردى الروائى شبه المشهور، صديق نجوم السينما والشعراء ، لا يزال عفيا معضلا بعد سن الأربعين. فسيكون كوميديا أكثر لو كان تأثيره أقل بالعالم .

تقول سالى على الزاوية البعيدة «آه» ، لكن قبل اتخاذها وضعية الرحيل يذرع ولتر المكان الى واجهة محل ويركز وجهه بعيدا عن الزجاج عدة بوصات .

يقول «انظرى. كم هى جميلة» .

بالواجهة ثلاثة قمصان حريرية، كل منها معروض على مستنسخ بلاستيكى من تمثال يونانى كلاسيكى. أحد القمصان مشمشى شاحب، الآخر زمردى، الثالث أزرق ملوكى غامض. كل منها مزين بشكل مختلف على الياقة ولأسفل صدر القميص بالفضى الناعم كخيوط عنكبوت. الثلاثة معلقة بانسياب، قزحية اللون، على جذوع التماثيل الهزيلة، ومن كل ياقة يبرز رأس أبيض ساكن بشفتين كاملتين وأنف مستقيم وعينين بيضاوين مجوفتين.

تقول سالى «مم. نعم . جميلة» .

سأشترى واحدا لـ إيفان. قد يستخدمه اليوم . هيا» .

تتردد سالى ثم تتبع الى المحل دون عزم، محملة بعجز موجة ندم غير متوقعة. نعم ولتر مضحك، لكن مع ترفع سالى تحس برقة شديدة وحتمية على هذا البائس، الذى قضى سنينه الماضية يتوقع رفيقا جميلا أبله، تذكارا لصيده، فيموت الآن فجأة، من توقع (هل مشاعره مختلطة؟) بقاء رفيقه. تفكر سالى، إن الموت والبعث فاتنان دائما، ولا يهم كثيرا ان كانا سيورطان البطل، الوغد، أو المهرج .

المحل من خشب القيقب المطلى والبرانيت الأسود. صنع هكذا ليصدر رائحة واهنة من الأوكالبتوس (١) . والقمصان بأعلى نضد أسود مموه.

يقول ولتر بينما يدخلان «أظن الأزرق. الأزرق لون جيد لـ إيفان» .

سالى تدع ولتر يتحدث مع الموظف الشاب الوسيم بشعر أملس للوراء. يتجول متأملا القمصان، يفحص عروة قميص كريمى اللون بأزرار عرق اللؤلؤ. ثمنه أربعمائة دولار . يتعجب، شىء مثير للشجن أو بطولة أن تشترى قميصا جديدا غالى الثمن هكذا، غامضا خرافيا لحبيب مستعاد مؤقتا. يستوى هذا على كليهما؟ لم تطور سالى نفسها حيل شراء الهدايا لـ كرلايسا. بعد هذه السنين، لا تتأكد ماإذا كانت ستحبه كلاريسا. مرت حالات نجاح - وشاح كشميرى لون الشوكولاته بالكريسماس السابق، صندوق قديم لامع تحفظ فيه رسائلها - مقابل كثير من حالات الفشل . هناك ساعة مكلفة من محلات تيفانى (رسمية جدا ، كما يبدو)، سويتر أصفر (فى اللون أم الرقبة؟) ، حقيبة يد جلدية سوداء (مجرد خطأ،

---

(١) الأوكالبتوس : شجر برائحة طيبة تستخدم ازهاره طبيا. (م) .

مستحيل أن نقول لماذا) . تأبى كلاريسا الاعتراف حين لا تسرها الهدية، رغم تحذيرات سالى. فكل هدية بوجهة نظر كلاريسا كاملة، ما كانت تأمله بالضبط، وما على الراهب تعس الحظ الا أن ينتظر ليرى ان كانت الساعة تعتبر «صالحة لأى أحد»، أو أن السويتر سيلبس مرة أمام جمع غامض ولن يعود للظهور ثانية. يهل على سالى غضب من كلاريسا وولتر هاردى واوليفر سانت ايفس، من كل حى خائن متفائل، لكنها تحدق الآن فى ولتر أثناء عملية شراء قميص أزرق براق لرفيقه، ممتلئا بدلا من ذلك بالشوق. وكلاريسا قد تكون بالبيت الآن .

تريد سالى فجأة الوصول بسرعة للبيت ، تقول الى ولتر «علىّ أن أذهب، فقد تأخر الوقت عما أظن».

يقول ولتر «لن أستمر طويلا» .

«سأمضى. أراك لاحقا» .

«يعجبك القميص؟» .

تتحسس سالى نسيجه، كان لينا محببا بشكل دقيق للغاية، حسيا بغموض، تقول «يعجبنى . قميص رائع» .

يبتسم البائع خجلا بامتنان، كأنه شخصيا المسئول عن جمال القميص. غير متحفظ ولا متعطف، كما يتوقع من ولد وسيم يعمل بمحل كهذا . من أين يأتون بهؤلا . الجميلين الخالين من العيوب للعمل كموظفى بيع؟ وبماذا يأملون؟

يقول ولتر «آه . قميص عظيم، أليس كذلك؟»

«وداعا» .

«هاى . أراك لاحقا » .

تخرج سالى من المحل مسرعة قدر المستطاع، تسير نحو مترو الأنفاق بشارع ثمانية وستين، تود لو تعود للبيت بهدية الى كلاريسا، لكنها لا تتصور طبيعتها ، تود لو تخبر كلاريسا شيئا، شيئا مهما، لكن لا تستطيع التعبير عنه . «أحبك» كافية . أصبحت «أحبك» عادية تقريبا، لا تقال بالمناسبات السنوية وأعياد الميلاد فقط بل فى الفراش تلقائيا أو بحوض المطبخ أو حتى بسيارات التاكسى على مسمع من سائقين غرباء يظنون وجوب أن تسير النساء ثلاث خطوات خلف أزواجهن. لم تكن سالى أو كلاريسا بخيلة المشاعر ، وذلك جيد بالطبع، لكن سالى تريد الذهاب الآن للبيت لتحكى شيئا أكثر، شيئا أبعد من مجرد الحلو والمريح بل أبعد من العاطفة نفسها. قد يجدى ما تريد قوله مع من مات، قد يجدى مع مشاعرها الخاصة عن فأل حسن هائل ووشيك، لو حدث مكروه لـ كلاريسا فستواصل سالى الحياة لكنها لن تكون بالضبط، لن تكون على ما يرام . ما تريد قوله لن تفعله بابتهاج بل بخوف نافذ نصفه الآخر يداوم البهجة، قد تتحمل فكرة موتها هى لكن لا تستطيع تحمل فكرة موت كلاريسا. هذا الحب بينهما، بألفته المتجددة وسكناته البسيطة ودوامه، يخضع سالى لآلية الأخلاق نفسها . هناك خسارة ما وراء التصور . هناك رابط ستتبعه من هذه اللحظة وهى تسير نحو مترو الأنفاق بالجانب الشرقى الأعلى، فى الغد واليوم التالى ومايليه ، طيلة الطريق حتى نهاية حياتها ونهاية حياة كلاريسا.

تركب مترو الانفاق الى وسط المدينة، تقف عند حامل الأزهار بالمعرض الكورى عند الزاوية، نظام معتاد، قرنفل وأقحوان، يضع زنابق كالحة، فريز، أزهار ربيع، باقات من خزامى الصوبات البلاستيكية بالأبيض والأصفر

والأحمر، بتويجات جلدية متينة لدى الأطراف، تفكر . إن أزهار الزومبى النابتة حديثا مجبرة على الظهور كأرجل دجاج لا تلامس الأرض، من البيضة الى المذبحة. تقف سالى عابسة أمام الأزهار بمنصاتها الخشبية المدرجة، ترى نفسها والأزهار منعكسة على رقائق المرايا خلف الثلاثة (كانت رمادية الشعر حادة الوجه شاحبة (كيف وصلت لهذا العمر المتقدم؟) عليها التعرض لمزيد من الشمس حقاً)، تفكر أنها لا تريد شيئا من العالم لنفسها أو كلاريسا ، لا قمصان بأربعمائة دولار ولا هذه الأزهار البائسة، لا شيء. وكانت على وشك أن تغادر خالية الوفاض حين رأت باقة ورد صفراء فى دلو مطاط بنى عند الركن. على وشك التفتح. تويجاتها بالقاع مخضبة بأصفر داكن، برتقالى تقريبا، مودة لون المانجو المنتشر لأعلى ناشرا نفسه بعروق شعرية. تشبه أزهاراً حقيقية بشكل مقنع، نبتت من الأرض بالحدائق، كأنها أخذت للثلاجة خطأ. تبتاعها سالى بسرعة مختلسة تقريبا، كأنها تخشى أن تدرك المرأة الكورية التى تنقل الحامل الآن أن هناك خلطا فتخبرها مغيظة أن هذا الورد ليس للبيع. تسير بالشارع العاشر والورد بيدها شاعرة ببهجة، وحين تدخل الحجرة تنفعل بشكل طفيف. كم زمن مر على ممارستهما الجنس؟

تنادى «هاى . أنت بالبيت؟».

ترد كلاريسا «أنا هنا»، ويبين من صوت سالى شيء خطأ. هل لأنها على وشك أن تمضى لأحد المكامن الصغيرة التى تفلفل حياتهما معا؟ هل تخطو مع باقتها ورغبتها الوليدة الى مشهد نكد أليف، فقد صار العالم رماديا كئيبا حد المرض حين كشفت من جديد عن أنانيتها وخلفت شيئاً غير منته

فشلت فى تنظيف شئ، نسيت مكالمة مهمة ؟ فتشحب بهجتها؛ تتبخر لذتها. تمضى إلى حجرة المعيشة بالورد.

«ما الحكاية؟» تبلغ كلاريسا التى على الكنبة، تجلس هناك فحسب كأنها بحجرة انتظار طبيب تنظر إلى سالى بتغيير معين، مربك أكثر من كونه ممتحناً، كأنها لا تعرف من هى، فتقرأ سالى باختصار إعلاناً عن تدهور قادم. لو عاشت كلتاهما ردحا طويلا من الزمن، لو ظلتا معا (وأنى لهما بعد هذا كله أن تستطيعا فراقا؟) ، فسترى كل منهما الأخرى وهى تذبل.

تقول «لا شىء» .

«أنت على مايرام؟» .

«هم»؟ أوه، نعم. لا أعرف. لويس فى البلد. سيعود» .

«سيوثق الرباط أخيرا» .

«وقف قريبا، ورن الجرس. تكلما قليلا ، وبدأ يبكى» .

«حقا؟»

«نعم . كأنه فى لا مكان، أكثر أو أقل. وجاءت جوليا ، ففر» .

«لويس . ماذا تقولين؟»

«بدأ مع ولد جديد. طالب» .

«صحيح . آه» .

«ثم ظهرت جوليا بعدها مع مارى»

«يا الهى . السيرك كله أصبح هنا» .

«أوه . سالى . أحضرت وردا» .

«ماذا؟ آه . نعم».

تنمق سالى الورد، فتلحظ فى الوقت نفسه المزهرية مليئة بورد وضعته كلاريسا على المائدة. تبتسم كلتاهما .

تقول سالى «هذا شبيه بلحظات أو . هنرى (١) ، أليس كذلك؟»

تقول كلاريسا «غير عادى أن يكون لدينا ورد كثير» .

تسلمها سالى أزهارها فتبدو كلتاهما لوهلة سعيدة ببساطة. حاضرتان الآن، ناجحتان الى حد عبر دورة ثمانى عشرة سنة، فى دوام حب بين واحدة وأخرى. كاف. فى هذه اللحظة ، كاف .

---

(١) أو . هنري : قاص أمريكي، صور أهالي نيويورك بحياتهم العادية. (م)

مسز براون

تأخرت عما كانت تنوى لكن ليس لدرجة خطيرة، ولا لدرجة تحتاج معها لتفسير . السادسة تقريبا. راحت إلى نصف الطريق بالكتاب .. تسوق إلى منزل مسز لاتش، مفعمة بما قرأته: كلاريسا وسبتيموس المجنونة، الأزهار، الحفل . صور تنجرف فى بالها: جثة بالسيارة، طائرة برسالتها . تشغل لورا منطقة غسقية الأشياء، عالم مؤلف من لندن العشرينيات، حجرة فندق فيروزية، وهذه السيارة، تسوق بهذا الشارع المألوف . هى نفسها وليس نفسها. امرأة فى لندن، أرستقراطية، شاحبة فاتنة، زائفة قليلاً؛ هى فرجينيا وولف؛ وهى الأخرى البدائية، شىء بهلوانى معروف كذاتها، امرأة تسوق، شريط حوام بحياة صافية كدرب اللبانة، صديقة كيتى (التى قبلته، وقد تموت)، يدان بأظافر مطلية لون المرجان (أحدها مقشر) ورباط الزوجية الماسى، تقبض على مقود الشيفورليه كأنها بلايموث الزرقاء شاحبة بأنوار كابحة أمامها، كما يغتصب صيف آخر النهار أعماقها الذهبية، كما يندفع سنجاب عبر سلك هاتف، ذيله علامة استفهام، رمادية شاحبة.

توقفت أمام منزل مسز لاتش، حيث سنجابان مدهونان بالجص متصلان

بالجملون(١) فوق الجراج. تخرج من سيارتها تتوقف لحظة، تتطلع إلى السنجابين الجصيين ممسكة بمفاتيح سيارتها. جنبها، تصدر السيارة تكتكة معينة (صوت يصدر منذ أيام ، ستأخذها لورشة الميكانيكى). يغمرها إحساس بعدم الكينونة. لاتوجد كلمة أخرى معبرة . تقف جنب سيارتها المتكتكة، إزاء جراج مسز لاتش (يرمى السنجابان الجصيان ظلالاً طويلة)، كأنها لا أحد؛ لاشىء. يبدو أنها بالذهاب إلى الفندق قد انسلت من حياتها باختصار، فهذا الطريق وهذا الجراج غريبان عليها . كانت مغيبة. تفكر بعاطفة مشتاقة فى الموت.. سيأتى إليها هنا، بطريق مسز لاتش - تفكر مشتاقة فى الموت . فقد ذهبت إلى فندق سراً ، بالطريقة التى تذهب بها للقاة حبيب. تقف ممسكة بمفاتيح سيارتها ومحفظتها، تحدق بجراج مسز لاتش . الباب مطلى بالأبيض، شباكة بمصراعين أخضرين قليلاً ، كأن الجراج منزل منمنم متصل بمنزل كبير. تنفس لورا فجأة بصعوبة . محيرة طفيفاً - تبدو متعثرة ومنهارة بطريق مسز لاتش الناعم الإسمنتى . تفكر بالعودة إلى سيارتها، لتسوقها مبتعدة من جديد. تجبر نفسها على التقدم للأمام . تذكر نفسها : عليها أن تسترد طفلها، تأخذه لتعود ، فتنهى احتشادها لعشاء عيد ميلاد زوجها. يجب أن تفعل هذه الأشياء العادية.

تسحب نفسا جاهدة وهى تصعد الطريق إلى المدخل الأمامى الضيق بمنزل مسز لاتش. مشهد طبيعى، كما تقول لنفسها؛ وما فعلته غريب رغم أنه ليس فيه أذى حقيقي، صحيح؟ لن تلاقى حبيباً، كزوجة من رومانسية رخيصة. خرجت ببساطة منذ ساعات، قرأت كتابها ثم عادت. سر فقط لأنها لم تفكر بالضبط كيف تفسره ، آه - القبلة ، الكعكة ، ذعرها لحظة اعتلاء

---

(١) الجملون: جزء أعلى مثلث الشكل من جدار متصل بسطحين منحدرين (م).

سيارتها الشافيز رافين . لاتعرف قطعا كيف تفسر غياب ساعتين ونصف قضتها تقرأ فى غرفة مؤجرة.

تسحب نفسا آخر . ترن جرس باب مسز لاتش المستطيل المضاء، كان براقا برتقاليا بشمس آخر النهار.

تفتح مسز لاتش الباب تقريبا على الفور، كأنها هناك تنتظر . مسز لاتش تلبس شورتاً وسيعاً مزدهرا بردفين هائلين، طيبة أكثر مما ينبغى ، منزلها ملىء برائحة بنية ثرية، كاللحم المشو« الذى ينبعث خلفها حين تفتح الباب .

تقول «آه، أهلا» .

ترد لورا «هاى . آسفة، تأخرت».

«لاأبداً . قضينا وقتا ممتعاً . تعالى ادخلى».

يندفع ريتشى من حجرة المعيشة . يجرى مجفلاً مذعوراً، لكن بحب وارتياح يغمرانه . يحس لورا أمسكت عنه ومسز لاتش أمسكت به لغرض؛ يحس بكل منهما وقد كفت عما تفعل وخبأت مسرعة نوعاً من الدليل . بل لديها اليوم وعى بالذنب؛ فتفكر بالضبط فيما يحيره. لقد قضى ساعاته القليلة الماضية فى عالم آخر تماماً. لبث بمنزل مسز لاتش ساعات قليلة ، بدأ يفقد مصير حياته . بدأ يظن غير سعيد، أنه سيعيش هنا ، قد يعيش هنا للأبد، وسط هذا الأثاث الأصفر الضخم وهذه الجدران المغطاة بستر خضراء.

ينفجر ريتشى فى الدموع وهو يجرى نحوها.

تقول لورا «أوه، الآن» ، وتلقطه لأعلى . تستنشق رائحته، منه عطر عميق، نظافة صعبة الفهم غير مبررة . تحضنه، تستنشقه ، فتحس أنها أحسن

تقول مسز لاتش «سعيد برؤيتك» فى ترحاب حار لاذع مبذول من القلب .

هل تخيلتها تفضل استضافته بمنزل العجائب هذا؟ ربما . أم استاءت منه لكونه ابن ماما؟ ربما . تقول لورا «حبيبى ، ها هنا» ، وهى تقرب من أذن ابنها القرنفلية الصغيرة. فخورة بعالم أمومتها، بحقها على الولد . فى حرج من دموعه . هل يظن الناس أنها تفرط فى رعايته ؟ لماذا يفعل هذا غالبا؟

تسأل مسز لاتش «انقضت أمورك على خير؟»

«نعم. . أكثر أو أقل . شكراً جزيلاً لرعايتك».

تغضب من القلب «أوه، قضينا وقتا ممتعاً معاً. أحضريه أى وقت».

تسأله لورا «استمتعت؟».

يرد ريتشى «أو هوه»، وهو يغالب دموعه . فى وجهه لوعة محدودة من الأمل والأسى والحيرة.

«على ما يرام؟».

يومىء .

«افتقدتنى؟»

يقول «نعم!»

ترد لورا «آه، لدينا أشياء كثيرة. سنقيم لوالدك الليلة عيد ميلاد بديعاً ، هه؟»

يومىء يواصل التحديق فيها بشك دامع مقهور، كأنها ليست أمه على الإطلاق.

لورا تمهر مسز لاتش ، ثم تقبل طائر الجنة من حديقتها. تعرض مسز لاتش عليها دائماً شيئاً - زهرة ، كعكاً - كأن ذلك موضع الدفع، وهى جليسة أطفال مجاناً. تعتذر لورا من جديد عن تأخرها ، تتوه بوصول زوجها الوشيك، تقطع سريعاً حواراً عابراً دام خمس عشرة دقيقة، تضع ريتشى بالسيارة وتنطلق مسرعة أخيراً بحركة مبالغ فيها طفيفاً . تطقطق أساورها

العاجية الثلاثة معا.

بمجرد الابتعاد عن مسز لاتش ، تقول لورا إلى ريتشى «ولدى أوه ولدى، نحن فى ورطة الآن . علينا الإسراع للبيت لبدء إعداد العشاء . ينبغى أن نكون هناك منذ ساعة».

يومىء رزيناً . ثقل وطابع الحياة يؤكد نفسه؛ بينما يتلاشى الإحساس بعدمية المكان لحظة كالحاجز الآن وسط الطريق ، حين تقترب السيارة من علامة وقوف على غير توقع، لحظة واسعة ساكنة رائقة- تدلف فيها لورا بطريقة دخولها كنيسة فى شارع مزدحم. على الجانب الآخر، يلقى الرشاش مخروطاً لامعاً من الضباب فوق العشب. الشمس متأخرة تموه سقيفة السيارة الألومنيوم . كانت حقيقة بدرجة تجل عن الوصف . تعرف نفسها كزوجة وأم حامل ثانية، تسوق إلى المنزل، كمن يقذف بأستار من الماء فى الهواء لأعلى.

ريتشى صامت . يراقبها تفرمل لورا عند علامة وقوف. تقول «حسن أن بابا يعمل لوقت متأخر . سنجهز كل شىء معا فى ميعاده، ألا تعتقد؟»

تتطلع فيه . تصادف عينيه ، ترى شيئاً لا تستطيع تبينه . يبدو مضاء من الداخل فى عينيه وكامل وجه، يبدو للمرة الأولى كمن يعانى انفعالا لاتستطيع قراءته.

تقول «حبيبى ، ما لك؟»

يقول بصوت أعلى من الضرورى «مامى ، أحبك».

شىء غريب بصوته ، شىء مرتجف . نبرة لم تسمعها منه أبداً . يبدو عصبياً غريباً . كهيئة لاجىء بإنجليزية بدائية، يحاول مستميتاً الإفصاح عن حاجة لم يتعلم أبداً عبارتها السليمة.

ترد «أحبك أيضاً ، حبيبى» ، ورغم أنها قالت هذه الكلمات آلاف المرات،

إلا أنها استطاعت تلمس العصبية المبطنة بحلقها، الجهد الذى بذلته لتصدر طبيعية . تسرع بنقطة التقاطع. تسوق حريصة بكلتى يديها فى دقة بتركيز على مقود السيارة.

سيبكى الولد من جديد ، كما يفعل غالباً بصورة غير مفهومة، لكن تظل عيناه براقتين جافتين ، لاتطرفان.

تسأل «ما لك؟»

يواصل التحديق فيها . لاتطرف عيناه.

يعرف . يعرف بالتأكيد . قد يظن الولد أنها كانت فى مكان محظور؛ يظن أنها تكذب. يراقبها بانتظام ، ينفق تقريبا كل ساعة يقظة بحضورها. يراها مع كيتى . يراها تخبز كعكة ثانية وتطمر الأولى تحت نفاية أخرى بصفيحة القمامة. يخلص كليا فى ملاحظته وحل شفرتها، فبدونها لاوجود لأى عالم على الإطلاق.

يعلم بالطبع متى تكذب.

تقول «لاتقلق ، حبيبى . كل شىء بخير . سنقيم حفلاً رائعا لعيد ميلاد بابا الليلة . هل تعرف كم سيسعده هذا؟ أحضرنا له كل هذه الهدايا وخبزنا هذه الكعكة اللطيفة».

يومىء ريتشى، لاتطرف عيناه يهزهز بنعومة للوراء والأمام يمنى نفسه هادئاً باستراق السمع لا السمع ، يقول «آه، خبزنا هذه الكعكة اللطيفة». هناك فراغ مدروس بدهشة فى صوته.

سيراقبها للأبد . سيعرف دائماً الخطأ حين يحدث . سيعرف بدقة متى وكيف فشلت. تقول «أحبك يا قلبى . أنت رجلى الآن» لوهلة يتغير شكل الولد. يضىء بياض كالموتى .لاتغضب لورا . تتذكر أن تبتسم ، وهى تحفظ يديها على المقود.

مسز دلاواى

جاءت لتساعد ريتشارد فى الاستعداد للحفل، لكن ريتشارد لم يستجب لقرعها. تقرع ثانية بشدة أكبر ، ثم تفتح قفل الباب بعصبية مسرعة.

الشقة مليئة بالنور . تلهث كلاريسا عند العتبة تقريباً . الظلال ناهضة، والنوافذ مفتوحة. رغم أن الهواء ملىء بنور نهار عادى يدخل أي شقة فى ظهيرة مشمشة، لكن حجرات ريتشارد تبدو كانفجار صامت. هاهنا صناديقه الكرتون ، حوض استحمامه (قذر أكثر مما ينبغى) ، المرآة مغبرة وسخان القهوة يغلى، كلها مكشوفة بشفقة حقيقية، فى صغرها العادى. إنها ببساطة، شقة مخبول.

تنادى كلاريسا «ريتشارد!»

«مسز دلاواى . أوه ، دلاواى ، أنت هنا».

تندفع للحجرة الأخرى فتجد ريتشارد لايزال فى روبه ممتطياً عتبة النافذة المفتوحة، مباعداً بين رجليه، رجل هزيلة داخل الشقة وأخرى مرئية مدلاة للخارج فوق خمسة أدوار.

تقول بحزم «ريتشارد، انزل من هناك» .

يقول «الجو جميل بالخارج . ياله من يوم».

يبدو مخبولاً وقوى الخيال، كل منهما قديم وطفولى، فهو منفرج الساقين

على عتبة النافذة كفارس خيال المآتة ، تمثال حديقة نحته جياكوميتى (١) . شعره لاصق بفروة رأسه فى أماكن، وناتىء بزوايا حادة غير مستوية فى أخرى . رجله الداخلة عارية لمنتصف الفخذ، بيضاء مزرقة، هيكل عظمى بقبضة صغيرة صلبة كعضلة عجل لا تزال متشبثة بالعظمة فى عناد.

تقول كلاريسا «أترعبنى، أريدك أن تكف عن هذا وتدخل. الآن».

تتحرك نحوه فيرفع رجله الداخلة على عتبة النافذة. هناك كعب تلك القدم، يد واحدة، وعجز واحد عديم اللحم متصل بالخشب البالى . على روبه أشكال صواريخ حمراء الزعانف تنفث أكواز صنوبر برتقالية كاملة من النار. رواد فضاء يعتمرون خوذاً ، بيض ممتلئون كبشر ملوكيين، عديمو الأوجه خلف مقدم خوذهم الداكنة، يقدمون تحيات يابسة بقفازاتهم البيضاء.

يقول ريتشارد «تناولت زينكس وريتالين. مفعولهما رائع معاً . أحسه رائعا . ففتحت الستائر كلها، لكنى أحتاج المزيد من الهواء والنور . قضيت وقتا عصيباً للوصول إلى هنا، لايهم أن أخبرك كيف».

«رجاء يا عزيزى ، أعد رجلك على الأرض . هل تفعل ، من أجلى؟»

يقول «لا أظن أننى مؤهل للحفل . آسف».

«لست مضطراً . لايجب أن تفعل ما لاتريد أن تفعله»

«يا له من يوم . يا له يوم جميل جميل».

تسحب كلاريسا نفسا فآخر . هادئة بشكل مدهش - تحس أنها تتصرف جيداً بموقف عصيب كهذا - لكنها تنخلع عن نفسها فى الوقت نفسه من الحجرة، كمن يشهد شيئاً حدث فعلياً . كأنه ذكرى . شىء داخلها، شىء كصوت لكنه ليس صوتاً معرفة داخلية لكن غير مميزة من

---

(١) ألبرتوجياكوميتى (١٩٠١/ ١٩٦٦) : نحات سويسرى ارتبط بالحركة السوريالية. (م).

ضخ قلبها ، تقول مرة وجدت ريتشارد جالساً على إفريز نافذة الدور الخامس فوق الأرضى.

تقول «انزل من هناك . أرجوك».

يعتم وجه ريتشارد متقلصاً، كأن كلاريسا تطرح عليه سؤالاً عصيا . كرسيه فارغ، معرض كليا لنور النهار- بسقط متاع يتسرب من بين شقوقه، فوطة صفراء رقيقة على المقعد مزينة بدوائر باهتة من الاستعمال- إنها حماقة، تحركه أساسا نتيجة مرض أخلاقى من تلقاء نفسه.

تقول كلاريسا «انزل من هناك» . بصوت عال بطىء ، كأنها مع غريب.

يومىء ريتشارد، لكن لايتحرك . رأسه منهوب، يصدمه نور النهار بكامله، على هيئة جغرافيا. لحمه أخاديد ومنقر ، مثل غدير صغير ، كحجر بصحراء.

يقول «لا أعرف إن كان بمقدورى المواجهة. أنت تعرفين . حفل ومراسم ، ساعة بعد ذلك وساعة بعد ذلك».

«لست مضطراً على الحفل . لست مضطراً على المراسم. لست مضطرا على شىء.».

«لكن الساعات لاتزال هناك ، هه ؟ واحدة بعد أخرى ، وعليك قضاء هذه الواحدة بعد الأخرى، يا إلهى وبعدها أخرى . أنا عليل جدا».

«لايزلا أمامك أيام طيبة . تعرف ماذا تفعل».

«ليس بالضبط مثلك يقول هذا، لكني أحس منذ زمان وحتى اللحظة كأن فكى زهرة عملاقة يحكمان على. أليس هذا نوعا من القياس التمثيلى؟ أحس

به هكذا . نوع من حتمية نباتية . فكرى بمصيدة حشرات الزهرة . فكرى فى بقلة الكوتسو(١) التى قد تخنق غابة . كأنها عملية ازدهار خضراء مثمرة. تعرفين أن الموضوع وشيك، آه. صمت أخضر . أليس مضحكاً أنه يصعب علينا حتى الآن قول كلمة موت؟»

«هل جاءت الآن، يا ريتشارد؟»

«من ؟ آه الأصوات ؟ الأصوات دوماً هنا».

«أعني ، هل تسمعها بجلاء ؟»

«لا . أسمعك. رائع أن أسمعك دائماً ، مسز د. أيضايقك أننى لا أزال أدعوك هكذا؟»

«لا أبداً . تعال ادخل . الآن».

«أتذكرينها؟ ذاتك المحورة؟ على أى نحو صرتها؟»

«هى . أنا هى . أريدك أن تدخل . أتدخل، أرجوك؟»

«جميل أننى هنا . أحس أن الجو حر جداً . ستدعين أمى؟ فهى وحيدة، كما تعرفين».

«ريتشارد–»

«احكى لى حكاية؟»

«حكاية ماذا؟»

«شىء مما حدث بيومك هذا . اليوم أكثر شىء عادى . سيكون أفضل فعلا . أكثر حدث عادى يهل على تفكيرك».

«ريتشارد–»

---

(١) كوتسو: نبات بقلة آسيوى يستخدم علفاً للحيوانات. (م)

«أى شىء . أى شىء».

«طيب ، فى هذا الصباح قبل أن آتى هنا ، ذهبت لابتاع أزهاراً للحفل».

«ابتعت؟»

«آه . صباح جميل».

«كان هكذا؟».

«نعم . جميل . كان ... منعشاً جداً . ابتعت الأزهار فأخذتها للبيت ووضعتها بالماء. هناك . نهاية الحكاية . تعال الآن ادخل».

يقول ريتشارد «لطيفة كحكاية صادرة عن أطفال على شاطىء».

«فلنقل».

«كذات صباح وكنا شباباً معاً».

«نعم . مثله».

«كذلك الصباح الذى خرجت فيه من ذلك المنزل العتيق، وعمرك ثمانى عشرة سنة بينما لم أتجاوز آه التاسعة عشرة ، أليس كذلك؟ كنت بالتاسعة عشرة وفى غرام مع لويس وفى غرام معك، وأظن أننى لن أرى ما هو أجمل من منظرك وأنت تخرجين من باب زجاجى فى باكورة الصباح، لاتزالين ناعسة بلباس نومك . أليس غريباً؟»

تقول كلاريسا «نعم ، نعم . غريب».

«لقد فشلت».

«كف عن قول ذلك . فلم تفشل».

«فشلت . أنا لا أبحث عن تعاطف. فى الحقيقة ، لا أحس فقط أننى حزين جدا . ما أريد فعله بسيط. أريد ابتكار شىء حى صادم حتى ليستطيع الوقوف جنب صباح فى حياة امرىء . أكثر صباح عادى . تصورى ، أحاول ذلك . يا لها من حماقة».

«ليست حماقة».

«أخشى ألا أستطيع حضور الحفل».

«لاتقلق على الحفل، أرجوك . لاتفكر فى الحفل . هات يدك».

«أنت طيبة جداً معى ، مسز دلاواى».

«ريتشارد-».

«أحبك . أيبدو هذا مبتذلاً؟»

«لا».

يبتسم ريتشارد . يهز رأسه . يقول «لا أعتقد اثنين عاشا معاً أسعد منا».

يندفع بطيئاً للأمام، منسلا بلطف من عتبة النافذة، فيسقط.

تصرخ كلاريسا «لا -»

يبدو واثقاً مهيباً ، حتى لتتخيل أنه لم يحدث على الإطلاق . تصل النافذة وقت أن كان ريتشارد لايزال طائراً ، ترى روبه منتفخاً ، يبدو حتى الآن كأنه حدث ضئيل ، شيء قابل للترميم. تراه يلمس الأرض من خمسة أدوار تحتها، تراه يركع على الإسمنت، تري يده ترتطم، تسمع ا لصوت الذى تحدثه، رغم ذلك تظن لوهلة أخرى على الأقل أنه قد نهض ثانية من عتبة النافذة ، وقف من جديد مترنحاً ربما بفعل ضربة، جريحاً ، لكنه لايزال هو نفسه، لايزال كله ، قادرا على الكلام.

تنادى باسمه، مرة . يخرج كاستفهام، أكثر ليونة مما تقصد . يرقد حيث سقط، وجهه إلى أسفل ، الروب ملقى على رأسه ورجلاه عاريتان مكشوفتان، أبيض فوق إسمنت أسود.

تجرى من الحجرة ، تخرج من الباب الذى خلفته وراءها مفتوحا . تجرى لأسفل على السلالم . تفكر ان تطلب النجدة، لكن لاتفعل . يبدو الهواء نفسه

قد تغير فأصبح أعزل قليلاً ؛ كأن الجو مصنوع حسياً من مادة ونقيضها . تنزل السلالم واعية بنفسها (سيخزيها هذا من بعد) كامرأة تنزل السلالم ، لاتزال نشيطة غير جريحة.

تعانى بالردهة عبر لحظة تشوش من عجزها عن الوصول إلى مهوى الهواء حيث يرقد ريتشارد ، فتحس باختصار كأنها راحت للجحيم . الجحيم صندوق أصفر مبتذل فى غرفة لا خروج منه ، غرفة مظللة بشجرة اصطناعية مع أبواب معدنية مروعة (يحمل أحدها رفات متوف عظيم ، جمجمة متوجة بالورد) .

باب فى ظل بئر السلم ، أضيق من الآخرين يؤدى إلى الخارج ، رحلة تحتية على سلالم إسمنتية مكسرة ، إلى حيث ريتشارد . تعرف قبل أن تنزل السلالم الأخيرة أنه مات . رأسه ضائع وسط طيات الروب لكنها ترى برك الدم داكنة سوداء تقريباً ، متشكلة مكان رأسه . ترى سكونية جمسه المطلقة ، ذراع ممدودة بزاوية معينة ، راحته لأعلى ، ورجلاه بيضاوان عاريتان كالموت نفسه . لايزال يلبس الخف لون الرمادى الخفيف الذى ابتاعته له من زمن .

تنزل السلالم الأخيرة ، ترى ريتشارد راقداً وسط كسر الزجاج المحطم، وتمر لحظة لتدرك أنها ببساطة بقايا زجاجة البيرة المبعثرة التى كانت على الإسمنت فعلا ، لا نتيجة سقوط ريتشارد . تفكر أن تنهضه فوراً ، فتبعده عن الزجاج .

تركع جنبه ، تضع يداً على كتفه الهامدة . بلطف ، بلطف شديد ، خشية أن توقظه ، تنزل الروب من حول رأسه . كل ماتحس به ضمن كتلة الأحمر المتلألى والأرجوانى والأبيض ، شفتاه المنفرجتان وعين مفتوحة . تعلم أنها أصدرت صوتاً، هتاف حاد من الدهشة والألم .

تغطى وجهه ثانية بالروب .

تظل راكعة جنبه ، متشككة فيما تفعله تالياً . تعيد يدها إلى كتفه . لا تلاطف ؛ تريح ببساطة يدها هناك . تخبر نفسها بضرورة إبلاغ الشرطة ، لكن لاتود ترك ريتشارد وحيداً . تنتظر من تستدعيه لها . ترفع بصرها لصفوف النوافذ الصاعدة الغسيل المعلق ، مربع المساء الكامل المشطور بحد أبيض مزرق رقيق من سحابة ، وتبدأ تفهم أن لا أحد يعلم بعد . لا أحد رأى أو سمع ريتشارد يسقط .

لم تتحرك . ترى نافذة المرأة العجوز ، بتماثيلها الخزفية الثلاثة الصغيرة (غير مرئية من بعيد ، من تحت) . العجوز فى بيتها ، لا تكاد تخرج . تتحفز كلاريسا للصراخ عليها ، كأنها من أفراد العائلة؛ كأنه يجب إبلاغها . لكن كلاريسا ترجىء ذلك دقيقة أخرى أو اثنتين على الأقل ، كفعل حتمى تال . تظل مع ريتشارد ، تلمس كتفه . تحس (مندهشة من نفسها) بالحرج طفيفاً مما حدث . تتساءل لم لاتبكى . واعية بصوت تنفسها . واعية بالخف الذى لايزال بقدمى ريتشارد ، بالسماء تنعكس على بركة الدم اللامعة .

ينتهى الأمر هنا ، عند لوحة ألوان الإسمنت ، تحت خطوط الملابس ، وسط شظايا الزجاج . تمد يدها بنعومة لأسفل كتفه على طول منحدر كتفه الهش . بإحساس مذنب ، كمن يفعل محرماً ، تنحنى عليه فتريح جبهاتها إلى عموده الفقرى بينما لايزال هو ؛ بهيئة ريتشارد ورثنتون براون . تشم نسيج روبه البالى ، لذعة السكران بجسمه غير المستحم . تود الكلام معه ، لكن لاتستطع . تريح رأسها بخفة وبساطة إلى ظهره . لو تكلمت لقالت – فيم تكلمه ، بالضبط – كيف واتته الشجاعة ليبدع ، أو الأكثر أهمية ، كيف واتته الشجاعة ليحب شاذاً ، عبر عقود من الزمن ، ضد منطق الأسباب .

تود لو تكلمه عن نفسها ، كلاريسا ، وكيف كانت تحبه بالمقابل ، تحبه بشكل جارف ، لكن خلفته عند زاوية بشارع منذ مايزيد عن ثلاثين عاماً (وأيضاً ، ماذا تفعل ، حقاً ؟) . تعترف برغبتها فى حياة عادية نسبياً (لا أكثر ولا أقل مما يرغبه معظم الناس) ، وأنها أرادت منه حضور حفلها وتقديم فرو ش الولاء أمام ضيوفها . سترجوه أن يصفح عن جفولها فيما يدل على أنه يوم وفاته ، بتقبيله فى شفتيه ، ولتخبر نفسها أنها فعلت ذلك فقط لتتعافى صحته .

مكتبة
t.me/soramnqraa

مسز براون

شموع مضاءة . أغنية منشدة . يطفىء دان الشموع ، يرش قليلا من لعابه الصافى على الطبقة المجلدة الناعمة . تمتدح لورا ، وبعد لحظة يفعل مثله ريتشى.

تقول «عيد ميلاد سعيد ، حبيبى» .

تهل نوبة غضب على غير توقع ، تأخذ بخناقها . إنه فظ بدائى غبى ؛ قد رش بصاقا على الكعكة . ستظل محبوسة هنا للأبد ، بوضعية زوجة . ستقضى الليلة ثم صباح الغد ومن بعد ليلة أخرى ، هنا بهذه الحجرات ، دون مكان آخر تذهب إليه . عليها أن تهنىء ، تواصل .

يبدو هذا كالسير فى حقل ثلج براق . مميت ورائع . كنا نظن أن مآسيها عادية ؛ لم تكن عندنا فكرة .

يمر الغضب . الأمور بخير ، تحكى لنفسها . الأمور بخير . فانسجمى مع نفسك ، لوجه السماء .

لف دان ذراعه حول ردفيها . تحس لورا لصلابته اللحمية العطرة . حزينة . تعى طيبته أكثر مما قبل .

يقول «عظيم . تمام» .

تلاطف قفا رأسه . شعره أملس بدهان الفيتاليس ، خشن قليلاً كجلد ثعلب الماء . بوجهه شعر نام قصير خشن بلمعة معرقة ، يرتاح

شعره المتمايل فتبين ناصية مزينة عرض شفرة عشب تتدلى إلى نقطة فوق حاجبيه . نزع ربطة عنقه ، فك أزرار قميصه ؛ نضح بعطر مركب من العرق وكولونيا أولد سبايس وجلد حذائه مع رائحة لحمه الأليفة العميقة لدرجة لا توصف – رائحة بعناصر من الكى وعناصر من مبيض الغسيل وملمح بعيد من الطبخ ، كأن بداخله فى العمق شىء رطب ودهنى محترق . تقول لورا إلى ريتشى «تمنيت أنت ، أيضاً ؟» .

يومىء ، رغم أن الاحتمال لم يخطر بباله . يبدو دائماً كأنه يتمنى كل لحظة ، وأن تمنياته كتمنيات والده تدور أساساً حول البقاء على قيد الحياة . كوالده ، يريده بحماسة أكبر المزيد مما حصل عليه فعلياً (رغم أنه لو سئل طبعاً عن طبيعة تمنياته ، لثرثر فوراً بقائمة طويلة من اللعب ، حقيقية ومتخيلة) . كوالده ، يحس أن المزيد هو على وجه الدقة مالم يحصل عليه بالضبط .

يقول والده «هل تساعدنى فى قطع الكعكة ؟» .

يرد ريتشى «نعم» .

تحضر لورا أطباق «الحلو» والشوك من المطبخ . هنا بحجرة الطعام المتواضعة، تكون آمنة، مع زوجها وطفلها، مثلما ترقد كيتى بحجرة مستشفى ترقب سماع ما وجده الأطباء . وهم هنا، هذه العائلة بهذا المكان. كلهم ببداية ونهاية شارعهم، كلهم ببداية ونهاية شوارع عديدة ، نوافذ مضاءة . عدد من المآدب المقامة ؛ انتصارات ونكسات بعدد مروى من الأيام.

بينما لورا تعد الأطباق والشوك على المائدة – ترن بنعومة على المفرش الأبيض الممتد – يبدو أنها نجحت فجأة فى اللحظة الأخيرة ، كفنان وضع فرشاته على لوحة بخط لون أخير فأنقذها من التشوش ؛ مثل كاتب سجل سطراً يفضح للنور أشكال الدراما المحجوبة والمتماثلة . تنتهى منه إلى حد،

بأطباق وشوك على مفرش أبيض . شيء غير قابل للخطأ على غير المتوقع .

يسمح دان لـ ريتشى بنزع الشموع المحترقة قبل أن يقود يدى ابنه لقطع الكعكة إلى شرائح . تراقب لورا . تبدو حجرة الطعام الآن كأثر حجرات الطعام المتخيلة كمالاً ، بحوائط خضراء كمجال صيد وخزانة من خشب القيقب تضم نفائس فضيات الزفاف . تبدو الحجرة تقريباً ممتلئة بشكل لايطاق : ممتلئة بحياة زوجها وطفلها ؛ ممتلئة بالمستقبل . والمهم أنه منير . هلك كثير من العالم ، معظم البلدان ، لكن قوة تحس بوضوح أن الخير ساد ؛ حتى كيتى كما يبدو ستشفى بعلاج طبى . ستشفى . وإن لم ، لو قضت نحبها ، فسيظل دان ولورا وابنهما ووعد الطفل الثانى هنا بهذه الحجرة ، حيث يقطب الولد الصغير جبينه مركزاً بمهمة نزع الشموع وحيث يمسك والده بواحدة قرب فمه فيحثه علي لحس طرف الشمعة المطفأة .

تقرأ لورا اللحظة وهى تمر . تفكر ؛ ستمضى . الصفحة على وشك أن تنقلب .

تبتسم لابنها بصفاء من بعيد . يرد البسمة . يلحس طرف الشمعة المطفأة . يتمنى أمنية أخرى .

مسز وولف

تحاول التركيز بالكتاب فى حجرها. ستترك وليونارد منزل هوجارت فوراً منتقلين إلى لندن. أقرأ ذلك. فازت فرجينيا. تجاهد للتركيز. فتات لحم البقر استحال إلى نفاية، مسحت المائدة وغسلت الأطباق.

ستذهب إلى مسرح وصالات موسيقى. تذهب إلى حفلات. تلازم الشوارع، ترى كل شىء وتملأ نفسها بالقصص.

لندن؛ حياة

ستكتب وتكتب. تنتهى من الكتاب، تسطر آخر. تتعقل وتعيش كما ينبغى أن تعيش، بثراء وعمق بين آخرين من نوعها، بحيازة وسيطرة كاملة على مواهبها.

تفكر فجأة فى قبلة فينيسا.

قبلة بريئة – بريئة للغاية – لكن مليئة أيضاً بشبيه لما تريده فرجينيا من لندن، من الحياة؛ مليئة بحب معقد نهم عميق، لا هذا ولا ذاك. ستفيد هذه الظهيرة بكشف السر الأوسط نفسه، بريق مراوغ يضىء حواف أحلام محددة؛ بريق يشحب من عقولنا حين نستيقظ فننهض على أمل العثور اليوم، اليوم الجديد، على شىء قد يحدث، أى شىء. قبلت فرجينيا أختها، دون براءة بالضبط، من وراء ظهر نيللى العريض النكد، وهى الآن بحجرة مع كتاب فى حجرها. امرأة ستنتقل إلى لندن.

نعم كلاريسا دلاواى تحب امرأة؛ امرأة أخرى، وهى شابة . ستتبادل والمرأة قبلة، قبلة واحدة، كقبلات الحكايات الخرافية الفاتنة، وتحمل كلاريسا ذكرى هذه القبلة، يحلق منها أمل طيلة حياتها. فلن تعثر على حب كهذا الذى قدمته القبلة العذبة.

فرجينيا منفعلة، تنهض من كرسيها فتضع كتابها على الطاولة. يسألها ليونارد من كرسيه «ذاهبة للنوم»؟

«لا. فالوقت مبكر».

يقطب ناظراً بساعته. يقول «العاشرة والنصف تقريباً».

«مللت فقط. لست متعبة بعد».

يقول «أود لو تذهبى للفراش بالحادية عشرة».

تومىء. ستداوم على سلوكها الحسن الآن فقد أقرا لندن. تترك الردهة وتعبر الصالة، تدخل حجرة الطعام المعتمة. مستطيلات طويلة من نور القمر مختلطاً بضوء الشارع الساقط على النافذة إلى حرف المائدة، تكسحه أفرع تذرتها الرياح ثم تعيد ظهوره فتكسحه من جديد. تقف فرجينيا بالمدخل، ترقب الأشكال المتحولة وهى تراقب الأمواج تتكسر على الشاطىء . نعم، ستحب كلاريسا امرأة. ستقبل كلاريسا امرأة، لمرة واحدة. ستحرم كلاريسا عميقاً متوحدة، لكن لم تموت. ستظل بحالة حب عارم مع لندن، مع الحياة. تتصور فرجينيا شخصاً آخر، نعم شخصاً قوى البنية لكن ضعيف العقل؛ شخصاً بلمسة عبقرية وشعرية، فى الأرض جنب عجلات العالم، جنب الحرب والحكومة ، جنب الأطباء؛ شخصاً مخبولاً يتحدث بتقنية، شخصاً يرى معنى لكل مكان، يعرف أن الشجر باليونان كائنات حساسة والعصافير منشدة. نعم، تتصوره هكذا. ستواصل كلاريسا، كلاريسا المتعلقة – كلاريسا العادية المتهللة – حب لندن، حب حياتها بمسراتها العادية، بينما الآخر، الشاعر المشوش المتنبىء، سيموت وحده.

مسز براون

ستنتهى من تنظيف أسنانها . غسلت الأطباق وصفت جانباً. ريتشى بالفراش ، زوجها ينتظر. تشطف الفرشاة تحت الصنبور، تشطف فمها، تبصق بالحوض. سيكون زوجها على جانبه من الفراش، يتطلع للسقف بيديه مشبوكتين وراء رأسه. بدخولها الحجرة سينظر إليها كأنه مندهش سعيداً برؤيتها هناك ، زوجته من بين الناس كلهم على وشك أن تنزع روبها، تطويه على الكرسى فتصعد معه للفراش. هذه طريقته – دهشة طفولية؛ دماثة، جذل مرتبك قليلا؛ براءة مذهولة وعميقة بالجنس ملتفاً داخلها كزنبرك. تفكر أحياناً، لا تتفادى التفكير بعلب الفستق التى تباع بمحلات الخردوات، علب ملفوفة بورق يفرقع عند فتح السدادات. لا قراءة الليلة.

تدس فرشاة أسنانها بحيزها فى حامل الخزف الصينى.

حين تنظر بمرآة خزانة الدواء تتصور شخصاً يقف خلفها. لا أحد هناك طبعاً؛ بل مجرد خدعة الضوء. للحظة ليس أكثر، تتصور الشبح ذاته، نسخة ثانية منها تقف خلفها مباشرة، تراقبها. لا شىء. تفتح خزانة الدواء، تخلى بها فرشاة الأسنان. هنا على أرفف الزجاج – لوسيونات مختلفة، بخاخات، ضمادات، مراهم، وأدوية. هنا زجاجة دواء بلاستيكية بحبوب منومة. الزجاجة العبوة الجديدة مليئة تقريباً – لا تستطيع استعمالها طبعاً وهى حامل.

تتناول الزجاجة من الرف، تمسكها ناحية الضوء. بداخلها على الأقل ثلاثون حبة، ربما أكثر. تضعها ثانية على الرف.

أمر سهل كالبحث عن غرفة فندق. أمر سهل. فكر كم هو رائع ألا يهم كثيراً . فكر كم هو رائع ألا يعود هناك قلق أو كفاح أو فشل.

ماذا لو كانت لحظة العشاء – متزنة، مكتملة قليلاً – كافية؟ ماذا سيحدث لو قررت ألا تريد المزيد؟

تغلق باب خزانة الدواء، فيتطابق والإطار بطقطقة صلبة معدنية تفى بالغرض.

تفكر، كل ما بداخل الخزانة، على الأرفف، تلفه العتمة الآن. تذهب لحجرة النوم حيث ينتظرها زوجها. تنزع روبها.

يقول بثقة رقيقة «هاى»، من جانبه بالفراش.

تسأله «أكان عيد الميلاد مبهجاً»؟

«على الآخر». رفع الملاءة من أجلها لكنها تتردد، واقفة جنب الفراش، تلبس قميص نومها الأزرق الشفاف. لا يبدو أنها تحس بجسمها، رغم يقينها أنه هناك.

تقول «طيب. يسعدنى أن قضيت وقتاً ممتعاً».

يقول «ألا تأتين للفراش»؟

ترد «نعم»، لكن لا تتحرك . فى هذه اللحظة. لا تكون غير ذكاء عائم؛ دون حتى مخ بالجمجمة، مجرد وجود إدراكى كقدرة شبح. تفكر، نعم، قد يفسر هذا إحساسها أنها شبح. شىء محدود كالقراءة، أليس كذلك – الإحساس نفسه بمعرفة الناس وأوضاعها ومواقفهم، دون لعب دور خاص غير مراقب

مريد.

يقول دان بعد وهلة «إذن، ألا تأتين للفراش»؟

تقول «نعم».

من بعيد، تسمع كلباً ينبح.

مسز دلاواى

تضع كلاريسا يدها على كتف المرأة العجوز، كمن يجهزها لصدمة أكبر. تفتح سالى الباب، وكانت سبقتهما إلى الصالة.

تقول كلاريسا «نحن هنا».

ترد لورا «نعم».

بدخولهما الشقة، ترتاح كلاريسا وهى ترى جوليا أبعدت المقبلات. الأزهار بالطبع تبقى - براقة بريئة، تنفجر من المزهريات بإسراف مبذر عشوائى، فكلاريسا تكره التنظيم. تفضل الأزهار كأنها وصلت للتو، بحمل ذراعين من الحقول.

جنب مزهرية مليئة بالورد، تنام جوليا على كنبة بكتاب مفتوح على حجرها. تجلس نائمة بجو كرامة مدهشة، كتفاها مربعان بل مستطيلان، مرتاحة بقدميها على الأرض، رأسها محنى للأمام برزانة كأنها فى صلاة. هى الآن إلهة صغيرة تهل بلهفة فانية؛ تهل لتجلس بثقة عاشقة، تهمس قاتمة من غشيتها لمن يدخلون - الجو على ما يرام فلا ترتعبوا، كل ما عليكم فعله أن تموتوا.

تقول سالى «عدنا».

تستيقظ جوليا، تطرف بعينيها وتنهض. تتجلى الرقية؛ فتعود جوليا فتاة من جديد.

تمضى سالى مسرعة إلى الحجرة، تخلع جاكتها وهى تسير، لدى كلاريسا والمرأة العجوز انطباع موجز فى وقفتهما خجلتين بالردهة ، ترتدان إلى الوراء لنزع قفازيهما بحرص، رغم أنه لا ردهة هناك وهما لا تلبسان قفازات.

تقول كلاريسا «جوليا، هذه لورا براون».

تخطو جوليا للأمام، تقف على مبعدة محترمة من لورا وكلاريسا. تتساءل كلاريسا، من أين لها هذا الاتزان والحضور. لا تزال بعد فتاة.

تقول جوليا «آسفة جداً».

تقول لورا «شكراً»، بصوت أكثر صفاء وأشد حزماً عما توقعته منها كلاريسا.

لورا امرأة طويلة محدودبة قليلاً، فى الثمانين أو أكثر. شعرها رمادى صلب لامع؛ جلدها نصف شفاف لون الرقوق، يعج بنمش بنى حجم ثقب الدبوس الصغير. تلبس فستاناً زهرياً داكناً وحذاء عجوزاً ناعماً، من قماش الكريب الحريرى المجعد.

تستحثها كلاريسا للأمام، ناحية الحجرة. صمت عابر. بعيداً عن الصمت، يبرز حس بوصول كلاريسا وسالى وحتى لورا عصبيات متأثرات، لا يعرفن أحداً ، بقليل من الملابس الداخلية، إلى حفل تقيمه جوليا.

تقول سالى «أشكرك على التنظيم، ياجوليا».

تقول جوليا «توصلت تقريباً لجميع من بالقائمة. استجاب القليل. لويس وترز».

«أوه، ياإلهى. لم يتسلم رسالتى».

«وهناك امرأتان، لا أذكر اسميهما. وشخص آخر، رجل أسود، جيرى كذا».

تقول كلاريسا «جيرى جيرمان. اسمه فظيع»؟

«جيرى جيرمان جيد. لويس بالضبط من النوع الذى ينهار. لبث ساعة تقريبا. تكلمت معه مطولاً. بدا أفضل حين غادر. كأنه أفضل».

«آسفة، ياجوليا. آسفة على كل ما سببته لك».

«جيد. لا تقلقى أرجوك».

تومىء كلاريسا. تخاطب لورا «مجهدة بالتأكيد».

تقول لورا «لست متأكدة مما أنا عليه».

تقول كلاريسا «أجلسى أرجوك. هل تظنين مبقدورك أن تأكلى شيئاً»؟

«أوه، لا أظن. أشكرك».

كلاريسا ترشد لورا إلى الكنبة. تجلس لورا ممتنة لكن حريصة، كأنها متعبة لكن غير واثقة ما إن كانت الكنبة مستقرة على الأرض.

تقف جوليا أمام لورا، تميل قرب أذنها.

تقول «سأعمل لك فنجاناً من الشاى. أو هناك قهوة. أو براندى».

«فنجان شاى أفضل. شكراً».

تقول جوليا «كلى شيئا، أيضاً. أراهن أنك لم تأكلى منذ تركت البيت، هه»؟

تقول جوليا «سأذهب لأخرج شيئاً قليلاً من المطبخ».

تقول لورا «هذا من لطفك، ياعزيزتى».

تحدق جوليا فى كلاريسا. تقول «ماما، ظلى أنت هنا مع مسز براون. أنا وسالى سنرى ما جلبناه».

تقول كلاريسا «طيب». تجلس جنب لورا على الكنبة. تفعل ببساطة ما تخبرها به ابنتها، تجد فيه راحة مدهشة. تفكر، قد يموت المرء من هذا: خدمات ابنة ناضجة، راحة بحجرة. هذا هو السن. هنا العزاء القليل، لمبة

وكتاب. هنا العالم الذى يديره باضطراد ناس غيرك؛ بطريقة أفضل أو أسوأ؛ ولا يعيرونك انتباهاً حين يصادفونك بالشارع.

سالى تخاطب كلاريسا «أيبدو ممرضاً تناول طعام الحفل؟ فكل شىء على حاله».

تقول كلاريسا «لا أظن. أعتقد ريتشارد سيقدر ذلك».

تنظر بعصبية نحو لورا. تبتسم لورا، تحضن مرفقيها، يبدو أنها ترى شيئاً بطرف حذائها.

تقول لورا «نعم. أظنه سيقدر ذلك، فعلاً».

تقول سالى «طيب». تدخل مع جوليا المطبخ. طبقاً للساعة، فالوقت بعد منتصف الليل بعشر دقائق. تجلس لورا بخذلان ذاتى متأنق أكيد، شفتاها مضغوطتان معاً، عيناها نصف مغلقتين. تفكر كلاريسا، إنها ترقب مرور الساعة . ترقب أن تتوحد مع النوم.

تقول كلاريسا «لورا، اذهبى للنوم لو تحبين. حجرة الضيوف هناك مع الصالة».

تقول لورا «أشكرك. سأذهب بعد دقائق».

يقرّ صمت آخر، صمت لا حميم ولا منفّر. تفكر كلاريسا، إنها هنا، امرأة خرجت من قصائد ريتشارد. هنا الأم المفقودة، الانتحار العنيد؛ هنا المرأة التى ابتعدت. كيان صادم.ومريح حقاً، يبرهن على انتمائه لامرأة عادية تبدو عجوزاً على كنبة بيديها فى حجرها.

تقول كلاريسا «كان ريتشارد رجلاً رائعاً».

ثم تندم على ذلك لحظتها. تبدأ مدائحها القدرية المحدودة؛ لشخص توفى فعلاً ويعاد تقييمه كمواطن محترم، بنوايا طيبة، رجل رائع. لماذا قالت هذا؟ لتعزى امرأة عجوزاً، لتنال الحظوة لنفسها. آه، قالته لتدعم ادعاءها على

الجسد: تعرفت إليه بالصورة الأكثر حميمة، أنا الأولى على مقاسه. تودّ الآن أن تأمر لورا براون بالذهاب للنوم، لتغلق الباب وتبقى بحجرتها إلى الصباح.

تقول لورا «نعم. وكان كاتباً رائعاً، أيضاً» .

«قرأت القصائد؟».

«قرأت. والرواية».

تعرف إذن. تعرف كل شئ عن كلاريسا، وتعرف أنها هى، بشحمها ولحمها، لورا براون، شبح وإلهة بجسم صغير من أساطير عامة (إن لم تكن «عامة» مصطلحاً كبيراً على حزمة قليلة من قراء الشعر المعاندين على البقاء). تعرف نفسها معبودة ومحتقرة؛ تعرف أنها استحوذت على رجل بشكل يمكن تصوره، بما يبرهن أنه فنان مميز. وهى تجلس هنا، بنمش جلدها فى فستان زهرىّ مطبوع. تقول هادئة عن ابنها، كان كاتباً رائعاً.

تقول كلاريسا فى عجز «نعم. كان كاتباً رائعاً». وماذا ستقول أيضاً؟

«لم تحررى أبداً كتبه، أليس كذلك؟»

«لا. كنا مقربين فقط. أمر شديد التعقيد».

«آه . فاهمة».

«يتطلب من محررى الكتب موضوعية معينة».

«طبعا».تحس كلاريسا أنها مخنوقة. أنى لها ألا تكون عصيبة؟ لماذا يصعب عليها الكلام مع لورا براون بوضوح، تسألها أسئلة مهمة؟ ما نوع المهمة؟

تقول كلاريسا «راعيته أفضل رعاية، قدر استطاعتى».

تومئ لورا . تقول «ليتنى تصرفت بما هو أفضل».

«لو فعلت أيضاً الشئ نفسه».

تمد لورا يدها فتتناول يد كلاريسا. تحت جلد لورا الناعم الرخو نتوءات واضحة من عقد العظام وأربطة العروق.

تقول لورا «فعلنا أفضل ما بوسعنا، يا عزيزتي. كل ما يستطيع المرء أن يفعله، هه؟»

ترد كلاريسا «آه، صحيح».

وهكذا ظلت تعيش، لورا براون، المرأة التي جربت الموت وفشلت، المرأة التي هرّبت عائلتها، بينما قضى الآخرون جميعاً، من جاهدوا للبقاء في كنفها. ظلت تعيش، بعد وفاة زوجها السابق بسرطان الكبد، بعد مقتل ابنتها على يد سائق مخمور. ظلت تعيش بعد نطة ريتشارد من النافذة إلى فراش من زجاج مهشم.

تمسك كلاريسا «هل تذكرت جوليا أن تعمل لك الشاي؟».

«أظن تذكرت، يا عزيزتي»..

تحدق كلاريسا في الأبواب الزجاج المؤدية الى حديقة متواضعة. تنعكس ولورا براون بشكل غير كامل على الزجاج الأسود. تفكر كلاريسا في ريتشارد على عتبة النافذة؛ ثم يفضي ريتشارد بنفسه؛ لا يقفز بل ينزلق كصخرة نحو ماء. بماذا نشبه هذا حقاً، لحظة فعله هذا نهائياً؛ اللحظة التي أصبح فيها خارج شقته المعتمة ومنطلقاً بالهواء؟ بماذا نشبه رؤيتك الزقاق تحتك، بعلب نفاياته البنية والزرقاء، نثار زجاجه الكهرمان، وهو يهلّ مندفعاً عليك؟ هل كانت - أيمكن أنها كانت - لذة وأنت تنهار نحو الرصيف فتحسّ (هل أحسّ لحظياً؟) بالجمجمة تطقطق فتنفتح، ليراق منها كل نبضاتها وأنوارها الصغيرة؟ تفكر كلاريسا، ليس هناك من ألم كبير. هناك فكرة عن الألم، بصدمته الأولى، بعدها - أي شئ يأتي لاحقاً.

تخاطب لورا «سأذهب لأرى. وأعود بعد دقيقة»

تقول لورا «طيب».

تقف كلاريسا مهزوزة قليلاً، ثم تذهب إلى المطبخ. تأخذ سالى وجوليا الطعام من الثلاجة فتكوّمانه على النضد. هناك صدور دجاج مشوى سوداء مرشقة، بلمسة أصفر لامع، مُسيخة برياش خشبية، مرتبة حول وعاء بصلصة الفول السودانى. وهناك حلقات بصل منمنمة. هناك جمبرى بالبخار، ومربعات حمراء براقة متلألئة من تونة نادرة بلمسات خردل. هناك مثلثات داكنة من باذنجان مشوى، ساندويتشات دائرية بخبز بنى، وأوراق هندباء تلامس نهايات سيقانها بقع غير متصلة من جبن ماعز وجوز مبشور. هناك أوعية مسطحة مليئة بخضراوات نيئة. وبآنيتها الخزفية، هناك كسرولة رافعة صنعتها كلاريسا بنفسها لخاطر ريتشارد وكان يستحسنها.

تقول كلاريسا «يا إلهى. انظروا لهذا كله».

تقول سالى «كنا نتوقع خمسين شخصا»

يقفن لحظة، ثلاثتهن، أمام الصحون المكدسة بالطعام. يبدو الطعام محتفظاً بنقائه، ولم يلمسه أحد؛ كاستعراض تذكارات. بنظر كلاريسا، سيبقى الطعام - أكثر الموجودات فناء - هنا بعد أن تختفى هى والأخريات؛ بعد أن يتوفين جميعاً، حتى جوليا. تتصور كلاريسا الطعام سيبقى هنا، طازجاً إلى حد، لم يلمسه أحد، بينما تغادر هى والأخريات هذه الحجرات واحدة بعد أخرى، إلى الأبد.

تأخذ سالى رأس كلاريسا بين يديها. تقبل جبهة كلاريسا بحزم واستحقاق، بطريقة تذكر كلاريسا بوضع طابع على رسالة.

تقول بنعومة قرب أذن كلاريسا «فلنطعم الجميع ونذهب للنوم. آن لهذا اليوم أن ينتهى».

تضغط كلاريسا كتف سالى. تقول «أحبك» فتعرف سالى طبعاً. تُعيد

سالى ضغط أعلى ذراع كلاريسا.

تقول كلاريسا «نعم. آن أن ينتهى»،

يبدو أن ريتشارد قد بدأ هذه اللحظة صادقاً مغادرة العالم. كان هذا لدى كلاريسا مجرد إحساس فيزيقىّ تقريباً، رقيق بل منسحب صعب الإلغاء، كشفرة عشب تسلّ من الأرض. ستنام كلاريسا فوراً، كل من عرفه سينام فوراً، وسيصحون جميعاً صباح الغد ليجدوا أنه التحق بعالم الموتى. تتساءل، لن يحدد صباح الغد نهاية حياة ريتشارد على الأرض بل بداية النهاية لشعره أيضاً. هناك عموماً كتب كثيرة. بعض منها جيد، مجرد حفنة، وحفنة يتبقى منها القليل. وقد يودّ مواطنو المستقبل، من لم يولدوا بعد، قراءة مراثى ريتشارد، تفجعاته الموقعة بشكل جميل، قرابين حبه وضراوته اللاوجدانية الصارمة، لكن من المستبعد أن تتلاشى كتبه مع شئ تقريباً. ستتلاشى كلاريسا كتجسيد برواية، كذلك لورا براون كأمّ ضائعة شهيدة وشريرة.

تفكر كلاريسا، آه آن لهذا اليوم أن ينتهى. سنطرح حفلاتنا؛ نهجر عائلاتنا لنعيش وحدنا فى كندا؛نجاهد لكتابة كتب لن تغيّر العالم، رغم مواهبنا بجهود غير محصورة، رغم آمالنا المسرفة. سنعيش حياتنا، نفعل ما نفعله ثم ننام – ذلك بسيط وعادى. يقفز أقلنا من النوافذ أو يغرقون أنفسهم أو يبتلعون حبوباً؛ ويموت أكثرنا مصادفة؛ ويلتهم المرض معظمنا، أغلبيتنا الساحقة، وإن كنا محظوظين سيلتهمنا الزمن نفسه. هناك عزاء فحسب: ساعة هنا أو هناك حين تنفجر حياتنا مفتوحة، عكس الغرائب والتوقعات، فتمنحنا كل شئ تصورناه يوماً، رغم علم الجميع فيما عدا الأطفال (وربما هم أيضاً) أن هذه الساعات تتبعها أخرى حتماً، أكثر عتمة وأشدّ صعوبة. لا تزال تعزّ علينا المدينة، صباحها؛ ونأمل أكثر من أى شئ فى المزيد.

تعرف السماء لماذا نحبها هكذا.

ها هنا الحفل إذن، لا يزال قائماً؛ هاهنا الأزهار، لا تزال طازجة؛ كل شئ جاهز للضيوف، يبدو أنهم أربعة فقط. سامحنا يا ريتشارد . فهو حفل فى الحقيقة، رغم كل شئ. حفل لمن لم يموتوا بعد؛ لغير المتضررين نسبياً؛ لمن كان لديهم حظّ الحياة بأسباب غامضة.

حظ جيد عظيم. حقاً.

تقول جوليا «ترين أن أجهز صحناً لأم ريتشارد؟»

تقول كلاريسا «لا. سأذهب لأحضرها».

ترجع إلى حجرة المعيشة، إلى لورا براون. تبتسم لورا شاحبة أمام كلاريسا - قد تعرف ما تفكر فيه أو تحس به؟ هاهى إذن؛ امرأة الحنق والأسف، امرأة الشفقة والسحر الجهير؛ المرأة المغرمة بالموت؛ الضحية والمعذبة التى سكنت أعمال ريتشارد. هنا، هنا بهذه الحجرة، كانت المحبوبة، الخائنة. هنا امرأة عجوز، أمينة مكتبة مستقيلة من تورنتو، تلبس حذاء امرأة عجوز.

وهاهى بنفسها، كلاريسا، لم تعد مسز دلاواى؛ لا أحد سيدعوها هكذا الآن. هاهى وأمامها ساعة أخرى.

تقول «تعالى، مسز براون. كل شئ جاهز».

«تمت»

مكتبة
t.me/soramnqraa

I.S.B.N
977- 07- 1029 - 6